



وإهداء الوجدان

بقلم

محمد كامل مجاهد

بإقة من نفحات الادب الوجداني — الادب في القرن التاسع عشر —
تراجم — تحليل — نقد — موسيقى — رسالة في الموسيقى والفلسفة
— ابحاث ببيكولوجية — برليوز — عنتره (روايتان تمثيليتان)
دراسات متنوعة — الف ليلة — الحشاش — تاجور — بيتهوفن
— فاجنر

وبه صور : المؤلف — الاميرة ازل فاضل — بيتهوفن — فاجنر

سنة ١٩٣٤





H. Kamel Haggag

محمد كامل حجاج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لمنّ على الانسان بغيروضه الربانية ، ونفحاته المباركة العالوية ،
حتى سما الى ارفع ذرى الخيال ، وانتمج في عالم البلاغة انجم مثال ، وصاله
وسلاماً على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، ومن فتن بروائع بلاغته
العقول والالباب ، وبعد فاهدى الى القراء بعض ما جادت به القريحة وجمال
فيها الخيال من فنون مختلفة وأبحاث متفاوتة وقليل من قطع معربة في التمثيل
وغيره عسى أن تصادف قبولا عند الجمهور الكريم ولا أنسى الحفاوة العظيمة
التي تقبل بها القراء والفضلاء « بلاغة العرب » ولعمري انها لتدل على كرم
حاتمي وتسامح كبير حيال عمل لا يستحق كل هذا الشناء ، واني أقدم لهم
واجب الشكر على هذا العطف الكريم وتلك السجيا النادرة وأدعو الله
أن يوفقنا جميعاً لخدمة الأمة وان يمكننا من أداء الواجب انه سميع مجيب

خواطر الخيال واملاء الوجدان

الربيع

ذهبت بعد ظهيرة يوم طاب هواؤه ، وصفت سماؤه ، مع رفقة من خير الاصدقاء ،
وصفوة الاحباء ، الى القناطر الخيرية لمتنع منا النواظر . ونجلى الخواطر . ونمحو
ماخط على جباهنا من غضون . سطرتها الهموم والشجون . بجمال الربيع المتجلى
بظاهره الساحرة . فوق تلك الجنات الناضرة . والمياه اللجينية الجارية . والافياء
الظليلة الوارفة

هناك مهد الربيع وايوانه . وبهاء الطبيعة الغض وسلطانه . ومهبط طيف
الشعر والخيال . ومظهر الجمال والجلال . ومهب النسيم الاربيع . ومنبت الزهر
الشدي البهيج

هناك ملتقى الانهار . وقررة الانظار . وقبلة النعيم . وشفاء السقيم . وملاذ
المحزون . وسوان المفتون

خطت هذه الجنان الفيحاء . والغابات الغلباء . بنوق سليم إذ توخى فيها تمثيل
الطبيعة وحراجها . وروايها ومروجها . وخائلها ودروبها . ودوحها الشاهق . ونخلها
الباسق . فأصبحت يتيمة عقد رياض القطر فلا ترى فيها شكلا هندسياً ولا سطحاً
معتدلاً . وقد نثرت فوق تلك البسط الزردية أشجار تفاوتت أحجامها واختلفت
ابعادها واتجاهاتها .

يظن الساذج ان تلك الروضات لا نظام لها خالية من الفن والترتيب ولكنها
في الحقيقة خاضعة لنظام دقيق فني لا يدركه إلا من أوتي ذوقاً رفيعاً ومارس فن
النباتات وتخطيط الحدائق زمناً طويلاً

سارت بنا مركبة (الترولي) فوق تلك القناطر المنحمة وماء الترع يتدفق من
فوق أبواب العيون الموصدة وهو يدوي عند تدهوره كالرعد القاصف . والسيل

العرمرم الجارف . ويدحرج المالحج المأهجة المزبدة حتى وصلنا الى الحديقة الاخيرة في الضفة الثانية من التربة المنوفية وهي بيت القصيد من تلك الجنان واحدها عهدا عرجنا يسرة عند ملتقى النيل بتلك التربة وصعدنا الى ربوة شائقة سائرين في ممر نثرت في جانبيه شعب من أصول الاشجار العظيمة وغطى طرف منها بالطين غرست فيه بعض النباتات الفارشة من (بلومباجو) كاس زهره الازرق الصافي (وجيرانيوم بلتاتوم) وقد ازدان بازهاره من أحمر وأبيض ووردي (وروسيليا جونسيا) وقد استرسلت فروعها الشعرية وتدلّت عناقيدها المرجانية

جلسنا فوق متعدد بقعة تلك الربوة وعلى كمشب منا شجرة (دوتزبا كريناتا) كاسية بعناقيدها البيضاء الناصعة كأنها مجللة بالجليد وقد زرعت حولها دائرة من (البيجونيا) ذات الازهار المستمرة قلمت أوراقها كالاطلس وغطيت بازهارها الرشيق الحمراء . وعلى مقربة منا دائرتان احدهما من المنثور والثانية من الخيري وقد تضوع المكان بارجمها الشدى

أشرفنا من هذه الربوة الزمردية على ذلك الفردوس المنعم وقد امتد أمامنا فرش السندس ونثر فوقه بديع الزهر ورشيق النور كأنه بساط من استبرق نثر عليه الأولؤ والياقوت والزبرجد والماس

انتقلنا الى الجهة اليمنى فشهدنا أشجارها الباسقة من البسخ (والبوانسيا ناريجيا) وغيرها وقد تساقطت عليها (البوجنفليا) الحمراء (والرينكوسهرموم) الياسميني بازهاره البيضاء التي تحاكي الياسمين في رياه وشكاه (والبومونسيا) بازهارها التي تشبه الابواق البيضاء وشذاها المنعش

جلات هذه المتسلقات جذوع تلك الاشجار وكستها ثيابا بديعة وصعدت فروعها الى افنان الدوح لتعانقها وتلمسها وتحتمي بها من غائلة الرياح العنيفة التي تعبت بأغصانها الرفيعة المدنة

نبتت تحت ظلال خمائل الايك نباتات مختلفة تخشى الشمس والقر والقيظ

مثل كذبرة البئر والسرخس والهلينون الريشي (والبروميليا) (والكليقيا)
فاصبحت تمثل ركنًا من أركان غابات البريزيل

تخبرنا هناك مكانًا جميلًا فيؤوه ظليل ، ونسيمه عليل ، على ضفة بركة ماؤها
سلسبيل ، وبه متعبدان كبيران تظللهما شجرة من الخلاف المتدلي

لبثنا لحظة سكوتًا نفكر في جمال الربيع وبيننا انا مفتون بهذا الحسن الساحر
اذ عبثت الصبا بغدائر الخلاف المسترسلة فمسحت وجهي كأنها تداعبني وتلاطفني
فالتفت الى الشجرة فرأيت طيف الشعر فناجاني بصوته العذب : « خذ اليراع
والقرطاس ومجد الربيع بما أوحيه اليك من فائن النفحات

— سلام زينة الكائنات ، وموقظ الارض من السبات ، تحية طيبة يا كلسى
العود ، بقشيب البرود ، ومرصع الاشجار ، برشيق الازهار ، وشذي النوار ،
ويانع الثمار

تعرض جميع المخلوقات على الهيام ، فتوردها موارد الجوى والآلام ، وتطلق
السنة العنادل ، والشحارير والبلابل ، فتصدح بشجي الانعام ، معربة عما يحلجها
من ضرام الغرام ، وتغري الازهار فتتفر من براعمها ، وتهرب من سجن اكمامها
ناشدة عشاقها ، من نحل وفراش تعانقها ، وترتشف معسول ثغورها

أي ربيع العيش ، ورائد النرق والطيش ، ومهلك النفوس والاجسام ، ومفسد
الالباب والاحلام ، يالك من اعشى اصم ، وظالم غشوم لا يرحم ، لا يردعك عقل
ولا خلاق ، ولا يروعك ارهاب ولا ارهاق ، اغرك عنفوان الشباب ، فضلات محجة
الصواب ، وانغمست في حاة المذات ، وشرفك ربك فأببت إلا أن تماثل العجاوات
رباه انك تعلم اني زلت ربيعي بشكيمة العقل وقضيت أيامي كلفًا بنيل متفاوت
المعلومات ، واداء الواجبات ، مولعًا بمجيد الكماليات ، مستبشعًا كل لذة جمانية ،
مستمرًا المذات الشريفة النفسية ، ولكن النفس لم تبلغ منهاها ، ولم تؤد من
واجباتها منتهاها ، فعساك اللهم تطيل أيام صبوتي ، وتمد في زعيم صحتي ، لاتم
فروضي وواجباتي ، وفي ذلك هناءتي وسعادتي ، ومطمح أمني وأمني

الزمن

سلام أيها الخالد الفتي ، سلام أيها العادل القوي ، بوركتم يا شيخ الحكماء ،
وامام الفلاسفة والعلماء !

أنت محيي الفضل ومخلده ، ومعلي الحق ومجده ، ومزهق الباطل ومبدده ،
أنكر فضلك الجهاد ، ولعنك ظلماً الاغبياء ، وما دروا انك مثقف الاحلام ،
ومصحح الاحكام ، لم يفلح أبرائي في تأديبي ، ولا استاذني في تهذيبي ، وكنت
وحدك لي خير مؤدب ، وأفضل وأعظم مبدب

كنت بالامس أظن الجهاد فضلاء ، والوزانين شعراء ، والحنونة أمناء ،
والمناقتين اصدقاء ، والظالمين أبرياء ، والمراثين اتقياء ، فرفعت عن طرفي غشاوته ،
وأزلت عن قلبي غفلته ، فتجلت لي الحقيقة باهية مظاهرها ، وأكمل معانيها

أيها الزمن ! علمتني القناعة فغنيت ، ونعمتني بسعادة النفس فهزئت ، ودرعني
بالصبر فلم أجزع ، وسلحتني باحتمال المكارد فلم أهلع ، ورضي غني الناس فارتاح
ضميري ، وانشرح صدري ، فليست مؤملاً من دنياي بعد هذا غير رضا الخالق
لم أنس وقفتك أيها الزمن امام المأمون وقد سوات له نفسه أن يهدم أثر
الفراعنة الجليل وأنت تضحك منه وتقول له : « ذراعك قصيرة أيها الغر عن أن
تعال منه نيلاً ، ولا تستطيع جميع الانام ، ان تدمر ماخلدته الايام ! »

ظهرت النوابع في عصور كان أهلها والانعام سواء فرأى بعضهم ان الانتحار
خير وسيلة للتخلص من هذا الخلف المشؤوم ، والخالق المدموم ، وفضل الآخرون
اعتزال هاته الانعام والانزواء في بيوتهم ، لتجنب ازدرائهم وسخرقتهم

زجر الشعر في صدر (توماس شاترتون) وهو غلام فأصبح وهو في ريعه
السابع عشر شاعراً مجيداً ولم يؤثر شعوره في قومه حتى يكفوه غائلة الجوع وكان

يسخر منه محافظ لندره قائلاً له : انك يا بني عايش في عالم الاوهام ، ساج في بحار الخيال والاحلام ، وما هذا الا باطل لا ينفعك ولا ينفع الناس ، واعلم ان الله خلق انكثرا كهيئة سفينة قائمة بمراقبة القارة الاوربية وقد انبعث منها مئات مثلها من السفن تمثل دولتها في مستعمراتها ، وقد قام الملك والوردات بجانب العلم والبوصلة والخززانة وأمسكت الامة بحبالها ومدافعها فلا ترى أحداً وسط هذه المعمة عديم الفائدة ، فانبثني اذاً عما يعملها الشاعر وسط الملاحين

فأجابه (شارتون) « ان الشاعر ليبحت في النجوم عن طريق السفينة التي تشير اليها أصبع الخالق »

ثم ناوله اللورد ورقة وقال له . « هذه مائة جنيه ففكر في الامر فان هذا المبلغ لا يستهان به »

تناول الورقة ولم يكدهم قراءتها حتى جن من الغضب والغيط وهول الى غرفته التي استأجرها بمسكن (كيتي بيل) صاحبة محل الحلوى الذي دار فيه الحديث بينه وبين المحافظ وبعض رفاقهما فشرب جرعة كبيرة من محلول الافيون فسمع أنيبه طبيب فرنسي كان يتردد الى هذا المحل فهرول اليه فوجده في الاحتضار وقال له : « أيها الطبيب !! اشتر جتتي بدني » ثم أسلم الروح وهو في ريعه الثامن عشر ووجد الطبيب فوق منضدته ورقة كتب فيها « اتى مدين لرب البيت بثلاثة جنيهات مقابل سكنائي عن ستة شهور وعسى أن لا يأسف المستر (كيتي بيل) حينما يبلغه ان طفليه كانا يعطيان في بعض الاحيان شيئاً من الحلوى وكان ذاك قوتي الوحيد » وبجانب هذه الورقة التي ناولها له اللورد وانتحر بسببها فاذا فيها : اتى أعرض عليك أن تكون خادمي الاول مقابل مائة جنيه في العام »

لم يجد قوم (جوت) وهو زعيم شعرائهم قولاً يطرونه به غير قولهم : « انه كان جميل الخط ولم يخطيء في الاملاء »

ولما مثلت أويرا (كارمين) الموسيقي الفرنسي الشهير (بيزيه) صفر له الحاضرون صفير الازدراء والسخرية فاحتم الرجل ومات مكوداً بعد بضعة أيام

ولم ير الموسيقى الشهير (هايدن) مزية في أبي الموسيقى واكبر نابغة فيها
(بيتهوفن) الا : « انه يحسن التوقيع على الكلافسان »
اعتزل (بيتهوفن) الناس وبلغ به الامر ان شك في نبوغه ولبث خاملاً الى ان
مات فقيراً حليف المموم والاشجان
لم يكن للمصور الفرنسي الشهير (جيريكو) بين قومه قدر يذكر إذ لم يعترفوا
له إلا بأنه « كان يسحق الاصابع جيداً »
عزى الزمن هؤلاء المنكودين الذين عثر بهم الجدد قائلاً : « صبراً أيها الكرام
فقد عجزت عن هؤلاء الانعام ، وان لم يظهر فضلكم اليوم فغداً يملأ الخافقين
ويدوي صدهاء في المشرقين
اجتاحت الايام ، هؤلاء الطعام ، وخاف من بعدهم خلف كريم ، هذه الزمن
فجده هؤلاء النوابيع وخلد ذكرهم ، ونشر آثارهم حتى عمت أركان الارض
وأصبحت نموذج الكمال ، ومثال الجمال والجلال ، وأضحت رفات هؤلاء النوابيع
تقول في رموسها : « بوركتم أيها الزمن الحكيم ، والمنصف البار الكريم ! »

الزهرة والسيطان الجميل

بعدا أيها الشيطان الجميل ! بعدا أيها الفتان الخائن ! بعدا أيها الممثل المائن ! بعدا
أيها الافي التي لان ملمسها وفي أنيابها العطب ! بعدا أيها الكأس التي يلذ
للشارب أولها ويقتله آخرها ! بعدا أيها التمر الملتحف بجلد المياة ! بعدا يا من يصبغ
فؤاده بالرياء والسواد كما يصبغ وجهه بالحررة والبياض ! بعدا يا من كلامه كالعسل
وفعله كالأسل ! بعدا يا خضرء الدمن ونكد الزمن ! بعدا أيها السراب الغرور
بعدا يا جرثومة الشرور !
بلوتك ففرت منك فرار الآبق ، حاولت افقتاني آونة بجمالك ، وطوراً
بسحرك ، وقارة بحولك ، وأخرى بحيلك ، فما طلت منى طائلاً ، ولا نلت منى
نيلاً ، ورجعت بصفقة المغبون ! وكدت تأكل سباتك من غيظ وجنون

لو كنت صادقاً في حبك، شريفاً في خلاك، لكنت ملكاً كريماً يث الهناءة
اني سار، يريح القلوب، ويزيح الكروب، وينسي المصائب، وينشط الانسان
على الكدح في دنياه بهمة لا تعرف المال، وقلب ملؤه الآمال
هبطت من مقام الملائكة الى حظائر الانعام بحض ارادتك مفضلاً المذات
البيمية على المذات الشريفة النفسية فتمرغت في حمأة المربقات، بعد ما كنت
محللاً فوق ازاهير الجنات

اقربي مني أيتها الزهرة البديعة فانت عندي خير من هذا الشيطان الجميل
انت روحي وريحاني ! يفتنني مراك، وتعشي رياك انت لي في وحدتي خير انيس
وادمي واخلص جليس ! انت نموذج الجلال ! انت مثال اللطف والبهاء !
لا تخشي مني لمسا يذهب بنضارتك او هجراً يقضي على رشاقتك فأنتي نعم
الوفى الامين والمخلص البار

لست من غلاظ القلوب والاكباد الذين يقطعون عنقك دون رحمة ليزينوا
بك صدوراً قبحتها الشرور . ويشبتوك بابرهم دون شفقة لئلا تغلتي من العذاب
وسرعان ما تموتين فيطرحونك تحت اقدامهم . وما حملوك حباً فيك بل طلباً للزينة
ومأربى لا حفاوة

انتي احبك وأغار عليك من النسيم فلربما استرق من شذاك وحمله لقوم
لا يستحقون الا ريح السموم أو ساق اليك من جرائمه ما يؤذيك فاحميك في
مكنون الحجرات وأخصك بالزالال البارد ولو لم يكن عندي منه غير ما ينقع
الغلة . إننى أقنع بمقعد خشن وأوثرك بثمان البللور المزخرف بصفائح انضار . اننى
أجلب اصلك من مشارق الارض ومغاربها بثمان غال وأخدمك بنفسى وأخصك
باحترامى واجلالى فانت بهجة النفوس، وريحانة القلوب، ونعيم الدنيا والآخرة
أنت نعيمى وهناءتى ! انت عزائى في بلائى انت جليسى فى وحدتى، انت انيسى
فى وحشتى، انت سلوانى فى همومى واحزائى

فسلام أيتها الزهرة وبركات تترى عليك لتحميك مدى الازمان، من
سوء الانسان

مضمون ريفي

قاسيت من سكني المدينة آلاما ثقالا ، وأعواما طوالا ، قضيتها بين ضيق صدر وقلق ، ووطأة حر وأرق ، لا يتسرب النوم الى أجفاني وقت الهجير من أناشيد باعة حب العزيز ودفوفهم ، وأغاني بائعي الحلوى المثلجة وأروافهم ، وصخب الصبيان ولغظهم ، فكنت أهرع في الآمال الى الخلوات أو ضفاف النيل لاستطيع أن أحضر مسألة أو أحرر كلمة

أردت أن أعم الخلوات وأنخير منها مقاما طيبا ساكنا هنيئا بين الحقول النضرة والياض الجارية والظلال العارفة والهواء الطلق في بقعة لا أحتاج فيها الى سفر يلجئني الى ركوب قطار أو انتظار دفعثرت بعد البحث والتنقيب على موطن مبارك بشبرا في أطراف حديقة (شيكولاني) وجدت فيه دارا فيحاء ، نزيها حديقة صغيرة غناء ، تعانقها الحقول من جوانبها الأربع وقد خيم عليها السكون واكتنتها الدعة ورُفرف فوقها نسيم الصبا وصفرت حولها الرياح من زرع ورخاء ، وشمال ونكباء

كنت ذات يوم جالسا في طنفي الشمالي أروح نفسي بنفحات النسيم العليل مسرعا ناظري في مزارع البرسيم الواسعة المزرية ببسط الاستبرق الاخضر وقد انتثرت فيه الانعام السائمة من ضان ومعز وبقر وإبل تجلبت بمختلف الثياب وبجانب البرسيم حقل زرع برأ أوشك أن يدرك وقد اقترشته شمس الاصيل فزادت لونه العسجدي توهجا وطافق النسيم يداعب سنابه حتى أمسى كأنه مخضم زاهر مالت عليه الشمس وقت غروبها فجعلته كندوب النضار

تمهافت السيدات وأبناءؤهن وغالبهم من الافرنج على هذه الحقول الفتانة والخلوات الجذابة ليمرحوا ويلعبوا ويغنوا متبلاين بذلك النسيم العظيم

قامت على كتب من هذه الحقول الباردة البقية الباقية من حديقة (شيكولاني) وقد ضرب حولها سور من حديد وارتفع وسطها كهف بني بلوق سابم وعلاه كوخ صنع من سوق النخيل بشكل رشيق يأخذ بمجامع القلوب نزيه شجرة من

(البو جنفيليا) الحمراء وقد احتضنت أعواد الكوخ وكست جوانب المكيف بغدائرها
المسترسلة وارتفعت وراء هذا الغار أشجار عظيمة من (الفيكوس) كانت له بمثابة
ستار أخضر يحجب ما خلفه ويزيده رونقا وبهاء . وقامت على يمينه نخل باسقات
مالت عراجينها يسرها الأحمر والأصفر كأنها غادات رشيقات مسبلات شعورهن
وبآذانهن أقراط من نضار وبقوت

ما أجمل الليل في تلك الموطن وما احيلي بדרه إذ يتجلى في تلك الفجاج
الترامية بسناه الناصع، ولألانه اللامع، بشكل يذهب بالاشجان ثير الشعر في القرائح
الحامدة، ويؤجج العواطف في القلوب الجامدة

أجلس في الساء في طنفي لاروح النفس بنسيم عليل يحمل اليّ عرف أزهار
حديثتي فينعشني باريجه العبق وتشجيني موسيقي الطبيعة إذ يبدأ الكروان بغنائته
الشجي بعد الغروب ثم يليه عند اقبال الظلام جوق الجندب بصفيره الرنان . وعلى
كشب من ذرانا ساقيتان احدهما خلفنا والاخرى أمامنا تدوران المزيج الاول
من الليل وقد تباين صوتاهما فكانت احدهما تحكي أنين (الفريد دوموسيه) وقد
هجرت خليلته، والاخرى تمثل شكوى (الفريد دوفيني) وقد خانت خليلته

وعلى رمية سهم من الجهة الغربية تجري التربة البولاقية وقد نصبت عليها
الشواذيف وحينما يأتي دور المناوبة ويغمرها الماء يهرع اليها الضفدع ويغني بصوته
الغايظ كما يجأر في الاذكار سوقتنا بلوقهم بشكل ينفر منه الدين قبل النفوس
كثيراً ما أسمع في سكون الليل ألحانا تنبعث حولنا ترددها كواعب غريات
بنغمت توقظ ما سكن من أليم الذكرى وتثير ما كمن من تباريح الهموم فيتبدل
سروري نكداً ويغوررق طرفي بعبرات تحجب ما يراه من محاسن الطبيعة التي
كشفتها البدر فأهرول الى أعماق الحجر هرباً من ذاك الصوت الرخيم واستغيث
بكتاب قيم ينسيني متاعبي وآلامي ويخمد في صدري ماهاج من عنيف العواطف
وتأجج من مضض الذكرى

اتي استيقظ في الصيف عادة في الساعة الخامسة فأنزل الى حديثتي لانعش

نفسى بارجها الشذي وامتع طرقي بشروق الشمس وما تفتح من بديع الزهر ،
ورشيق النور، وأنشط بفلاحة الارض أعضائي وأعصابي من خمودها الذي عراها
من النوم والسكون في حجر مقفلة ثم استأنف عملي في الاصيل وأروى نباتاتي
وأمنحها من العناية ما تتطلبه

أترقب ذكاء عند غروبها لا يتمح بمنظرها الشائق وقت المغيب كأنها درة
متدحرجة فوق بساط من زخرف يكاد توجهه يخطف الابصار وكأن السماء حولها
صحفة أصباغ المصور أو كأنها حريق صادف وفوداً مختلفاً فاندلعت منه أعلام من
نار تباينت ألوانها وكأن السحب وهي تحفها أقواس نصر شامخة نصبت لوداع
الشمس وكسيت بألوية من مختلف الديباج وزينت ورود وأزهار متفاوتة
الالوان

وترى آلافا مؤانة من الزراير والعنادل فوق الأيك صادحة لشمس بنشيد
الوداع باكية لفراق يسلمها الى سجن الظلام بعد ما كانت تمرح مغردة متنقلة
من فنن الى فنن طامعة من يانع الأثمار وشهي الجنى مرتوية من لذيذ ماء عناقيد
الاعناب

أيها العيش الجديد لقد هجبت منى ذكرى الطفولة الحلوة وفما كنت أجوب
المزارع والاجران فرحاً مرحاً كالفراش المتهاول اركب النورج وأصيد الاسماك
واستحم في الترع وانسى الغداء مستعيضاً عنه بالذرة المشوية في الحقل
كنت خالي البال عائشاً في ظل أبوي أسكنهما الله فراديس الجنان فياليتني
لبثت طفلاً الى يومنا هذا وعاش لي أبوي ولم أدر أسرار الحياة وحقيقة الدنيا
ونكد العيش وسوء الحظ

تلك سنة الدهر فلنطأ طيء له الرؤوس خاضعين صاغرين فلا حيلة معه تنفع
ولا حول لنا نجاد به وندافع ، مع خصم لا يقهر وجبار لا يشفق ولا يرحم

فراشي وفي

ناقت النفس بعد ظهيرة يوم من الخريف ، رق هواؤه ، وصفت سماؤه ، واعتل
نسيمه ، وغرد طيره ، أن تستملي الخيال ، وتناجي الوجدان ، فضن وجده ، وانطفأ
توقده وجده ، فاستغشت بطيف الشعر وهو أعظم رفيق ، وأوفى صديق فناجاني
أن لا تطمح مني بنيل مادمت في مكانك فاني أنفر من هذا الهواء المسموم ، والغط
المشؤوم ، وموعدا الاصيل ، على ضفاف النيل

ذهبت الى روض الجزيرة المشرف على النيل ، وتخيرت مكاناً خالياً بجانب
نفق جميل بني بأعواد الاشجار والصخور ، وجلتته النباتات المتسلقة ببديع أزهارها
ونثرت فوق صخوره نباتات من فصائل مختلفة فكستيا ثوباً قشيباً من حسن وبهاء
وجهت وجهي شطر المغرب لامتع ناظري برأي الشفق الشائق فانتعشت
نفسي من ذلك المنظر الفخم اذ رأيت فوجاً من السحب الاربدة فوق الشمس عند
ما اصفرت من ألم الزراق فانعكست أشعتها فوق الغمام وازدان بفائن الالوان فكأنتي
ارى قوس قزح وقد عظم حتى ملأ الغرب أو يخيّل الي أنني واقف في ظلام الليل
فوق أكمة من آكام (نابولي) أشاهد منها بركان (فيزوف) وهو يقذف لهباً
تندلع منه ألسن عديده تاون كل منها بلون خاص وتشكل بأشكال مختلفة كون مجموعها
شكلاً بهيجاً يعلوه دخان كثيف رمادي اللون كأنه عين مغفوش أو أطار جميل
يخف صورة في الاقان آية ، وفي اجمال نهاية

وبينا نشاهد هذا المنظر الشائق اذ رأيت طيف الشعر محلقاً فوق رأسي ثم
أسر الى أنني سأنفحك بذنحات ترضيك فخذ اليراع وصور ما سأسوقه اليك ثم
ودعني وانصرف .

لمحت بعد هنيهة طفلة جميلة كأنها دمية جاد بها بيان (فدياس) تعدو فوق بساط
العشب الزمردي وهي تمارد فراشاً جميلاً كأنه استعار برداً من ذلك الشفق ، أو
كانه قطع من وريقات ورود مختلفة الالوان خيط بعضها الى بعض أو صفائح الجمان
رصعت بزبرجد وياقوت ومرجان وما لبث أن حط هذا الفراش فوق صدري كأنه

يتوسل اليّ أن أنقذه من صائدته الرشيقة فمسحت الطفلة ولاطفها قائلاً :
أتدعينني هذا الفرش المسكين بصورة جميلة تماثلك ولقافة شبيهة من
(الشكولاته)

— انك تخدعني ربما يفلت صيدي
ثم منحتها الثمن فتهللت وهرولت الى مربيتها وطفقت تفاخرها بشمن صيدها
هدأت روع الفراش وطمأنته وقلت له :
اننى أحبك حباً جماً فلا أستطيع مفارقتك فهل ترافقني الى داري لتعرف
مكانها عليك تزورني من آن لآخر وتتخذني صديقاً وفيّاً
— ذلك ما كنت أبعيه فاتي مدين لك بحياتي .
ثم رجعت الى دراي وصديقي مخلق في العلا متتبع خطواتي الى أن وافيناها
فقلت :

— أهلاً بمثال الرشاقة واللاطف ، أهلاً بآية الجمال والخرف ، مرحباً بصاحب
البرد المزركش ، والطليسان المرقش ، دونك أزهاراً نضرة من ورود وورجس
وسوسن واقحوان ، فاقتعد منها ماشاء وارشف ماشتهي من رحيقها . ثم افتح لي
صدرك وخبرني عن سرائك وضررائك

— اننا معشر الفراش خلق فتن بالازهار والرياض لانا كل إلا رحيقها
ولا نشرب غير نديها نانس بها ونانس بنا وتحبنا ونحبها وحينما يرانا الانسان
متعانقين يتملكه الحسد وينقض علينا ويسمر جناحين بیره ثم يحقننا بسموم تكون
لنا قاتلة ومخطة ويحفظنا في رموس من الزجاج ويتخذ من رفاتنا زينة ، ومن عفتنا
ذخيرة اننا نحسن للانسان وهو لا يدري . ونعمل له الخير دون أن نعلمه اذ لا نريد
جزاء ولا شكوراً نحن الذين يبدعون له كل يوم من مختلف الثمار مايلذ له ، ومن
شائق الازهار مايفته نحن وحدنا الذين تفتيح لهم عاشقاتهم الازهار تغورها
لنلقحها من أبناء جنسها فنحدث لهم ألوانا شتى تسر الناظرين ، فياله من قاس ظالم
نعامله بالاحسان ويكافئنا بالعدوان

— هون عليك أيها الصديق البار فقد جبل الانسان على الظلم والعدوان وان أردت أن تتقى شروره فاعتزله واهرع الى الغابات العذراء واتخذها لك وحدك جنة تنعم بسكونها وترتشف ثغور زهرها وتنتعش بنسيم صباها وشميم شذاها ، وحبذا لو تفضلت وزرتني من فترة لاخرى حتى أنعش النفس بحديثك الحلو وأمتع الطرف بجمالك المتجدد وتيقن انك تجد عندي في كل الاوقات من بديع الزهر ما تشتهي ان تقفات منه وتنعم به

ليتي أوتيت حريتك وهناءك ! ليتني وهبت جمالك ورشافتك ، فانتقل من الزهرات الى الثمرات ، ومن العيون الجاريات ، الى شائق الجنات ، ومن الندي البليل ، الى النسيم العليل ، تتخذ من ثغور الازهار مضجعا ومن وريقاتها المزرية بديع الديباج غطاء ، ومن أوراق الافنان عرشا وسما

— سنلتقي قريباً فلا نخش فراقاً طويلاً أيها الصديق الوفي ، والمحسن السخي — على الطائر اليمون ، تشييك المهج والعيون ! سلام ياملك الجنات ! سلام يامبدع الثمرات والزهرات ! سلام يارب الرشاقة والجمال ، سلام ياحلو السمائل والحلال !

الادب مليف الشقاء

يرتاح روحي ويبتهج فؤادي لقراءة سطور الشقاء وآيات البؤس والآلام ارتياح أذني لسماع ألحان الاشجان ، ونعمات التأوهات والاحزان ، ويهدأ ثأري وينعم بالي لرؤية تمثيل الفاجعات والا كدار ، ومطاردة القضاء ومعاندة الاقدار كنت ذات يوم منفرداً مهجوماً مكروباً أستعرض جيوش شقائي ، وصور بؤسى وبلائي لا أجد بجابي فؤاداً رحباً أشكو اليه بي فيسكن آلامي بكلمة حلوة أو عبرة مفرقة آنس منها عطفاً واشفاقاً

كبر علي الزمان أن يرى بجانبى فؤاداً رحباً يتوجع لبلائي ، ويتهلل لسعادتي
وهناقتي ، ويؤنسني في وحدتي ، وبسلينى في وحشتي ، فاختطف أماناً حنوناً بارة
صالحة فذهب بذهابها آخر قلب شفيق وخاتمة العزاء والسلوان والرحمة والحنان
وبينا أنا مطرق الرأس مسترسل العبرات اذ شعرت بيد لطيفة تمسح رأسي
المطرق ، وطرفي المغرورق . نظرت الى الطارق فاذا هو طيف الشعر بوجه
المشرق وثغره الباسم بقول : « بجانبك كتاب جديد لم تقرأه بعد وهو خير عزاء ،
وأجل شفاء »

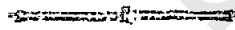
أسرعت الى الكتاب وطفقت أقرأ صفحه بشوق زائد وارتياح عظيم فاذا
هو يسطر تاريخ (ديبورد فالمر) الشاعرة المجيدة الفرنسية مع نخب من قريضها .
كانت آية في الجمال ومثالا للرشاقة والرقّة تشجي النفوس برخامة صوتها ، وتفتن
القلوب ببراعة تمثيلها ، وتسحر الخواص برائق شعرها ، ورائع بلاغتها
لم تؤثر جميع هذه المحاسن الخلابية ، والشائلل الجذابة ، والمواهب العظيمة
الفتانة في الدهر حتى يرق لها ويشفق عليها ، بل ناضلها بفاجعاته وشقائه نضالا
يشيب لهوله الولدان ، ولم تجد في مشارق الارض ومغاربها راحما يتشلها من وهدة
البؤس ويحميها من عدوان الزمان

فكرت طويلا على أفهم أسرار الزمان في مطارده لاهل الادب وأصنامهم
بنبال الشقاء ، والالم والبلاء ، حرت في أمري فهرعت الى طيف الشعر مسائلا :
— أيها الطيف الخالد ! والخيال الخواب ! لم يعادي الزمن أبناءك
الأوفياء ، ويسالم الجهلاء الاغنياء ؟

— لولا هذا العدا ، لما اقتعد الاديب هذه الذروة الشماء ، يطعنه الزمن
بخنجره فيوقظ حواسه الهاجعة فينبعث منه أنين الشعر الساحر كما يطعن الموسيقار
مرزهر بريشته فينطلق منه صوته الفتان ، بشجي الانغام والالحان
أفاض الله من نوره على يسره وقلبه ، وسمعه وشمه فرأى جمال الطبيعة وهي

عارية وفهم نظامها وانسجامها ، وسمع أنعام طيرها ورياحها ، وشم عرف شذاها
أرسله ربه هاديا للضالين ، ومعلما للجاهلين ومعزيا للمصابين ، وملطفا
لشقاء البائسين ، يحسد الأغنياء الاغنياء على ما أوتوه من حطام الدنيا وما مثلهم
إلا كمثل الانعام السائمة في المروج الخضراء لا تدري من الدنيا إلا أن تملأ
كرشها وتتمرغ في روثها

خبر الشعراء أنهم اذا شاقهم تراث الدنيا هبطوا من مقام الملائكة الشريف
الاعلى ، الى زرب الانعام النجس الادنى ، فينطفيء نور حجاجهم ، وتغلظ قلوبهم
وأكبادهم ، قل لهم ان لا يتركوا الشعر يبرعد ويبرق في صدورهم لئلا يقضي عليهم
وهم في ريعان شبابهم فتحرم الخلائق من برهم وخيرهم
أنبئهم بأن لا يكظموا أنبيهم المطرب ولا يحمداؤا وهائمهم المشجية قائما عزاء
لهم ولغيرهم من المنكودين وتسبيح ونمجد للخالق وان صادفت وقرأ في آذان
أهل الارض فسيسمعها رب رحيم عادل



الصرافة

كنت ذات ليلة ساهراً بغرفة مطالعتي ثم أقرأه القسم الاخير من كتاب
(سان مار) لفخر شعراء فرنسا وحكائها (الفريد دوقيني) وقد وجدني من
شدة التأثير زائد الحرارة ، سريع التنفس ، مستجمع الحواس هائج الانصباب ،
وكان حروف الكتاب قد تجسمت أمام عيني حتى خيل إلي أني أراها من وراء
منظار ، وكنت لا ألبث ان أبدأ الصحيفة حتى آتي على آخرها بسرعة غريبة
دون أن يفوتني شيء من خفي معانيها ، ودقيق مبانيها ، وبعد مرامبها ، وما وصلت
لآخر الكتاب حتى زاد اضطرابي ، وغاب صوابي واغرورفت عيناى رحمة

وحانا لحائمة فتين جنى عليهما قلبهما الشريف الرحيم ، وثكاؤهما الحاد العظيم
ذهبت كالمحموم الى فراشي وطفقت أستعرض في مخيلتي صور مآلوتيه من
آيات البؤس وسطور الشقاء وأليم العذاب مأخر نومي وإطال سهادي . ثم أغنيت
عند تباشير الفجر وأنتدني النعاس من متاعبي وآلحي فانتقلت الى عالم الاحلام
رأيتي سائراً في واد عظيم لم ار مثله في المقام الدنيوي يشته نهر كبير تحفه
من الجانبين سلسلتان من جبال منحدرة جلاتهما رياض غناء ، وغابات غلباء ، أشجارها
كاسية من أزهارها البديعة ، وبعضها مثقل بثمارها الدانية الياقة ، تصدح فوق ايكها
بشجي أنغامها عنادل وشحاحير تجلببت بمخوف الرياش ، وقد انتشرت وسط هذه
الجنان قصور شائقة شاهدة بنيت جميعها بدوق سليم ، ونظام عجيب ، وانسجام
تام . فكانت لمحة من العين كافية لأن تلم بجميع هذه القصور المبثوثة في سفوح الجبال
الخضراء كأنها منظر من مناظر الطبيعة نقشته ريشة (كورو) وعلق فوق حائط اخضر
رأيت النهر كالماس في صفائه واستشف ناظر ابي فراره فشاهدت فيه شعب
المرجان وأصداف الأولو واسماكاً ساحجة تبهر الرائي بجمالها والوانها
وبينا أنا مفتون بهذا النعيم إذ شعرت بيد لطيفة مست كتفي من وراء فالتفت
فأذا هو (دوتو) فعانقني وقال : « مرحباً بذي القلب الرحيم الذي رق لبؤسنا
وبكى لمصابنا الدنيوي . هيا بنا الى قصر (ماريون دلورم) فلربما نجد عندها أخلب
الاخوان والاصدقاء »

صحبته الى قصر تجمعت فيه اسباب السعادة والهناء وانبعثت منه ملذات تسر
النواظر وتشنف الاسماع وتقتن القلوب ، فابتهجت لرؤية (سان مار) وبجانبه
خطيبته (لادوشيس دومانتو) تلك الفتاة الفتانة و(كورني) و(مانتون)
استقبلاني الجميع بترحاب وشوق وشكروا . آسود مني من عطف وحنان
ثم أنشأت (ماريون دلورم) تمازح اصدقاءها وتداعبهم برشاقها المعهودة وجمالها الفتان
وحديثها الساحر فاقبلت من وراء (سان مار) وخطيبته ومسحت خديهما الناعمين
بيديها المزريتين بأيدي الدمي قائلة : « الآن وقد التأم شملكما ، وكفكفت

عبراتكما ، وزالت آلامكما ، تعممان بالحب والحرية بعد ما كنما لا تتمكنان من
محاذية بعد شق النفس في زوايا مذبح الكنيسة وهي مقفرة دون أن يسبقكما عين
(ريشليو) . اراكما الآن تقرأن في عيونكما آيات الحب العذري (كبول وفرجينى)
ثم انتقلت الى (كورنيى) وقالت له : « قد ارتحت من نكد الدنيا ونسيت
نعلك التى كنت تنتظر الاسكاف ريثما يخصفها لك وانت حافى القدمين وزالت
غضون وجهك وصرت تشنف أسماعنا وتفتن نفوسنا بشعر أبلغ وأرق من شعرك
الدينوي »

ثم جلست الى (ميلتون) وقالت له : « الآن وقد نسيت ازدراء خلائي وعدم
اهتمامهم بك حينما كنت تقرأ لهم قصائدك فى الشيطان بهو منزلي بباريس ، وكيف
الجأك الدهر لان تكون كاتم أسرار لعات جبار الجم فالك ، وكيف رسفت فى اغلال
العمى والشيخوخة بعد أن عضك الفقر بنابه فأصبحت الآن ولا هم لك الا ان
تختال فى برد شبابك القشيب وتتنقل فى الرياض تنقل الفراش المفتون بيدع الازهار
وجيل النوار »

رجعت (ماريون دولورم) الى كرسياها واقترحت على (دوتو) أن يقوم فى الجمع
خطيباً ويحدثهم عن الصداقة وقالت له : « إنك صرفت شبابك فى دراسة علم الاجتماع
والفلسفة والقوانين وكنت أنت و (سان مار) المثال الوحيد فى الدنيا للصداقة والوفاء
فلبى الامر وانشأ يقول :

« لم يخلق الله فى الدنيا نعمة أجل من الصداقة إذ هي حب مقدس أنزله الله
على قليين طاهرين شريفين متماثلين فى الصفات والاخلاق فأصبحا وقد استنار
فؤادهما بنور الله يقرأ كل منهما ضمير الآخر ويفهم ما يرسم على جبينه وعينه
من صور السرور أو الهموم فلا يلبث أن تنعكس هذه الصورة فى نفسه ويشعر
بعين شعور صديقه فيتوجع لبلائه ويتهلل لهنا ، ته

لا صداقة بين صغير وأمير ولا بين شريرين فما الاولى إلا تمليق وما الثانية
إلا اشتراك فى الجرم

شاهدت في حياتي الأولى أن بعض الناس يتخذون الصداقة التمثيلية وسيلة
لنيل مآربهم وقضاء أغراضهم وما هؤلاء إلا مداهنون منافقون
كان يكفيني من الصديق عاطفة حنان وحب ولكني ما كنت لأعثر عليها
عند أغلب هؤلاء الاصدقاء. بؤسهم فما وجدت فيهم غير مخلص وفي واحد اعتمدت
عليه وشا طرته هنائي وشقائي الى أن حز رأسينا ذاك الطاغية الجبار وأراحنا من
آلام الدنيا وفاجعنا منها،

صفيق له الجميع تصفيق الاعجاب قائلين : " لافض فوك أيها الحكيم "،
وافتنى (ماريون دولورم) باسمه الثغر ، بادية البشر ، وجلست الى جانبي
تلاطفي قائلة : " أما يهدأ بالاك وترقأ عبرتك ما رأيته من نعيم مقبر ، وفرح غيم
فأولى لك بعد مشاهدته أن لا تتأثر مما قرأه من سطور شتائنا وصور بؤسنا
والأما فقد أنستنا هذه السعادة الدائمة جميع ماضينا النعس المنكود
وبينا أنا متمتع بهذا الحلم اللذيذ إذ دوى في أذني صوت مزعج كأنه استغاثة
مكروب أو صراخ مدهوف : " خبازي يا ورق العنب ، فانتبهت من سباتي وأسفت
لمبارحة هذا النعيم المقيم ، والملك الفخم العظيم

~~~~~

### جمال الازهار

تباركت مبدع الكائنات ، وبارئ المخلوقات ، ومجمل الغبراء ، بالجناسات  
الغناء ، والغابات الغلباء ، ومرصع النبات بشائق الازهار ، وفاتن النور ، لقد  
تجلت قدرتك ، وظهرت عظمتك ، في الزهرة مثال الجمال ، ونموذج الحسن  
والجلال ، وآية البهاء واللطف ، ومنبع الرشاقة والظرف . كيف لا وقد سناها  
الندى بطله المنعش ، وحملت اليها الصبا عبيرها الاريج ، وأرسلت اليها الشمس  
من أشعتها العسجدية الواناً شتى تسر الناظرين

انها انعيم الدنيا والآخرة عند أولى الابواب وفتنة الشعراء ، اذ هي مبددة

أحرانهم ، ومسرية أشجانهم ، وطاردة وحشتهم ، ومفرجة كروبهم ، ومفرحة  
قلوبهم وأعظم ذكرى لجليل صنع الخالق

لما الله فضاءً غليظ القلب عبث بهذا الجمال ، ولم يشفق على تلك الرقة وذاك  
اللفظ فقطع أعناق الزهر وشد عليه ييد جافية قاسية ، ودس أنفه فيه ليشمه فهشمه  
وأحرقه بانفاسه المتأججة بنار الشره ثم طرحه في مواطئ النعال حينما يسلم روحه  
إلى الصبا وجماله إلى الشمس ونضارته إلى الندى

مجد الاقدمون الزهر حتى قال اليونان ان بعضاً من العظماء في الميتولوجيا  
استحال إلى أزهار اذ رووا أن النرجس كان شاباً رشيقياً غض الشباب وهب جمالاً  
ساحراً ، وحسناً نادراً ، يدعي (نارسيس) فافتنت به الارباب الاقدمون والخور.  
وفي ذات يوم امتد فوق العشب ليشرب من ماء عين رائقة ساكنة فابصر  
نفسه على صفحات الماء فحاول أن يملك شخصه الآخر المرتسم على الماء فلم يستطع  
فطفق يتخبط من الغيظ حتى مات واستحال إلى نرجسة

كما انهم أطلقوا اسم كثير من سسان الخور على بعض النباتات الجميلة مثل  
( اماريليس ) و ( نيرين ) و كانتا من حاشية ( ديان ) ربة الصيد واشتهرتا  
بحسنهما الغتان

\* \* \*

رحت ذات يوم إلى داري بعد انقضاء أعماله و كان يوماً عصيباً التهب فيه  
الجو فأصبح كتور اكابه السجر واسعده الوقود ، وفرت الصبا من بطش الهاجرة  
وأرسلت الغزالة سهاماً محترقة صائبة فرأيت أزهار حديقتي وقد مالت أعناقها ،  
واقبضت وريقات تويجها ، وكاد يكدرها ، ألوانها تستغيث وهي صامته بعبرات  
استعارتها من قطر الندى واختلطت برحيقها المعول ثم علقت بأهداب الازهار  
كانها اقراط من ماس متدلية من أذن نرزي بالورود ، فهزلت اليها واقطفها  
بسوق طويلة ووضعتها في أنية بلورية ملئت زلالاً بارداً . نسيت غذائي وجلست

متلهفًا بجانبها الى أن انتعشت وعادت اليها نضارتها وزهاؤها وتصوبت أعناقها  
فناجيتها بهذا النجاء :

ليبك أيتها المخلوقات الرقيقة ، سعديك أيتها الاجسام الرشيقة ، لقد رجعت  
اليك من أقصى المدينة مسرعًا لانتفك من شر القيظ ، اني أغار على جمالك  
الفتان فلا المسك ولا أقرب أنفاسي المحرقة من جسمك اللطيف ، بل أفنع باطالة  
النظر اليك والاعجاب بمحاسنك الخلابة وأرضى بما ترسلينه الى من شذاك مع  
نفحات الصبا لأمد في حياتك ويطول نعيمي وهناءتي وعسى أن يقتدي بي قومي  
ويرأفوا بهذا البهاء واللطف ، فان الزهر لحري بالعناية والحمان ، والرحمة  
والرضوان

~\*~\*~\*~

#### الاعمال

ألفت النفس منذ طفولتها ان تخلص الى الدعة والسكون وتنفّر من جلبلة الجماعات  
وتستشع هرج الناس ومرجهم في مواسمهم وأعيادهم وما فتئت تصبو الى العزلة  
مؤثرة ان تسامر كتابا قما أو تناجي زهرة جميلة حتى أصبحت تعد الدار جنتها  
الفيحاء ، ونعيمها المقيم

ياما احييلي ليلا ينقذي من نصب الاعمال وقيظ النهار الوهن للقوى والمشتت  
للخيال . ما اشهى ليلا سعيداً يساهني الى الراحة وينعشني بنسيم عليل يحمل شميم  
الازهار ويقرني من طيف الشعر ويسكرني بنشوة الامل والامال وينسيني الآمال  
تتجدد ، وشقاء ينتاب ويتردد

أهرع في الليل الى طفن اكتنفته الصبا وامتدت أمامه الرياض والحقول  
وسكن اليه القمر فما برح يمر فوفه وينيره

لاحظت بين النجوم كو كبا دريا ما انك يطالع فوق رأسي وهو اكبر مما  
حواله وأشد اماناً فصبت نفسي اليه وحسبته نجما المسير وطالعتها الذي يكتم في  
صدره أسراراً يتطلع اليها روعي ولا يدري ان كانت خيراً أم شراً

أقضي هزيعاً من الليل وأنا شاخص الى نجمي المحبوب وهو يدسم لي في تلالئه  
وينظر الى نظرات فترات ملؤها العطف والحنان ويرسل الي من السماء بحية مباركة  
تكد تنسيني الوجود وتغرقني في بحار الآمال وتقتادني الى اليد الاحلام  
قوات في سماته الفتانة انه يناجيني :

— انى اكلاك بعين عنايتي وابشرك بمستقبل باسم ينيلك آمالك ويسكن  
آلامك وينسيمك مصائبك التي لولاها لم تعرف لذة العيش ولا هناءة النعيم  
استمر كوكبي العزيز يؤرجحنى بنجائه الفتان والنسيم يسكرني بعبيره الاربج  
حتى تحدرت أعصابي فأغفيت

فارقت هذه النشوة وهذا النعيم الذي أعده فخماً وبراء غيرى حقيراً وانتقلت  
الى عالم الاحلام فتمثلت لي مسارح شقائي وصفوف اتراحي وعمائي فتبدل فرحي  
كرباً ونعيمي بؤساً وبلغت الروح التراقي فقيض الله لي بعوضة اسعطني فاستيقظت  
وأنا خافق القلب زائد الحرارة اتصيب عرقاً

وجهت طرفي الى نجمي وقد خالجنى الشك وساوري الارتياب قائلاً : ايها  
البدر الزاهر ! يامن هو مثال الحسن الساحر ! حاشاك أن تغر منكوداً اخناه زمانه  
وخذله قومه وأخوانه فلم يجد راحماً في الغبراء أو مسلياً في الضراء !

أجلك وأنت في عالمك العلوي الطاهر انت تخدع ذلك الكائن الواهي  
فيسترسل في أمانيه ، ويفتر باضغاث أحلامه وسخيف أوهامه

أنبتني بمصيري أيها النجم الخالد فلست ممن يضيع عندهم السر أو يأسفون على  
حياة تعسة محوطة بضروب البلاء

ارح فؤادي من شك يكاد ينهشه وقلق أليم يساوره ويضايقه وان كنت  
تعلم أنه قد حم القضاء وجف القلم فلا تغيير ولا تبديل فمن على بضجعة لا يقظة بملها  
تريح جسماً واهياً ، وتغيث قلباً دامياً

## / أميرها البدر

هاجت الرياح وثارَت السافيات مقلّة سحباً مكفيرة من العجاج حجبت  
الشمس فاغبر وجه الارض ، واستتر جمال الطبيعة ونورها ، وغطت زجرجة الرياح  
على الحان العنادل والشحارير ، وهدير الحمام ، وغناء التمرى ، وحفيف الاشجار  
داعيتها الصبا ، واستكننت الاوانس والاطفال في مغانيها ، وانكشت الانعام في  
حظائر ها ، وافقرت الرياض والخلوات ، وابس الجو ثوب حداد قائم  
اعتكنت في داري ولم أمتع بنصف هذا اليوم الذي أستريح فيه من عناء  
الاعمال ، وطفقت أرقب هذا الجو الاغبر من وراء زجاج الكوى وهو يعبث  
بازهار حديقتي ويلوثها بادرائه فساورني الضيق والسأم كالسجين المحزون  
ما لبثت السماء ان جادت بغيث هتان بدد الغبار ، وغسل الاشجار وارجم  
الى الازهار نضارتها وزهاءها فابتسم وجه الارض ، وصفا الجو ، وعاد الطير الى  
غناؤه متمقلا على الغصون الميادة

خرجت من سجن الحجر قبيل العشاء وكث الهواء ساكناً هادئاً كليالي  
الربيع ، فجلست في طنقي وقد أشرق البدر بسناه الناصع المتألّي ، كأنه درة وهاجة  
فوق بساط من البرسم لازوردي

كشف البدر ماستره الغبار ، وأظهر جمال الطبيعة وبهاء الزهر الذي نشر  
عبيره الشذى فانهشني بسرور وبشر لا يوصفان ، ورمى عليّ أشعته الوضاءة  
فكساني بطيلسان فضي

فتننى القمر بجماله الساحر وخدر حواسي المضطربة من الحبس والضيق وخيل  
اليّ أن ضوءه الذي جلّنى يد حسناء فتانة تشفى جريحاً بدمعات نخجل وميض  
البروق وتمسحه بيدها اللطيفة المسكنة

لم أجد جليسا يؤنسني خيراً من البدر فأطلت النظر اليه وناجيته بهذا النعاج :

— ايها البدر الختال بشابه الغض وفتوته المتجددة ! ليت شعري كيف  
يتماذى الجاحدون في طغيانهم وينكرون آيتك البينة ! امهلتهم من شهر الى شهر حتى  
كوت الحقب وهم في غيهم يعمهون  
ايها القمر الجائل ! يقولون ان الكواكب هي التي تسير العالم وتتصرف  
فيه ، فسلط زحل على من يجأرون بحجود ران على قلوبهم ليخرس السنتهم وبسبب  
عقولهم ويتركم يتخبطون في البؤس والشقا ،  
ايها البدر ! سلط سحبك المعتمة لتكون حائلا بينك وبين من انعم الله عليهم  
فكفروا بانعمه وانكروه  
ايها القمر ! حرض كواكبك لتسقط عليهم شهباً ثاقبة تطهر منهم الارض لئلا  
تنتشر عدواهم الى الصالحين  
أيها البدر ! اصبح هؤلاء الزنادقة كالجيف تنبعث منها الروائح المنتنة فتسمم  
الهواء والماء ، فارسل اليهم ريحا صرصراً عاتية تحملهم الى أعماق الدأماء فلا تذر  
منهم باقية  
أيها البدر ! اشهدك يوم الدين انني برى من هؤلاء الشياطين ، ولو أستطعت  
أن أجازيهم بما نمت لهم لما احجمت ، فأكتفي بصب اللعنات على رؤوسهم الممقوتة  
الى ان يبطش بهم الجبار ، ويساقوا الى النار ، وبئس المشوى والقرار .

### — النور —

سلام أيها المثل الاعلى ، تحية طيبة يامن هو زين الكائنات ، أدامك الله للنفوس  
بهجة وللقلوب ملذة ، وللعيون مسرة  
سلام واجلال ، لمثال البهاء والجمال ، سلام يا فخر الكمال ، وعنوان العظمة  
والجلال  
أنت مسير الاكوان ، أنت ميزان الزمان ، أنت المطلب الاسمى للانسان ،  
أنت أعظم أمنية للنبات والحيوان ، أنت مفرج الكروب ومبديد الاحزان

تهابك الاشرار، ويمتلك الفجار، وتنفر منك السباع العاتية، والهوام المؤذية  
كثيراً ما تساورني الاحزان، وتطاردني بجيوشها الاشجان، فتبعد النوم عن  
الاجفان، ويتجافى جني عن الوساد، وأقضي ليلي حليف ألم وسهاد، أنشد مترجماً  
لكربي، ومنجياً من ألمي ووصي،

ما أطول الليل على ما لم ينم! اذ تعرض على في ظلمات الليل الاليل مناظر  
الهموم المروعة، ومسارح الآلام الفاجعة، فاظن أن ليلي أطول من دهر، ولا  
ينفك اليأس يصارع مني الصبر، حتى يصيح الديك بنشيد الفخم، وهو سلوان  
المكروب، وعزاء المغلوب، والمبشر باقتراب الصباح، وانتهاء نضال الاتراح  
مر هزيع آخر من الليل ولما الملح قباشير السحر، فعاودني اليأس وقلت لعن الله  
الكذب وما أشنع اذ تسربت جراثيم دائه الى الطير وأصبح بعض الديكة يؤذن  
قبل الفجر

سمعت بعد هذه من الليل مؤذناً رخيم الصوت ينادي حي على الفلاح فقلت  
أفلح من صدق ولا فض فوك ولا زال يردد في الليل البهيم صدى ألقانه التي تخفف  
عن القلوب أثقالها، وتسكن أوصابها وآلامها، وحمداً لله على قرب انتهاء العذاب  
وترمت بقول القائل

اشتدى أزمة تفرجي قد آذن ليلاك بالبلج

وما لبث أن بزغ الصباح وأقذني من عذابي المستمر فهزلت الى الكوة  
ورفعت عنها الاستار وفتحتها وناديت نداء المتهلل الظافر: سلام يا مفرج الكروب  
سلام يا مفرج القلوب، سلام أيها المخلص من الآلام الثقيل، سلام يا روح الجمال،  
سلام يا سر الجلال، سلام أيها النور، الف تحية طيبة مخضلة ببليل نورك، معطرة  
بعرف أزهارك، تحملها الآرام الرشيق السارحة، وتبلغها المنادل الصادحة

انك تتجلى فوق الاشياء فتظهر جمالها الخفي وخبائها المستور المزيّف وتبين  
خائنة الاعين وما تخفي الصدور، فبارك الله فيك أيها النور! وخلدك مدى الازمان

والدهور!

أنت الذي تمنح النبات خضرته الزاهية ، والازهار ألوانها البديعة الموثقة  
وتطلق الطير والحيوان من سجن الليل فتطلق وقت تبلجك من أوكارها وحظائرهما  
متهالة صادحة باغمة : بوركت أيها النور البار

تسل صارم سطوتك في وجوه الاشرار ، فلا يظهرون وقت تجليك ، وتسدد  
نظراتك الرائعة في وجوه الفجار ، فيركنون الى الفرار ، خشية الفضيحة والعار  
تجنبك السباع واثقة من انك ترشد اليها كل قناص وصياد ، وتحذر الايائل  
والمهامن وثبات الضارري وتمنحها حمة في أبصارها ، تكفيها غائلتها وشرورها  
وتخاف بطشك الهوام والجراثيم فتستكن في جحورها ، وتكش في بؤرها

أنت الذي تنفذ الى العقول حينما تستغيث بك لحل المعميات فتفيض عليها  
من المفحات العلوية ، والفيوض الربانية ، ما يحل عويصها ، ويظهر مكنوناتها ،  
أنت الذي تتجلى على الفكر فتنفحه برائع الخيال ، وساحر الشعر ، وبلغ  
القول ، وجيليل الحكم ، فتطلق الالسنه قائلة : سلام أيها النور، سلام يامسير  
الاكوان ، سلام ياميزان الزمان



### - الظالم -

ثبت يداك أيها الكافر الباغي ! شككتك أمك أيها الظالم الطاغى ! توات  
عليك اللعنات ! وصبت فوق رأسك الحن والآفات !

تنفض على الابرار بدياجيرك المروعة وآلامك ومصائبك الفاجعة ، فتعمي  
منهم الابصار وتسد عليهم المسالك ليكفوك شدة المطاردة ويقفوا بين يديك حيارى  
أذلاء كسخال وديعة ترتعد أمام ذئب ضار ثم انقض عليها يقر بطن هذه ويشق  
ظهر تلك

فثلك كمثل الصائد الظالم يحرض بازيه على ظبية الكناس فيقتأ عينيها دون  
رحمة ولو كان له قلب لما استطاع أن يثبت أمام ما تسدده اليه من نبال عينيها

الدعجاءين أو يسلم من سحر جفومها الوطفاء فتتخبط المسكينة تخبط من مسه الشيطان  
وعيناها غارقتان في دماثها تنشدانه دون جدوى نوراً يهديها الى كناسها ويربها  
جمال آرامها

ترمي شباكك السوداء على العالم وهو مطمئن فتخرجه من نهر الهناء ، الى  
لظى العذاب والشقاء ، ترسل أعوانك الاشرار ، الى الطيبين الابرار ، فيسلبونهم  
اعيمهم ، ويحرمونهم هناءتهم ويعكرون صفوهم  
ماعدت أعوانك الاكلخفافيش والبوم ينامون النهار ويقومون الليل فترشدهم  
لاختلاس الاموال وقطع الطرق وازهاق النفوس وهتك الاعراض  
تسلط علينا الشرور كحجر القى وسط خيالة أوت اليها الافاعي فهاجها من منامها  
وخرجت غضابا فاغرات أفواهها تنهش كل من تصادفه

اخترت لك الاشرار والفجار حاشية ، والسباع الضارية جنداً ، والهوام المؤذية  
تبعاً ، والجرائم الفتاكة خولاً ، فتهدم ما بناه النور ، وتنسد ما يصلحه  
قاتلك الله أيها الانسان ما أظلمك الو آس منك ربك انصافاً لما أوجد  
الظلام . عرف منك الجشع والعتو فارسل اليك الظلام لتسكن فيه وتعطي لبدنك  
وعقلك نصيباً من الراحة يؤهلها لمواصلة العمل ومداومة التفكير  
تسدل أيها الظلام وشاحك الاسود على الطبيعة الجميلة المشرقة الحية الناطقة  
فتستر جمالها وتطفى أنوارها ، وتقف حركتها ، وتلجم أفواهها ، وتقطع الحانها  
وهيمج أشجانها وتثير آلامها

حنانك اللهم ورحمك ! فقد صبرنا على جميع فاجعات الظلام وتسلط على  
أموالنا وأرواحنا وأعراضنا وآدانا فلا تدعه يتسرب الى عقولنا التي بقيت لنا من  
حطام الدنيا فنصبح كالانعام أو أضل سبيلاً ، وان سبقت به مشيتك فامتنا  
ولا تترك هذا الكافر يشوه خلقك الكريم ، يانعم المولى ونعم الرحيم

## الابحاث الفلسفية والديسيكولي جية

### الموسيقى والفلسفة

#### مقدمة

نشأت وشبت معي عاطفة تجذبني نحو الكمال والجمال وما فتئت هذه النغمة العلوية والجدوة الربانية تتوقد في فؤادي ويشور ثأثرها كلما تجلى لها الكمال والجمال بأبهى مظاهرها ومعانيهما في أي كائن كان من صنع الخالق أو من مبتدعات فنون الانسان

أنازلت هذه الشعلة بصيرتي وباصرقي فأصبحت العين تنفذ في اعماق ما يفتنها فترى فيها جمالا ربما كان خفيا لا يدرك معناه كل من رآها كما انها لا تعزب عنها عيوب استترت تحت جمال كاذب يغر كثيرا من الجهلاء السذج

شفقت بالموسيقى وحلت من فؤادي المحل الارفع فأصبحت لي في الداء شفاء وفي الحزن سلوانا وفي البؤس سعادة نرتاح اليها نفسي وينعم بها روحي

رويدك أيها القاريء فلا تتهمني بالشطط والمغالاة فانك لا تلبث أن تسلم بما قلت حينما ارفع لك الاستار واكشف الحجب عن محاسن تفتن القلوب وجمال يسلب النهي وقدرة عظيمة واسرار مدهشة حجبا جهل فظيع ذهبت غشاوته بالابصار وانقلت أعراضه الى الآذان فأصمتها والى القلوب فأعمتها واصبح الفن عندنا كالحسناء فتلكمها الداء الدفين والفقر المدقع فضلت هائمة على وجهها متسرلة بأطمار بالية سترت مابقي فيها من آثار الجمال فنفر منها مريدوها وهجرها محبوها

اختلفت منذ سنين في صدري فكرة اظهار آيات جمال الموسيقى الخفية وأسرارها العلوية فوجدتني عيا لا أستطيع أن أجهر بوجودان أشعر به غير كاف للتعبير . فهو وان كان جله صادقا فانه يعوزه الدليل القاطع والحجج الدامغة

أردت أن أستعين بالمؤلفات الأفرنجية فنقبت طويلاً فلم أعر على ضائتي المنشودة لأن هذا البحث لم يطرق إلا حديثاً فصبرت ردحا من الزمن إلى أن وفقني الله للعثور على بعض المؤلفات الجليلة التي تبحث في الموسيقى والفلسفة وكلها لأفاضل المعاصرين فعمدت إلى دراستها جميعها لأنما هذا الشعور وتهذيبه وسأوفي القراء بصفوة ما أحرزته بعد تبويبها حسبما يلائم مشربنا متوخياً أسلوباً جلياً واضحاً تفهمه العامة قبل الخاصة لعلني أكون بذلك قد أدبت بعضاً مما يفرضه علي الواجب الاجتماعي ليس المقام مقام بحث في الفلسفة وتعريفها وتقسيمها ولا مقاماً يتناول الموسيقى من الوجهة الفنية والعملية بل مداره أظهاره فضل الموسيقى وأسرارها وعلاقتها بالفلسفة والشعر وتأثيرها في الأخلاق والعادات ونفوذها وقوتها في السحر وتأثيرها في الحيوان

الموسيقى قوة عظيمة فتانة ساحرة بل هي فن يعبر به الإنسان عن وجدانه وشعوره بأنغام أفصح من النطق وأبلغ من البيان وأقرب منهما تناولاً للأذهان . الفكرة الموسيقية مظهر لإلهام عام عميق غامض ولكنه مفهوم لدى العالم الإنساني الموسيقى هي لغة النفس التي تنعم بصفاتها وسعادتها ومقرها أرقى من الحياة الحقيقية وقد قال ( لوتير ) : « اتى أضع بعد الالهيات مباشرة الموسيقى وأمنحها الشرف الثاني » . وزاد عليه ( بيتهوفن ) نابغة الموسيقيين إذ قال : « الموسيقى وحي أعظم وأرفع من جميع الأخلاق والفلسفة إن هي إلا رحيق ينبعثنا ويؤهلنا لجديد الابتداع بل هي الحياة الخيالية منضمة إلى الحياة المادية وهي الموصل الوحيد إلى العالم الأعلى عالم المعرفة الذي يشعر به الإنسان ولا يستطيع ولوجهوبها ندرك العلم الكامل الإلهي » الموسيقى هي التي تترجم وتنشئ الحالات النفسية العميقة بل هي ألفت ما انبعث من العنقول . الموسيقى قوة رفيعة لطيفة للحياة الأدبية . إن هي إلا شعور وفكر في آن واحد . الموسيقى هي لغة الحب الافتدة بل حليلة الخيال وزينة التصور الموسيقى لغة غريبة المعاني خفية الأسرار توقظ القنوس وتحاطب الشعور مباشرة بغير واسطة . وقال ( فاجنر ) الموسيقي الطائر الصيت : « القلب هو الصوت وما الموسيقى إلا لغته الفنية بل الهوى الذي يفيض ويسيل من الافتدة

وقد اظهر الموسيقي الفرنسي الشهير (برايوز) قدرة الموسيقى على التعبير عن الاحوال النفسانية ومعظم الجزء الخاص بالانتقاد في كتابه يدور على صدق التعبير في الموسيقى فتراه بمهارته المعروفة قد ازدرى وسخر من توقيع الآلات الموسيقية في الازمان الغابرة حيث وجد جانباً منها تكلمة للعدد تسد فراغا لا معنى له أو تضاعف صوتاً تحدثه آلة أخرى فقال « ان هذه الموسيقى لا تصلح الا لترقيص القرده في الاسواق واسناد الحواة والبهالين وبالعبي السيوف والشعابين في أقذر الطرق »

الموسيقى هي الفن المتداول الذي يستقى مادته من الحياة الاجتماعية كائنات يمتص غذاءه من المكان الذي تحترقه جذوره لا التصوير ولا الحفر متداولان كما ان فن زخرفة البناء في غاية التعقيد ومفعم بالمعلومات الفنية والاثرية وخاضع للاشتغال بالزخرفة أو ضروريات أعمال خاصة ليصبح عملاً وقتياً جامعاً لعدة أشياء فهذا الامتياز اذن خاص بالموسيقى وأخيها الشعر

الموسيقى لها معنيان مختلفان متحدان في شكل واحد كالروح والجسد أحدهما في غاية من السهولة والوضوح والثاني يفر من الباحث فيه فهو في الوقت نفسه تقليد لحياة الحب أو الأشياء الظاهرة ولغة ذات فكرة خاصة بها تهيمن على جميع الأشياء فهي تشمل في هذا التعبير المزدوج العبارة الشعرية التي تعززها بالحقائق الوافرة وتكمل الفكر البليغة بنقلها الى مستوى أرقى خيالاً . وهذا مما يدل على وجود التفاوت التام بين الموسيقى والشعر ... ليس الفرق بين الشاعر والموسيقار قاصراً على أنهما لا يتكلمان بلغة واحدة ولا يخضعان لقانون واحد بل لأنهما لا يفكران بمقدرة واحدة . وهذا التضاد هو الذي يدفع الواحد نحو الآخر لئلا يتما بعضهما ببعض . وحينما يجتمعان يعضدان اللغة الاصلية ويمنحان أصولها منتهى القدرة فيتلبان على عواطفنا السامية ويتمكنان من أن يبثا فينا أقوى وأشرف عواطف التكافل الاجتماعي

لا توجد أمة متمدينة أو وحشية إلا والموسيقى منتشرة بينها . وإذا تصفحنا

التاريخ وجدناها في العصور الخانية . وأقدم دليل هو صورة محفورة على الأحجار تمثل شخصاً يوقع على آلة موسيقية تسمى (هارب) وجدت في بلاد السكديانيين وعثر عليها المسيو (سرزبك) في قصر (تو) على الشاطئ الايسر من قناة تربط الدجلة بالفرات . وقد قدر تاريخها أفاضل العلماء مثل (بواتيه) بثلاثين قرناً قبل الميلاد . ولا مشاحة في أن الموسيقى أقدم من الشعر وهي التي نفحته بقوانينه الخاضع لها

ترتبط الموسيقى بأجل العلوم وتسنّى طرق أبوابها من جهات مختلفة وفضلها لا يلبث أن يظهر من جميع الوجوه اذ تتعلق بالطبيعي والفسولوجي فان كانا مزودين بطرق التحليل والبحث العالية حددنا نوايسها وكشفنا لنا فيها علما فنعما بالعجائب وترتبط بالاميلسوف الذي يستطيع أن يبين لنا انها تسعد النفوس بشريف العواطف وجليل الفكر . وتتعلق بالمؤرخ الذي يظهر لنا تقدمها وما صادفها من التقلبات وعلاقتها بالتاريخ العام والاخلاق والعادات ودورها في حركات المدنية وترتبط بعلماء الجمال فتفتحهم مقرأ رقيقاً غريباً يدرسون فيه آيات جمالها وأشكالها الموسيقى الشاملة لجميع ماسر دنياه من المزايا تحدث في النفوس جرحاً من المذات وتترك فيه مثل رؤوس الابرفلا تنسى هذه الآلام اللذيذة الحلوة

أجد من العبث أن أسرد عيوب الموسيقى الشرقية وما وصلت اليه من الانحطاط كما انه لا فائدة من وصف العلاج الناجع اذ قد بينا ان الموسيقى فن متداول من لوازم الهيئة الاجتماعية وانها ترجمان الاخلاق والعادات فهي مرتبطة بدرجة مدنية الامة وتسير معها خطوة بخطوة أما الى الامام وأما الى الوراء . فان حاولنا أن نرقيا وحدها فمثلنا كمثل طيب جاهل يريد أن يعالج مريضاً فسد دمه وانتشرت على جسده الشآليل باقتصاره على الدهان فجعل العلة وأراد أن يداوي العرض وهيئات أن يبرأ عليه وتمحقق أمانيه . هذا والله أسأل ان ينهض بالشرق الى أعلى الدرجات حتى يبلغ من المجد والكمال غاية الغايات

## الاصوات والكلام الالهامي للانفعال النفساني

الصوت الانساني الذي هو مصدر الكلام الشعري والموسيقى يحرز ثلاث قوى للتعبير اذ لا يتسنى له ان يكون بالتتابع او في الوقت نفسه : تمثيلاً للشعور او تمثيلاً للاشياء المادية والخارجية أو تمثيلاً للفكرة  
ففي الحالة الاولى يتركب شكله من الصياح وجميع أنواعه وفي الثانية من التمثيل بالاصوات ودرجته في الاتفاق وفي الثالثة من الكلام الاصلي الذي تنقله الكتابة

تتميز هذه القوى الثلاث من مصدرها ودرجتها في المفهومية والالهام هو مصدرها المشترك ولكن الاولين يمكن ان يكونا من عمل الالهام المحض وأما الاخير فيعتمد معظمه على الاتفاق والاصطلاح . وحينما يكون الصوت الانساني نتيجة وقتية للانفعال أو صدى لاصوات الاشياء الخارجية يؤثر مباشرة في الاحساس الطبيعي السامع وتكون طرق تعبيره مفهومة لدى جميع الناس لمكانتها من الحقيقة الصريحة

ووقتما يكون الصوت الانساني علامة للفكرة فانه يخاطب العقل وله معنى عظيم كامل ولطرق تعبيره مفهومية محصورة لان صفاتها اتفافية عرفية فلننظر الان في الحالتين الاوليين أي الكلام الطبيعي الالهامي المحض وفدريته على الترجمة عن الشعور كيف تتأني هذه الترجمة اذن ؟ — ان بين الحياة الروحية والحياة الجثمانية مهوي عميق لا تدركه البراهين الفلسفية ولكن الطريق سهل ممهدين هاتين الحياتين وبين الطبيعة . والتجارب العامة هي التي تيسر لنا معاينة هذه العجيبة المدهشة والعادية في آن واحد : اذ يجعل الصوت الانفعال محسوسا وللاذان مثل ما يصيره النظر مرئياً للعيون

يهتز الفؤاد من صدمة الآلام كما ترتجف أوتار الكنارة تحت انامل الموسيقار ويتبع تنوعات الشعور الدقيقة بسهولة لا يتأني تحديدها

يمكننا أن نميز العناصر الآتية في الاصوات التي يتركب منها الصوت الانساني قوتها وعلوها ومدتها ورنينها وحركة تتابعها . وسنبين درجة تعبير هذه الصفات المختلفة للكلام الطبيعي وانها ما فتئت مستعملة في الغناء وهو الحجر الاول للموسيقى الآتية

الاصوات المستعملة في الموسيقى تشابه مع الصياح وتنوعات الكلام الطبيعي وقد قال (ايسينج) الكاتب الالماني الشهير : « ليست الاصوات الموسيقية علامة لشيء ما لانها لا تعبر مطلقاً بل تتابع الاصوات وحده هو الذي يبرأ ويوقظ الاهواء » وهذه الفكرة تبين لنا أن الصوت يشبه النقطة الهندسية التي لا تفيد شيئاً وحدها ولكنها اذا انضمت اليها نقط أخرى انشأت خطاً

وقال (داروين) : « جميع أصوات الطبيعة من طنين الحشرة الى قصف الرعد وصوت الانسان ترتبط بنصر أو هزيمة في معترك الحياة » وتتطوى خلال هذه الجملة فكرة عظيمة فحمة لاحاجة لنا الآن لخوض عباها بل بكفينا أن نقول ان الاصوات الموسيقية لها صفات تشبه مثيلاتها في الصوت الانساني فهي اذن عناصر التعبير قوة الاصوات أي درجتها في الحدة أو الضخامة تكون مناسبة لقوة الشعور المعبر عنه . فان كان الانسان لم يحدث له انفعال فانه لا ينكر تقريباً في الكلام كما ان البلادة يصحبها عادة الصمت . وعدم تأثر أصحاب الوسواس والشكوك يجعلهم يتكلمون بصوت منخفض وكذلك الذين يراعون آداب المعاشرة . أما الانفعال فانه يوقد الفؤاد والصوت . والالم يوجب الصياح

علو الاصوات محدود بأسباب قوتها اذ يرتفع الصوت بدرجة الانفعال فترى الآلام اذا تابعت مع ازدياد تتابع الصياح متنقلا في الزيادة من درجة الى أخرى أحد منها . وفي الموسيقى كلما ارتفع الصوت واشتد كان أكثر تعبيراً

الابعاد الموجودة بين الاصوات دور مهم في اللغات فانها هي التي تمنحها أشكالها وحياتها لانها تمثل درجة الانفعال . فترى السذج ذوي التأثير البطيء

لا يستعملونها إلا قليلا وبالعكس يكثر استعمالها أصحاب الشعور الراق السريعو التأثير

الابعاد اما أن تكون صاعدة أو هابطة فيختلف اتجاهها حسب المقام فان كان الشعور في نمو وتحقق علا الصوت وان خمد الشعور هبط الصوت . ويلاحظ عادة ان الجمل تنتهي بابعاد هابطة

الاصوات من وجهة طولها أو اتصالها اما أن تكون متقطعة أو متصلة وذلك مرتبط بكيان الشعور الذي ينتجها . فالضحك يعبر عنه في الكلام الاعتيادي بحلقات من أصوات متقطعة . وبالعكس يعبر عن الانين بأصوات متصلة . فالتعبير بهذا الشكل موجود أيضاً في الموسيقى

ولرئين الاصوات أهمية عظمى في الكلام فيختلف بالنسبة الى المناخ والجنس والعمر والذكورة والأنوثة وصفات العواطف وطبائعها ودرجتها وحالة الانسان النفسانية التي كان عليها وقما انبعث منه الصوت

أظهر البحث في رنين الصوت عنصرين أحدهما نتيجة للتركيب الطبيعي ثابت لا يتغير والثاني نشأ من الظروف ويتأثر تغييره لدرجة غير محدودة . فيشمل الرنين في الوقت نفسه الجزء الدائم الثابت والجزء المتحول من حياتنا الطبيعية والادبية . فهو للكلام بمثابة اللون للوجه

إذا سمعنا شخصاً يتكلم دون ان نراه فاننا نستطيع ان نحزر غالباً من لون كلامه ان كان ذكراً أو أنثى وتقدر عمره بالتقريب وعواطفه الحالية وشيئاً من أخلاقه

ان الملاحظات التي تبديها دراسة تنوع رنين الكلام وعلاقته برنين العواطف قد أسعدت الروائيين والممثلين بنفحات عظيمة وجعلت الروايات الصغيرة التي يمثلها شخصان أو ثلاثة سارة جذابة اذ تستطيع فيها فتاة لتجاوب على كل ما تسأل عنه إلا بكلمة واحدة (ياسيدي) ولكنها متنوعة الرنين حسبما توحيه العواطف فتدل على الاحتشام والدهش والخسرة والخوف والسرور والحب وغير ذلك

والكلام حركة تنشئها درجة الانفعال أو طبيعته أو أسباب خارجية . فنرى ان المحادثة مع شخص عديم المبالاة والاهتمام لا يشغل باله شيء تطول الى ان تصير غير محتملة . ومخاطبة الذين يخالون في برود شباههم وهناءتهم تكون أكثر احتداداً ولهجة الذين تملكهم العواطف الهائجة تكون محتمدة سريعة نستنتج مما سبق أن جميع أشكال الكلام الالهامي توجد في الكلام الفني وهو أساس فن الموسيقى

سلمنا مبدئياً بالتعبير الموسيقي فما هو اذن مبالغه من الصحة ؟  
الاصوات الموسيقية كمثيلاتها في الكلام الطبيعي صحيحة التعبير . وهما في التشابه كالألوان الصناعية التي يستعملها المصور وألوان الطبيعة وهذا المثال في غاية الموافقة لسهولة وهو الوحيد المعقول الصريح  
ليست الألحان والأوزان بالطرق الوحيدة للتعبير بل توجد وسائل أخرى وهي قوة الاصوات ورنينها ولها أهمية عظمى اذ بواسطتهما يحصل التنوع دون تغيير شيء في الجمل الموسيقية التي تتركب منها القطعة . فالغني يجب عليه استعمالها كما يلزم المنتقد ان يدقق فيها النظر

نشاهد في رواية (فيديليو) من مؤامرات (بيتهوفن) في فصلها الاول ان لحناً واحداً يغنيه بالتتابع (مارسولين) و (ايينو نور) و (روكو) و (جا كوينز) . فهل يتصور اذن أن (بيتهوفن) يطلب من أربعة الاشخاص تعبيراً واحداً ؟  
اننا نعلم ان الكلام الطبيعي الذي هو أساس الكلام الموسيقي له معنى ولكنه أقل وضوحاً من كلام الفكر (أي الكتابة)

يجوز أن يعبر الصياح نفسه عن الخوف والغضب والدهش واليأس والحقد ...  
وان يعبر الانين عينه عن بائس ظفر به الالم أو شهواني منغمس في ملذاته  
يصادف أحياناً هذا الغموض في التصوير والحفر . ولنضرب مثلاً المرأة التي لدغها الثعبان للمصور الفرنسي الشهير (كازينجيه) فقد لاحظ فيها (تيوفيل

جوتيه) الشاعر الفرنسي المعروف ان تعبير الالم فيها أشبه بالملذات حينما تبلغ منتهاها من الشدة . وان شذمة الجند التي تمثل العسس لنا بغة المصورين (رامبران) اختلفت فيها الآراء حتى ظننا بعضهم انها مارة بالنهار لا بالليل . ويوجد بمتحف التماثيل والحفر بمدينة (مونيخ) مثال عظيم كبير القامة اختلفت فيه علماء الآثار فظنه البعض رجلا وظنه الآخرون امرأة . فهل لهذه الاسباب يستنتج ان التصوير والحفر لا يحرزان صحة التعبير ؟

ان كان نفس هذا الغموض غير محدود في بعض أقسام الحياة الادبية نفسها فكيف نتطلب من الفن ان يكون أوضح من الطبيعة وأصدق من الحقيقة ؟ هل جميع عواطفنا تتميز من بعضها البعض ؟ أليس الحب ان بلغ منتهاه من الشغف صار أشبه بالبغض ؟

وباختبارنا للاعتراضين الآتين المسيو (هنريك) يتسنى لنا ان نبين قدرة التعبير بطريقة أدق وأوضح

١- « ليست العواطف منعزلة بل تابعة لحالات فيزيولوجية وهي والعقل شيء واحد فلا يتأتى أن يعبر عنها بفن لا يستطيع فيه التمثيل ان يمثل جميع الحركات البسيكولوجية » يمكننا أن نجابه بالاستعانة بالتجارب قائلين له : « اني أشعر حق الشعور بفرحي وحزني وألمي .. دون أن يعتريني أقل شك في حالاتها الفيزيولوجية والدليل القاطع انني اذا اصغيت الى أجني يتحدث بلغة أجهلها فاني لا أفهم شيئاً من كلامه ولكنني أستطيع ان أعرف على الاقل ان كان المتكلم مسروراً أو غضباناً مهتداً أو حسن المقابلة جامداً أو متحمساً ... وقد تكون العواطف والفكر متضادة إذ يخالف أحياناً مدلول نعمة الكلام المعنى الحرفي للقول

٢- « حينما يتسنى للعواطف ان تبين بطريقة واضحة فذلك راجع الى الاشياء التي تطبق عليها وتسببها . فالامل مرتبط تمام الارتباط بصورة الشيء المحبوب الذي يرجى حصوله والذي هو مخالف للآحالي : فلولا (مرجريت) و (ديسديمون) ماحدث الحب . فالموسيقى اذاً لا تستطيع ان تعرفنا (ديسديمون) ولا (مرجريت) . فاذا

حذفت هذه الصورة المحسوسة التي هي سبب الحب لم تبق الا حركة غير محدودة وبالاكثر العاطفة العامة للهنا والمرض، ثم نقول ان الموسيقى تعبر عن عواطف غير محدودة فهذا لا يفيد شيئاً أذن ماهي العواطف التي لا مضمون ولا محتوى لها ؟ هذا شيء لا معنى له ولا يمكن ان يكون موضوعا لعمل فني «

أرتنا التجارب ان معرفة الشعور لا تحتاج دائماً الى معرفة موضوعه . واذا سمعت صياحا شديداً فلا حاجة لي بمعرفة سببه لاعلم منه تعبير الالم لكي أشعر بالعطف على الصائح ؟ اما تمتلئ قلوبنا بالرحمة والشفقة على (فيدر) وهي في المسرح قبل ان تذكر (اونون) اسم (ايبوليت) ؟ هلا نقول ان (الفريد دوسوميه) يحتاج الى سرد اسماء حبيباته ليحدث في نفوسنا تأثيره المعروف ؟ هل الحفار الذي عمل (نيويه) والمصور الذي صور (مينيون) في حاجة لاخبارنا بحديثهما للشعر بالام الاولى وحزن الثانية ؟

ليست جميع العواطف واضحة أو متساوية في درجة الوضوح . مثل ذلك انه توجد فوق رغبة الحصول على نمره رابحة بمائة الف فرنك رغبة الغنى الغير محدودة وفوق حب المال المحدود الطمع والسعي وراء العظمة بشكل ما ويوجد ميل آخر يفوق جميع هذه الرغائب بل يشملها وهو حب السعادة . يمكننا اذن أن نميز نوعين من العواطف مرتبطين ببعض فروق خفيفة متوسطة بينها : احدهما مصحوبة بفكرة واضحة محدودة والثانية لا ترتبط بحكم ما من أحكام العقل وهي التي تمثل العواطف البهجة . فالاولى لا تستطيع الموسيقى ولا الكلام ان يعبرا عنها تعبيراً تاماً . وأما الاخرى فالموسيقى يتسنى لها ان تمثلها تمثيلاً تاماً بل تتخذ منها كالشعر موضوعاتها الشائقة المفضلة

### الصورة في اللغة الموسيقية

« اننا في حاجة لاستعارة صور من عالم المراتبات لنستعين بها على التعبير عن الخفي »  
( ارسطو )

العلامات المعبرة التي سبق التنويه عنها هي علامات طبيعية اذ تنبعث من تلقاء نفسها عقب العواطف والادراك وتوجد خلافها تعرف بالصور تحدث هي أيضاً الالهام والملاحظات ولكن الالهام مثقف وملاحظاتها دقيقة ممزوجة بالمقارنات فليست اذن بتقليد رأسي أو وقتي للطبيعة اذ يهيمن عليها فن تتحكم فيه غالباً الالهواء . وقد تكون أحياناً من نتائج التصور المحض ولا يرجع سبب وجودها إلا لاستعمال اصطلاحي

وبدراستها بهجر منطقة الفيزيولوجيا مع ظواهرها ونواميسها لندقق النظر في قوة نفسانية يصعب اظهار طريقة عملها لتغير نتائجها الا وهي ارتباط الفكر . وسيعيننا في هذا المقام الكلام البليغ على فهم اللغة الموسيقية

اننا لا نعرف الشعور والفكرة الا بطريقتين : دراسة تعبيرهما الفيزيولوجي ومعرفة الوجدان . ولكن التعبير الفيزيولوجي ما هو الا نتيجة الانفعال وليس بالانفعال نفسه . والوجدان عمل بسيط وحيد لا يستطيع تمثيله أو تقليده

اذن ما هي الفكرة والشعور باعتبارهما الذاتي ؟ اننا لا نستطيع ان نعبر عن حقيقتيهما وكل بيان لهما نراه مناقضاً للآخر لأنها اشياء غير مادية

بأنّي التصور لا غائتنا في حالة عجزنا هذه بان يجعلنا نسند الى العواطف والفكر أشكال الاشياء المادية . وهذا الاسناد الالهامي يحدث في الكلام الاعتيادي عدة صيغ تضطرد في الازدياد والتكاثر لدرجة لانهاية لها في الكلام الفني ( الموسيقى )

ربما استغرب القارئ أو استعجب الاوصاف الآتية التي يسند لها علماء البسيكولوجيا الى الفكرة ولكن الغاية تبرر الوسطة وما هي الا وسائل يستعان بها

عل فهم الفكر. فتراهم يعيرون الفكرة وزناً فيقولون فكرة ثقيلة وخفيفة ويعيرونها لوناً فيقولون فكرة قاتمة وسوداء وصافية . ويعيرونها إبعاداً فيقولون فكرة عريضة وضيقة ومرتفعة وعجيبة وسميكة .... ويعيرونها خاصية المتانة فيقولون فكرة متينة وينسبون اليها مذاقاً فيقولون فكرة حلوة ومرة وتافهة . ويعيرون الشعور حرارة فيقولون قلب بارد وحار

وهذا الاتفاق الالهامي ذو التأثير العظيم في لغات الأمم هو منبع الانشاء الشعري ولولاه لاقتصر الشعراء على تبليان أسباب العواطف ونتائجها وأحجموا عن تصوير العواطف نفسها

يستطيع (راسين) ان يظهر لنا نتائج حب (فيدر) وجميع الحوادث التي سببها ولكنه حينما يريد ان يكشف الغطاء ويزيل الحفاء عن شعورها يستعمل هذه الصيغة « اشعل الله في احشائي نارا لا تبقي ولا تذر » (راجع سيرة فيدر في بلاغة الغرب)

وان تعدد الرموز المتناهي المستعملة في تمثيل الحب تكاد تضحكننا اذ تظهر عجز الكتاب عن تعيين شيء غير مادي مثل قول (تيوفيل جوتييه) عن المراهقين بان (نفوسهم كالون اللبن) ولكن ذلك العجز ولو انه لا يضر بالعمل الفني فانه يوجد صعوبة ما يمكن للناظر ان يري فيها أصل الاسلوب الشعري وحالته . ومن هنا تظهر خصيصة الكلام الذي يخاطبنا به وفضله في الابتداع وأهميته

وحينما يجد الشاعر نفسه غير قادر على اظهار النفس يضطر لان يبحث عن طرق غير رأسية وتشبيهات ليكشف عنها المحجب فالصور هي سر الكلام وروحه .

فلنقارن بين شاعرين مثل ( شكسبير ) و ( راسين ) دون أن نرجع الى البراهين النظرية . فكلا الشاعرين يعرف قلب الانسان . ألم يك ( شكسبير ) أكثر شاعرية بالنسبة لغزارة الصيغ الطليقة التي وجدها للتعبير عن عالم الخيال ؟ وان

نزعنا الصور من (هوميروس) و (بيندار) و (إشيل) فإذا يبقى؟ لا يبقى إلا رواية  
وأخلاقيون لا شعراء

فالموسيقى يسير غالباً على النهج الذي يتبعه أهل الأدب ولا يجري على أثره  
لينشيء استعارة ما وينمقها كما يقع ذلك لبعض المصورين الذين لا يجيدون . وانه  
ليخضع لنفس ميول التصوير ونزعاته في عمل مستقل في نفسه ولو ان بينه وبين  
غيره صفات مشتركة به فهو أيضاً يريد أن يعبر عن النفس لا عن ظواهرها الخارجية  
كالخفايا والمصور والممثل بالاشارات والراقص بل عن النفس ذاتها . وحينما لا  
يستطيع التعبير عن شيء خفي غير مادي ولا محسوس لا صوت له ولا لون يعتمد  
الى معادلات اصطلاحية وتشبيهات ينشئها الالهام بين الاشياء الحقيقية والفكرة .  
وفي بعض الاحيان لا يجد له مناصاً من ذلك

مثال ذلك انه اذا أراد أن يعبر عن عواطف بدلا من أن تكون ظاهرة ومثلة  
بالصوت والاشارة فانها بالعكس لا نتيجة لها الا السكوت والسكون وتأملات  
الفكر فيجد الفتى نفسه مضطراً لان يعبر الطبيعية حركة وقت سكوتها ولهجة  
عند بكائها . ووقتما تعوزه ملاحظات الكلام الطبيعي يركن الى تصويره ويفرض ان  
الحياة العقلية المبعدة في أعماق النفس تجسمت في أشكال محسوسة وينشيء من  
موضوع ببيكولوجي محض موضوعاً وصفيًا يشمل الصور والالوان . والرموز  
التي تنتج هي من أهم المناظر التي لم تبن تماماً في اللغة الموسيقية  
نريد الآن ان نأتي ببعض أمثلة للصور في الشعر وأخرى في الموسيقى لنعرف  
وجه تشابههما في التصوير

نشاهد في رواية (فوست) ان عواطف الدكتور فوست وهو في غرفة عمله  
من هموم وأحزان وضعف عزيزة وشقاء نفس وآلام أدبية قدمثلت بصورة مستعارة  
من الالوان . اذ يقال عن شخص حل به السأم وزهد في الحياة « ساورته فكر  
مظلمة » كما قال (راسين) في رواية (بريتانيكوس) « حزن مظلم » وقال شكسبير  
عن لسان (كلوديوس) عم (هملت) حينما رآه كشيئا فريسة لآلام أذهلته

« مالي أرى هذه السحب ما فتئت تحيط بك يا هملت » . وهذه الكلمة استعملها ( بوسويه ) في حديث فخم يخاطب به قبر ( كوندية )  
« هاموا سراعاً يا عظماء الرجال واقبلي اليوم يا أنوار العالم وأنت متسرلة بالآلامك كأنك مشتملة بالسحب »

وقد قارن ( الفريد دوموسيه ) في قصيدته ( ليلة من تشرين الاول ) الماء خفيفاً بالضباب حيث قال : « أصبحت والحمد لله لا أتذكر مما تكبدته من الآلام فيما سلف من الايام . الا كطيف خيال أو ضباب خفيف هاجه الفجر ثم لاحت بعده تباشير الصباح ونفحات النسيم العليل بين الندى البليل » ولكنه حينما يملكه الشك وتقاسمه الآلام العنيفة يصبح قائلاً : « اتني أقعد وحيداً في ظلام فؤادي »  
لنرجع الآن الى الموسيقى فنسأل ماذا يصنع الموسيقيون حينما يريدون ان يعبروا عن عواطف السأم وضعف العزيمة ؟

يستعملون الصور كالشعراء ويخصصون آلة ( الكوترباس ) أو ( الفيولونسيل ) للانغام الضخمة . ففي ( قصاص فوست الاخروي ) تأليف الموسيقي ( بيرليوز ) نسمع الجملة المشهورة : « فوست في غرفة عمله » باصوات مختلفة عميقة تعتبر كلها صورة مماثلة للتعبير الشعري الذي ذكرناه في موضعه ولا فرق بينهما الا أن هذه الصورة الموسيقية أصبحت محققة بعد ان كانت خيالية في الشعر . فطريقة الموسيقي هي عين طريقة الشاعر فيخاطب هذا الاخير العقل ولكن الموسيقي يمس الاذان وصورة الشاعر ليست الا ادراكاً وأما صورة الموسيقي فانها ادراك محقق فاحدهما يمنحنا فكرة الاحساس والاخر يعطينا الاحساس نفسه . فبلغ القول اذن أن اللغة الموسيقية حقيقية ولغة أهل الادب خيالية

### الموسيقى والحب

وضع ( داروين ) الحب قبل ظهور الانسان وقال انه معروف من القدم بين الكائنات الحية التي نشأ وارتقى منها الانسان . فقرأه قد توخى الصدق والاخلاص وعدم التحيز والتبصر في التأكيدهما جعل كتابه منبع علم يستقي منه كل طالب

وكان هذا المؤرخ الطبيعي الانجليزي رقيق الشعور بالنسبة الى الفن يريد أن يحل هذه المعميات :

لم احرزت الموسيقى قوة عظيمة في التأثير تثير ما كمن من العواطف ؟ من أين أتت فضيلة هذه اللغة التي نشعر بتأثيرها الفتان دون أن نستطيع ادراك كميتها ؟ يعتمد (داروين) في الجواب على هذه الاسئلة على القضايا الثلاثة الآتية :

- ١ — للموسيقى قوة في التعبير ( وهذه الكلمة مستعملة في هذا الموضوع بمعناها العامي المتداول ) محدودة : اذ لا تستطيع ان تعبر عن الخوف والبغض والذعر والاضطراب الحاد ولكنها بالعكس تجيد في التعبير عن الحب وفرح الانتصار والظفر
- ٢ — يشاهد في فصل الانتاج ان الحيوانات يسمع لها أصوات وغناء
- ٣ — يوجد بين الحيوان والانسان انتقال ورأى

هذه القضايا الثلاثة من طبيعتها ان تنير علم الجمال . فلو سلمنا ان الحيوانات في زمن الزوان تكون منقادة بعامل الحب والغيرة والتنافس والنصر وان السلف الغابر قبل تمدينه استعمل الاصوات والاوزان الموسيقية وان خاصية التأثير في الموسيقى الذي ينفذ الى أعماق القلوب يكون مفهوما عند حد معلوم . فتكون الموسيقى بناء على مبدأ الارتباط الوراثي تجدد عندنا بطريقة مبهمه غير واضحة الانفعالات الشديدة التي كانت في العصور الحالية .

اذن كل ذلك يقرب من الحقيقة الغرض القائل بان مظاهر أصوات الحيوانات التي سبقنا لم تكن لغطا يبع الصوت بل كانت نوعاً من التخاطب مرتبطة بعواطف حب الغير وطريقة فنانه خلاصة للشعور . اننا لا ننكر ان استعمال هذه الطريقة كان ولم يزل نتيجة مقبولة . ولكن في الحقيقة اننا اذا لم نسلم بان الاناث لا تحفل بهذه الوسيلة ولا تنقاد للافتتان بالذكور لوجب علينا أن نعترف بان الاعضاء المتعددة التي يحرزها الذكور غالباً ليصغي اليه لا فائدة فيها مطلقاً وهذا شيء مستحيل

ان (داروين) يعترف بان الذكور لا تترك وسيلة لمظاهر الزينة الا استباحتها فلا تقتصر على نشر ريشها المفوف المزدان باهى النقوش مثل الطير المسمى (باراديزيه)

المعروف بطير الجنة والطاووس وغيره بل يمنحها الهام التناسل فنا فتغني

يغرد العندليب بنغمات ملؤها الفن ليظفر بأليفته. ويعمد الطير المسمى (تيترا) (وهو نوع من الديوك البرية ضخمة جداً يسكن غابات أوروبا) الى اشارات أشبه (بالبانطوميم) مختلطة بغناء اذ يقف على غصن واطيء وينشر ريش عنقه الطويل ويخفض جناحيه وينكت الغصن برجليه ويردد عينيه بشكل مضحك ثم يصيح صياحا حادا أصم الصوت متقطعاً بطيئاً فيزيد شيئاً فشيئاً في القوة والتنويع والسرعة حتى تصبح أصواتها تنبوء عنها الاسماع وموسيقية في الوقت نفسه ثم ينتهي بأفعال عينيه كمثل من الملذات

فالحيوان الذي يظفر باقرانه المنافسين يصبح مؤسساً لحلف أرقى وأعظم لانه بانتصاره قد أعدم من الوجود افراداً دونه في المزايا والصفات وحيث ان هذا الحلف خاضع لنفس هذا القتال والانتقاء ثم يتحول بدورهم شيئاً فشيئاً وبمرور الزمن تنتج أنواع جديدة بهذه الوسيلة

كم من معان متضمنة في غناء الطير ! اذ جميع أمانيه ومستقبله طي أغانيه وصوته فان حرم من ورود حياض الهناء والتمتع بأليفة يسكن اليها فذلك راجع الى حرمانه من موهبة حسن الصوت واتقان الغناء ا فالانسان أتى متمماً لأعمال الحيوان الموسيقية وغيرها

الالحان المشجية الفتانة التي جادت بها قرائح عظماء الموسيقيين ليست الا اطالة في أحسن مظاهرها وتحقيقاً لخيال عمل شخصي مرتبط بقوة العواطف وأرقها في الهيئة الاجتماعية . فيفتنى الانسان وتحمي بعده عواطفه ممثلة على صفحات الاوراق وبهذه الصفة تفسر أسرار الموسيقى وعواملها المؤثرة . فهي أسرار لانها مجردة اليوم من وظيفتها الاصلية وانها تمس أشياء اختارتها الزخارف ولغة خصصت من منشئها من قديم الازل للحب . وانها تؤثر في أعماق النفوس لانها تمس منا الالهام الميوى الهام التكاثر والترقي وتجدد فينا دون أن نشعر وبطريقة مبهمه تخفية ارتباط الفكر بوراثه طويلة لا تحددها الاجيال

اننا نستحسن من (داروين) فكرة اتحاد الحب والترقي وانهما أمر واحد .  
فالفردان اللذان يبحثان عن بعضهما لا يكتفيان بالتكاثر واستمرار الحياة بل يريدان  
أن يرقيا الى ذروة الاماني والآمال . اذن لو وجد الترقى في الحقيقة وانه سنة  
وناموس لوجب أن يرتبط بأصل الحقيقة ومبدأ أولى يرتب تطورات الكائنات  
فترجع اذن بالتعبير الموسيقي الى دور عظيم فحم !

### ملاحظات على فكرة (داروين)

ان كان يزعم (داروين) انه أتانا بنظرية عامة تامة للموسيقى فاننا نعارضه  
بجملة اعتراضات اذ يستحق ان يؤخذ بأنه افراط في تسهيل مسألة هي في الحقيقة  
عقدة العقدة حتى علها في غاية البساطة

اننا نرد عليه بان غناء الطير ليس في الحقيقة موسيقياً ودليله أن كتابة غناؤه  
من أصعب الصعوبات . ولا ننكر انه اذا اجتمعت طيور مختلفة وغنت مع بعضها في  
آن واحد فان أصواتها لا تنجح الاذان . ولكن الاصوات الانسانية الصادرة في  
وقت واحد ولم ترتب باتفاق سابق تنبوعها الاذان وتنفر منها . ويلزم الانسان  
اذا كان يريد أن يميز لحناً في مظاهر أصوات بعض الحيوانات أن يكون  
موسيقياً ماهراً

فلو سلمنا بالغرض الذي ينسب للغناء هذا التأثير فلم انحرَف الانتقال الوراثي  
وغير خطة سيره حتى أصبحنا نرى ان النساء أكثر استعداداً للغناء من الرجال  
وهن اللاتي تحمل أصواتهن محل الاعجاب لدى الرجال

ولكن (داروين) اشدة تبصره وحكمته نسي حقيقة طبائع الاشياء التي تكلم  
عنها اذ أراد أن يضم الموسيقى الى التاريخ الطبيعي فتكلم عنها باهمال واجمال في فقرة  
من بعض كتبه اذ أراد أن يفسر تأثير التخاطب بالاصوات فلذلك يظهر أن جميع  
أفكاره اتجهت الى البحث في الموسيقى من الوجهة الاجتماعية

اننا لا ننكر على الطير صناعة الغناء بعد ما ذكرها الشعراء القدماء . وقد قال الشاعر اللاتيني القديم (لو كريس) ان الانسان كان يقلد الطيور قبل أن يتعلم الكلام ان لاهل ( كامتشاتكا ) وهي شبه جزيرة في سيبيريا الشرقية على نهر بهرنج) لحنا يسمى ( اناجيتش ) ومصدر اسمه وأصله راجع الى اسم طير يسمى ( أناس جلاسيالس ) يظهر اسراباً اسراباً في بلدهم في زمن معلوم وقد كتب الموسيقي الفرنسي أو البلجيكي ( كليمان جانوكان ) من القرن السادس عشر قطعة موسيقية وصفية سماها (صوت الطير) وقلد ( هايدن ) قوفاة الدجاج في الرباعية العشرين من قطعه الموسيقية كما عمل مثله (موزار) و(روسيني) ولم يستنكف ( بيتهوفن ) ان يقلد صوت الطير المسمى ( كوكو ) في قطعه السماسة (السانفوني الخلوية)

اننا أثبتنا أمراً أولياً اجتماعياً وهو التقليد المستعمل من نشأة الموسيقى فهل نستطيع أن نضيف الى ذلك ان هذا التقليد سببه وأساسه عاطفة لا تغلب ولا تقاوم الا وهي حب الغير ؟ نعم ولكنه بتغيير قليل ندخله في فكرة (داروين)

١ — لو كان الغناء وسيلة للظفر ويتسنى بها من هذه الوجهة ترقى الجنس لوجب ان توجد موافقة وتوازن بين ترقى الغناء وترتيب درجات الكائنات الحية فلم لا يكون القرد أمهر في الموسيقى من العنديلين ونشاهد أن مظاهر أصوات فصيلة البهائم ذات الاثداء ليست إلا انطباعاً ينشأ من ظاهرتين بسيطتين وهما الشيق والزفير فلا يكفي القرد ان يبعث صياحاً شديداً ليقال انه موسيقي

٢ — ولو كانت لغة للحب انتقلت بالوراثة والتطور وانشأت الموسيقى لوجب على الامم الاولى ان تعترف باستمرار الارتقاء وكنا نعلم ذلك من صفات فنيهم . ووجب ان توجد بينهم موسيقى تلميحاً العواطف والتعبير والرفقة قريبة من الطبيعة وخاضعة مباشرة للوراثة ولكنها ليست كما نظن ونفرض

وقد روى المسيو (جروم) مشاهدة عيان رآها البرنس (دوفيد) اذ قال عن (البوتوكودو) وهي أمة من متوحشي أمريكا الجنوبية منتشرة في غابات البريزيل

« ان غناء الرجال أشبه بصياح غير مميز يهتز بين صوتين أو ثلاثة ويكون آونة مرتفعاً وأخرى عميقاً ويتنفسون بقوة ويضعون ذراعهم اليسرى على رأسهم وأحياناً يضعون أصابعهم في آذانهم لاسيما اذا كان عندهم ناس ويفتحون فمهم الى آخره الذي شوهه (البوتوك) (وهي قطعة مستديرة من الخشب يركبونها فوق شفهم السفلى بعد تقبها وتعد عندهم من أعظم الحلى والزينة) . ولا نظن أن شخصاً ما يرى عند هذه الامة شيئاً يعجبه أو يفتنه من الفن !

ان المتوحشين لا يعرفون غير التناسل وقد قال المسيو (لوبيوك) : « ان هنود أمريكا الشمالية الذين يتكلمون لغة (التينية) لا توجد في لغتهم كلمة تعبر عن لفظ (عزب أو محبوب) كما انه لا توجد في لغة (الالجونكان) (وهم من هنود أمريكا وقاطنون على مقربة من بحيرة ميشيجان) كلمة تفيد (الحب)

نعم ان أغاني المتوحشين تدور عادة حول الصيد والحرب والنساء ولسكن يندر جداً أن يسند اليهم غناء الحب

ولا يوجد عند (الاوزاج) (هنود أواسط الولايات المتحدة) حتى عند (الشيروكيس) (وهي أمة من هنود الولايات المتحدة مشهورة بالذكاء حتى أصبحت اليوم في غاية من المدنية) تعبير واحد موسيقي أو شعري مبني على عاطفة حنو بين الجنسين ولم تسمع منهم أغان للحب»

وكذلك لا يوجد لحن واحد للحب عند المتوحشين من (الاستراليين) و (المينكوبيس) وهي أمة من السود منتشرة في جزيرة اندمان بأرخبيل بنغال) وقال المسيو (رينك) ان أمة (الاسكيمو) (الذين يسكنون حول القطب الشمالي) يكاد لا يعرفون عاطفة الحب

٣ — اذا كان منشأ الموسيقى صادراً من الالهام التناسلي فلم نرى ان من الوظائف الاولية التي لها السبق في الموسيقى عند جميع الامم تنحصر في الدينية منها ؟ من أين أتت الاغاني الحربية وهي مضادة للحب ؟ كيف يتأتى ان (الاستراليين) وكثير غيرهم يغنون في معظم الاحيان حينما يكونون منفردين

وحيث ان الالهام التناسلي عام فلم نشاهد ان بعض الامم ( كالامان ) أمهر في الموسيقى من أمم أخرى من عنصرهم وأقربائهم ( كالانكليز ) ؟  
يعتبر الالمان ملوكا للموسيقى حيث انتجوا نحوها مثل ( باخ وهندل وبيتهوفن وفير و موزار وشومان وغيرهم

يصعب علينا ان نقبل نظرية ( داروين ) كما هي على علاتها فان هذا المؤرخ الطبيعي العظيم يريد ان يوجد سلسلة مستمرة تربط موسيقى الاناسي المتمدنين بمظاهر الغريزة التناسلية عند الحيوانات الدنيئة . ولكن توجد كما رأينا عدة حلقات تمتص هذه السلسلة وتظهر باختيارنا ماسبق عن الامم المتوحشة . وبتغيير خفيف لا يزيد عن تأخير حد يكفي لان يصير هذا المذهب مقبولا

ومبلغ القول ان ( داروين ) لا يستعد كثيرا عن علماء ما وراء المادة الالمانيين الذين يسندون الى الموسيقى امتياز التعبير الاساسي عن أعماق نفوسنا . وما أساس كيائنا غير الحياة والرغبة في اطالتها وتخليدها وابلغها الى منتهي الكمال والسعادة تكلم المسيو ( كلوديوس مادورول ) في كتابه ( سياحة في غينا ) عن الزوج وشدة شغفهم بالمذات والشهوات التي يؤسسون عليها موسيقاهم ورقصهم فقال : « لا تلبث الشمس ان تغيب عن العيون إلا وترى افرقية باجمعها قد تحوالت الى أعياد تنطلق في ارجائها أصوات الطبول » وهذا أشبه بالحفلات الموسيقية ذات الاوزان الغريبة التي تصدع الرؤوس وتنبعث في المساء عقب قيظ شديد من انعام مختلفة سائمة في الحقول . وهذه الموسيقى الفخمة الوحشية لها معنى عظيم اذ بالاصغاء اليها يفهم الانسان شيئا من روح الطبيعة

حيما يخيم الظلام ترى الناس غير قادرين على مغالبة رغبتهم في منح الحياة أبهى مظاهرها واعادها في أشكال جديدة أعظم وأجل من سابقتها . وما هذه الرغبة الا الحب اذ منه ينبعث هذا الصوت الفخم الجهوري الرنان صوت الكائنات الحية التي تريد الرقي وتدعوه

موسيقانا أشبه بموسيقى الزنوج ولا مشاحة في أنها أعظم رقا ومهديا ولكنها

نُهب بصيغ واضحة جليلة عن ملذاتنا المتأصلة في اعماق نفوسنا . أنها تجمع وتطهر  
وترفع دعوة الجنسيتين لبعضهما فتراهم في ليالي الصيف منتشرين في الخلوات كنسيح  
من الفتن والملذات فيجد الحب بينهم مقاما ارفع منه في الشعر الخيالي  
وعلى هذا النمط سار نوابغ الموسيقيين اذ كانوا مولعين بالحب ومعظم تأثرات  
وانفعالات السامعين كانت من أصداء عواطفهم الاخيرة

### الموسيقى والسحر

السحر هو مجموع ثمرينات يعتقد الانسان أنه بواسطتها يجعل الطبيعة والارواح  
التي تعمرها خاضعة لارادته . يعترف الدين والسحر بالارواح ولكن علاقة الانسان  
بالارواح ليست واحدة في الدين والسحر . ففي الدين يبتهل الانسان الى رب قادر  
وبسأله بخشوع وتوسل عنايته الربانية ورحمته التي وسعت كل شيء . ولكنها  
تختلف في السحر لان الساحر لا يضرع ولا يرجو بل يأمر وينهي . اذن فالاعمال  
الدينية تستقي نفوذها الفعال من العواطف والنيات وهما شعار الدين . وفي السحر  
يعمل الساحر حسب مقتضيات قوانين مخصوصة دون ان تكون لعواطفه ونياته  
تأثير في اعماله . وهذه القوانين لا يستطيع الانسان أن يقاومها أو يبطل مفعولها  
الا اذا كان ساحراً

وقد وصف الشاعر اليوناني القديم (أوريبيد) في احدى رواياته المحزنة الفن  
الذي يجعل الالهة تتكلم رغما عنها بواسطة عزائم معينة وهو عبارة عن السحر في  
الازمان التي وجدت فيها الآلهة الميتولوجية . وهذا الفن كان يقهر هذه الآلهة  
حينما يكون مضاداً لارادتهم الدينية

نرى ان كتاب النصرانية يميزون بين المعجزات الحقيقية التي تحدث بفضل  
الدين وبين مثيلاتها التي تنال بالتعزيم . ولوانهم يحترمون الاخيرة لكنهم  
يعتقدون بجواز حصولها

والسحر مذهبان أحدهما يدوي يتركب من أشكال هندسية وصور واحراق  
أشياء مختلفة كالبخور وغيره والثاني شفهي  
يستدعى المذهب اليدوي الصناعة فهو اذن متأخر عن الشفهي لان الصوت آلة  
جعلتها الطبيعة طوع الانسان ولا يستلزم استخدامها شيئاً سوى الفريزة وهذا مما  
يثبت ان المذهب الشفهي أقدم من اليدوي  
ابتدأوا في السحر الشفهي بالغناء ومرت صيغه بوجوه التطورات الآتية :  
لحنوها ثم رووها ثم كتبوها وحملوها في بعض الاحوال كالتائم  
وقد اعتبر الصوت أشد تأثيراً ونفوذاً من أشربة العشق حتى في الزمن الذي  
انتشر وتقدم فيه السحر اليدوي . وقد عرف الناس واشتهر بينهم ان المذهب اليدوي  
كان دائماً في حاجة للاستعانة بالصمغ الشفهي

### الغناء السحري

يوصف الغناء السحري عند القدماء بالمسائل الآتية :

١ — نظامه الذاتي — فهو متقدم عن كل القوانين الموسيقية المنتظمة وخاضع  
لقوانين عامة هامة في مادة السحر الا وهي التقليد . والغناء السحري بعيد عن أن  
يطرق فن الجمال لانه لم يعمل للسمع بل هو موجه لفرد واحد غير مرئي يتأثر لاقول  
شيء من الاعمال السحرية . ويعني الساحر للروح وحده الذي يريد ان يهيمن عليه  
لا نجد في الغناء السحري ما نسميه بالنظريات الموسيقية ولكنه مزود بجميع  
ما يلزمه وينشئ كيانه من أصول فن السحر

٢ — من وجهة ارتباطه باقوال تكون عادة غير مفهومة لدينا ولا يفهمها المغنون

انفسهم

٣ — عمله ودائرته التي تتناولها ابحاثه — وهو قديم في تاريخ المدنية الانسانية  
وله أهمية عظيمة لانه كان امراً عاماً يظهر في اغلب الاوقات في أدوار الحياة العملية

٤— من الوجهة الاجتماعية — نرى للغناء السحري ارتباطا معينا بالحياة الاجتماعية عند القدماء والمثال الآتي يوضح لنا ذلك جلياً

ان قبائل (اوماها) ( قوم من هنود الولايات المتحدة يسكنون مقاطعة نبراسكا وكانوا في الزمن الغابر مشهورين بالصيد ولكنهم أصبحوا في حالة طيبة من المدنية وتركوا عاداتهم وعقائدهم القديمة حتى صاروا الان من أعظم العاملين في الزراعة يكثر في بلادهم الجاموس وصيد هذا الجنس خاضع لوقائع مختلفة ويمكث زمناً طويلاً وهو مرتب باستعمالات محدودة والزامية لكل فرد . وكل مخالفة تصدر منهم تدخل تحت طائلة العقاب الشديد . تخرج القبيلة من قريتها بقيادة رئيس ينتخب في حفلة عظيمة وهذا الرئيس في الوقت نفسه صياد ماهر وكاهن مغن وساحر عظيم يحمل كل تبعة اذ هو المنوط بإدارة حركة الصيد واختيار أعظم الامكنة التي يعسكر فيها جنده والتنبؤ بمكان الصيد واحضار الطعام ويجيب عن كل ما سيحصل من تقلبات الايام وهجوم الاعداء والمشاجرات وغيرها

### المطر وصفاء الجو

#### الغناء السحري عند المكسيكيين

مهطل في هذه البلاد الحارة ذات الشمس المحرقة الامطار الغزيرة لان جبالها (سييرا مادرا الغربية) تبلغ ٢٠٦٩ متراً فوق سطح الماء . والتبخر عندهم سريع كما أن الارض متخلخلة لا تحفظ الماء طويلاً فلذلك تراهم مهدين بالجدب اذا أمسك عنهم الغيث في المدة المنحصرة بين شهري يونيه واكتوبر

غذاء هذه الامة مترتب على نجاح زراعتها فهم يفضلون ماء السماء على الذهب والفضة . يعتقدون ان المتصرف في المطر اله يكون تارة جواداً وطوراً بخيلاً ولا وسيلة لهم اقهر هذا الاله إلا بالغناء السحري

انتشر في المكسيك في الجهات الممتدة بين حوض (لاكوستر) الذي توجد في وسطه (مكسيكو) وفي الوجهة الشرقية على مقربة من البحر والقبيلة بالقرب من برزخ (تهويانتيبيك) المذهب القائل بوجود آلهة المطر المسماة (تالوك) أي الهة الظواهر الجوية الذين يجودون بالغيث . ويوجد في الحدود الشرقية قبيلة منهم تسمى (نونوالكاس) وهو اسم من أسماء آلهة المطر القدماء (نونوالكالت) وقد عثر على صورته تمثل (تالوك) وهو قابض على صولجان من الخشب به السحب وعلى صدره اناء يعتبر انه يحوي المطر وهو مصور باللون الاخضر وله أخت أو زوجة (تسمى الازار الزمردى) الاستغاثة بآلهة الامطار بواسطة الغناء السحري متقدم على الضحايا الفاجعة التي كانت تقترف عدة مرات في السنة اذ كانوا يذبحون عدداً عظيماً من الاطفال في جهات مختلفة على قمم الجبال تشریفاً لآله المطر ليمنعهم وابلا مدمراً. كان الذين تدور عليهم الدائرة ويخونهم الحظ المنكود من هؤلاء الاطفال الابرياء يزينون بفاخر الثياب ويحملون على الاكتاف في أسرة محلاة بأبهى الريش وأجمل الازهار يتقدمهم موكب عظيم جمع بين الغناء والرقص والعزف بالآلات الموسيقية ولقبائل (الزونيس) رقص عظيم المطر يعتبرونه من أقدم عقائدهم وعاداتهم وهو متداول بين كافة طبقاتهم ومصحوب بغناء يحدث في حفلة شائقة تقام بكل اعتناء لنوال الامطار . وهالك ترتيب القسم الموسيقي للحفلة تضرم أولا النيران على الصخور وذري الآكام المجاورة ويستمر اشغالها الى أن تتقبل صلاتهم ودليل ذلك نزول وابل هتان . والمطر كاهن يخاطبه بخشب خاص يحدث عند احراقه دخاناً كثيفاً يخلق في السماء كالسحب ثم يرتل العزائم والاغاني السحرية الفتيان الشجعان والمغارى اللاتي يلين دعوة الكهان وينشدن بحمية وحاسة وهن لابسات حلالا بيضاء حاملات ألواحاً نقشت عليها من جهة سحب مربرة ومن الاخرى صورة البرق

يستمر الرقص والغناء ليلاً ونهاراً بصبر لا يستطيع العقل تصوره والجميع  
مرتسم على وجوههم الوثوق بنجاح أعمالهم . وتتركب الحفلة الموسيقية من  
الاقسام الآتية

- ١ — طبول تؤذن برقص المطر
- ٢ — يأمر كاهن المطر الفتيات بافتتاح الرقص (غناء)
- ٣ — يدعو الجميع المطر (لحن)
- ٤ — اشارة بالسكوت
- ٥ — يضرب على صفائح رنانة تمثل صوت الرعد
- ٦ — غناء العذارى للاستغاثة باله المطر
- ٧ — نشيد الحمد والثناء عقب سقوط المطر

#### الاستسقاء هجر الفراعنة

اشتهرت بلاد الفراعنة من غابر الازمان بخصبها وتقدمها في الزراعة وكان  
الملك مسؤولاً عن فصول السنة ويعتقدون أنه قادر على منح المطر ومنعه لانه كان  
في الوقت نفسه كاهناً وهب قوة الصوت ونفوذ السحري  
وأقدم دليل على ذلك نشيد النيل وهو أشبه بغناء سحري الاستسقاء . وقد  
لاحظ الناس الذين ابتدأوا بهمار هذا القطر عدة ظواهر للنيل اذ يرون أمامهم نهراً  
يجهلون منبعه ويظنون انه يخرج من حفرتين لا يعلم لهما قرار بين جزيرتي ( الفيلة  
وايليفانتين ) . يتغير لون هذا النهر عدة مرات في السنة . فحينما تحترق الزروع من  
الرياح الحارة برمال الصحارى في شهر يونيه يكون لونه أزرق رائقاً . ووقتما يزيد  
ويحمل بقايا النباتات المتخلفة من مستنقعات بحر الغزال يخضر لونه ( ويعتقدون  
ان هذا الماء الاخضر هو عبرات المعبودة ايزيس تبكي قرينها ) ثم يستمر في الزيادة  
ويتلون مأؤه بالحجرة كانه دم قانىء فيغمر الشواطئ . ويترك فيها قبل أن يبارحها  
مقداراً عظيماً من الطمي يخصبها ويجدد قواها

تدل ترجمة المسيو (ماسبيرو) للنشيد النيل ان هذا النشيد مثال من النظم  
الشائق المختلط بالعزائم السحرية . ونذكر فقرته العاشرة لنقف على نموذج  
من أغانيهم

الفقرة العاشرة للنشيد النيل — يرتفع لاجلك نشيد الاعياد موقعا على  
(الهارب) ومسنداً بالأيدي — مجذكاً فتيانك وأطفالك — يعدون لك صفوف  
أولادهم الطويلة — أنت ألحمت زينة الأرض — أجعل سفينتك تتقدم أمام أعين  
الناس — امنح الحبالي قوة عظيمة — أحجب نمو قطعان أنعامك

### الأغاني السحرية والحب

كان للفتنة فن شهبي يعد من العلوم القديمة وهو مؤسس على أصول وقواعد  
واضحة قبل أن يصبح أمراً متداولاً لاهواء زينة الحياة والابتداع الانساني  
لم يكن هذا العلم مستعملاً لمحض الزينة بل كان يرمى لغرض حقيقي . وهو على  
نوعين أحدهما موسيقى والثاني كلام موزون . ولكن هذا الشكل الاخير صادر  
من الاول . وما الشعر في الحقيقة الا موسيقى يعوزها جزء من أصولها

وقد ترجم المسيو (ماسبيرو) أغاني للحب وجدت في البردي المحفوظ في  
(تورينو) بايطاليا و (هاريس) بالجمهورية وهي أشبه بنشيد الانشاد (باب في التوراة)  
والبعض منها أشبه بعزائم سحرية . والمثال الاتي يدلنا على شكلها :

« أيها الحبيب الجميل ! منأى ان أهيمن على محاسنك وشيمك بما لي من نفوذ  
الخليلة بان تريض سويًا كما تريد ونهوى وأنت ممسك بذراعي لا ذكر وقتئذ توسلاتي  
لفؤادي الذي أصبح مندمجاً في احشائك . ان غلب عني حبيبي طول ليلي ولم يأت  
أكون بمثابة من ووريت في لحدها ! ألم تكن أنت الصحة والحياة ؟ أنت الذي  
تنعش بالصحة والمسرات فؤادي الذي ينشدك ؟ ( كثيرًا ما يصادف المسيو ماسبيرو  
عقبات في الترجمة ككلمات باللسان الهيراطيقي المكتوب بعضه بأحرف يونانية

قديمة أو محو في الكتابة أو تمزيق في البردى يذهب ببعض الكلمات وغير ذلك مما يجعل الترجمة في بعض الأحيان غامضة )

### اغاني الحب عند هنود أمريكا

يشعر هنود أمريكا المتوحشون بنفس عواطف المتدينين فيعبرون عنها تعبيراً ناقصاً لكنه مناسب قليلاً وأنا ذا كرون بعضاً منها لقبائل (أوماها) يقتصر الهندي على مقابلة أقارب أمه وأبيه ونقر قليل غيرهم . وحيث ان زواج أقارب الابوين محرم عندهم فالبنت لا يسعدها الحظ بالعثور على زوج ممن حولها . فيلزم اذن ان ترتبط علاقات الحب سرّاً بطرق غريبة خارجة عن دائرة الاسرة .

وحيثما يصادف الشاب فتاة وهي ذاهبة لطلب الماء يراقب رجوعها ليعرف خيمتها ويتربص في مكان غير بعيد ليتسنى للفتاة أن تسمع غناؤه ليلفتها اليه ويجوز اعجابها

تسمع الفتاة الصوت دون أن ترى المغني وتجهد نفسها في معرفة صاحبه وتقول: « من المغني ؟ » وهذا السؤال هو نتيجة اللحن وفائدته يعقب ذلك مناجاة الحبيبين مدة ليست بالقصيرة وينتهي الامر باختطاف أو زواج أو مغازلة طويلة وتدل بعض أغانيهم على شكوى الفتاة من بعد حبيبها الذي لا تفكر الا فيه وتود أن يكون قريباً منها

والغناء الآتي الصادر من هندي اميريكي الى حبيبته يدل على النفوذ السحري للصوت متحدداً مع تأثير سحري لشيء مادي

« اصيخي الى صوت مزماري يا عين الحمامة (اسم الفتاة) — اصغي الى الحاني فهذا صوني — لا تدعي للاحمرار اليك سبيلا فاني عالم بافكارك — انني احمل بحني السحري فلا تستطيعين الفرار — اتى أجذب فؤادك الي ولو كنت في جزيرة بعيدة عما وراء البحيرات العظيمة . . . لا تهربي مني فاذهب في طلبك ولو الى السحاب — معالجتني عظيمة وهي طوع بناني اذ بها أجذب النما سواء اكان في الارض أو في السماء — الروح الاعظم خاضع لامري يا خطيبتني »

## لم وهبت العزائم السحرية للعجب

نريد أن نبين بعض مسائل عامة تساعدنا على فهم استعمال آخر للعزائم السحرية في أعمال العواطف

اعتاد القدماء أن يعتقدوا أن جميع الظاهرات والحوادث مهما كان نوعها من أعمال أرواح خفية . والحب معدود أيضاً ضمن دائرة نفوذ هذه الأرواح . وكان الذين يصبحون هدفاً لسهام الحب يشعرون بتأثير قوى أو عنيف يداهمهم على حين غفلة ويغير حالتهم الخلقية . فالإنسان الذي يحس لأول وهلة بهذا التحول المبهم الذي يحدث له اضطراباً ويعكس صفوه يظن نفسه مملوكاً لغيره وأنه أصبح تحت مشيئة روح استحوذ عليه

كانت العواطف التي يشعر بها هؤلاء المحبون شديدة معروفة بين الناس وقد بلغ منهم أن صوروا هذه الأرواح وجعلوا منها آلهة شديدي الحول والقوة يخشى جانبهم وأنشأوا لهم القصص الخرافية وجعلوا لها مكاناً رفيعاً في ( الميثولوجيا ) كانوا يعدون الحب قوة لا تغالب تسيطر على الإنسان وجميع الكائنات الحية سواء أكانت في البر أو في البحر فتقربها وتجمع بينها . وقد فحهم الفلاسفة والشعراء الأقدمون الحب وأظهروا قوته التي لا تقهر مثل أفلاطون و (أوريبيد)

قد علمنا أن العزائم السحرية لها نفوذ عظيم على القوى الغير مرئية المختلفة حول الإنسان والمستترة في الظاهرات الطبيعية . وحيث يوجد روح للحب صار بعد آله فللعزائم والصلوات المرتلة والشعر المعبر عن العواطف دور مهم في علاقات الإنسان مع هذا الروح أو الاله القوى

وقد عد القدماء الحب المبرح من الآلام وحينما تكون العواطف شديدة غير منتظمة ولا خاضعة لمراقبة العقل أو الضمير يحدث في الحياة الباطنة اضطراب أشبه بعواصف الحياة الظاهرة وينتج عوارض مرضية تختص دراستها بالأطباء كاضطراب التنفس والدورة الدموية واختلال نظام الأعضاء . وكان عندهم عزائم خاصة بشفاء الأمراض وتسكين غضب أرواح الحب .

وأعظم دليل لا ثبات ما ذكرناه فقرتان من صفوة ما تركه لنا الاقدمون من رائع  
البلاغة وساحر البيان ألا وهي رواية (ابوليت) التي رفع شأن مؤلفها الشاعر  
اليوناني القديم (اوريبيد)

نشيد — فنيت (فيدر) على فراش الآلام واعتكفت في قصرها مختمة بخمار  
شفوف يستر منها راسا ازدان بشعرها العسجدي مر عليها ثلاثة أيام لم تنق فيها  
طعاماً . أصيبت بألم خفي فأرادت أن تجعل لحظها المنكود حداثاً

أيتها المرأة الراقلة في برد شبابه ! ان أحد الآلهة يطاردك وربما كان (بان  
أوهيكات أو كوريانت أو سيبييل) الضال في الجبال وهو غائب الرشد  
ليت شعري هل أصابك ما أصابك من جراء اهانتك لارطيميس (الهة الصيد)  
أو خطأ ارتكبته في اتمام شعائر القربان ؟ انها تطوف بأطراف الارض وتخوض  
البحار فلا يفلت أحد من ملكها

نشيد آخر — أمور يا آله الحب ! أنت الذي يسكب من عينيه سم الرغائب  
والملذات في القلوب التي تطاردها . لا تكن لي معاديا ولا تجعلني هدفا لسهام  
غضبك . ليست النيران الملتهمة ولا الحراب التي ترميها الكواكب بأشد هولا  
وازعاجا من حراب الزهرة (ربة الحب) التي تقذفها أيدي (أمور) ابن (جوييتير)  
عبثا يضحي اليونان مئات الثيران (لجوييتير) على شواطئه (الفيه) و(لابلون)  
في محارب دلف

ان كنا نهمل عبادة (أمور) الظالم الغشوم حارس ملذات (الزهرة)  
والمستسبب في فناء من كتب عليهم الموت فليهو بهم حينا ينقض عليهم الى دركات  
المصائب والاحن

## الروايات السحرية والطب

### مداواة لدغ الثعابين بواسطة

ان أقدم أثر يعتمد عليه تاريخ الموسيقى هو الكتابات المنقوشة على هرم مصري بسقارة أنشئ قبل الميلاد بألف من السنين

يحتوي هذا الهرم على رسم الملك (أوناس) آخر ملوك الأسرة الخامسة وقد اكتشفه المسيو (ماسيرو) في شهر فبراير سنة ١٨٨١

ان الغرفة المودع بها تابوت هذا الملك مغطاة حيطانها بصيغ معظمها سحرية والبعض منها دينية بفضلها يكون الميت آمناً مطمئناً ويستطيع أن يتم ما قدر له من الحياة الجديدة

برى المتأمل في هذه الكتابات أنها بليغة وأسلوبها أشبه بالقصائد ولكنها لم تعمل للسمع ولا للجمهور بل هي مركبة من صيغ تعمل وحدها من نفسها بما لها من الخواص والتأثيرات

لننظر في قطعة من هذه الصيغ دون ان نشغل بالآثار الموسيقية التي يقسنى لنا استنباطها منها . وهي تدل على ما يتمنونه وينتظرونه للملك ( أوناس ) ومضمونها انه لم يمت اذ يقرأ منها هذه الجملة : « أيها الملك أوناس ! يد شخصك الثاني أمامك يد شخصك الثاني خلفك . رجل شخصك الثاني أمامك . رجل شخصك الثاني خلفك ... انك موجود . صولجانك ( آب ) بيدك . انك تصدر أوامرك للاحياء . ومن تواروا في مساكنهم الخفية ... انك تطهر بماء الكواكب الزلال ثم تنزل على حبال من حديد ... تحبذك الارواح النورانية النخ ثم يمر ذكر عدة آلهة ويقول لكل منهم اذا كان وجودك حقا ليس يوم فسكن ذلك وجود ( أوناس ) أمر حقيقي « اذا كان ابنك ( هور ) حيا ( فاووناس ) مشله النخ ... تفتح أبواب الافق ونهشم مزاليجها . هاهو مقبل نحوك يا ( نيت ) قد أمك يا ( توازيريت ) النخ .

نجد من مميزات هذه العزائم انها أشبه بدفاع الموت والفناء تلبسه روح بليغة

من الشعر ولكنها في الحقيقة مخالفة للشعر من بعض الوجوه لأنها لم تعمل لتلفت إليها أحداً حتى الميت نفسه إذ تخاطب بها بعض الأحياء الآلهة وهي مخفية طي حصن حصين ولا قيمة لها إلا أنها ظاهرة يعتبر مفعولها غير خاضع لأي إرادة إنسانية وهذا هو خاصية السحر

وقد بين الميسو (ماسيرو) أن هذه الكتابات مركبة من آيات وكل جملة منها تشمل الأنواع الآتية: ١- دعاء- ٢- صيغة تسد مسد عمل حقيقي — ٣- تمة لهذه الصيغة

لم يقتصر الملك (أوناس) بعد موته على أن أصبح متمتعاً بحياة جديدة بل صار إله ولذلك وجب أن يزود وتقدم له الهدايا والكتابة تدل دلالة صريحة على كيفية تقديم الهدايا من فطير وابن وزبد وجعة سوداء مصحوبة بالعزائم التي كانت تعمل معها وكذلك العطور والبخور الذي يحرق عند الحاجة مع بيان الإشارات التي كانت تعمل وقتئذ

وأهم ملاحظة تلفت النظر في غرفة الملك (أوناس) هي السطور المنقوشة فوق تابوته وهي حاوية لصيغ سحرية تصلح لوقاية الميت من لدغ الثعابين التي تعترضه في رحلته إلى الإله (أوزيريس) حامي الموتى

يعتقد قدماء المصريين أن الحياة الآخرة أشبه بالحياة الدنيا معمورة بنفس حيواناتها وهوامها فيستعملون الموتى ذات الصيغ التي كانوا يستعملونها لوقاية أحيائهم من لدغ الثعابين وينتشونها فوق توابيتهم

### الأمراض عند العائنين على المفطرة

زار سائح في أوائل القرن التاسع عشر جزائر المحيط الأعظم فقال عنهم: «إنهم يعتقدون أن الموت هو الذي يحصل من إصابة تسبب الوفاة كموت الحروب»

ليست الفكرة القائلة بأن الموت من قوانين الحياة معروفة عند القدماء لأن الإنسان حسب عقيدتهم لو مزقته الضواري أرباً أرباً أو اخترمت جسمه السهام فلا يكون ذلك شيئاً شريفاً أو خفياً لأن سببه ظاهر للعيان. ولكنهم يعدون الموت

من العلل والآفات أمراً من خوارق العادات وبمزونه الى الارواح الشريرة .  
فان شكاً أحد من صدامع أو مرض في الامعاء ، أو غيره قالوا قد لبسه جني . فداواة  
هؤلاء المرضى ليست الا طرد هذه الارواح المتسلطة عليهم  
يبدأون بـداواة مرضاهم بالعزائم السحرية ثم يصحبونها بالعمليات الجراحية  
والمعالجات الطبية الاولية وهم معتقدون ان الفضل في تأثيرها راجع الى الاغاني السحرية  
حينما يدعى الكاهن الوثني في الكونغو لطرد روح خبيث استحوذ على زنجي  
يقيم للمريض حفلة غناء ورقص أمام كوخه وتمكت يومين فيهرع اليها الناس من  
كل فج عميق ليشاهدوا الساحر الذي يسمونه بلغتهم (ما كنجبا) . يعزف العازفون  
بالانهم الموسيقية ويغنى الحاضرون أناشيد تصحب الموسيقى ولا يترنم الساحر الا  
بمطلع النشيد ويستمر كل دور نحو ساعتين فلا ينتهي الا حينما تنفذ قوى الراقص  
الذي يمثل في رقصه الحروب فتراه محمر العينين كأنه مل من شدة الوغي . بيده رمح  
يمثل به هجوم ودفاع خصمين وينتهي الامر بان يتخيل انه ظفر بعدوه فينشداً نشيد  
النصر . وتكون الموسيقى وقت هذه الحرب التمثيلية بطيئة أوسريعة على نغمة واحدة  
أو متنوعة وذلك وفق حر كات الراقص الممثل  
والطريقة المتبعة لغاية يومنا هذا عند الاسكيمو هي المعالجة بالعزائم السحرية

### الغاني السحرية والطب عنبر الزنود

انشأ أحد الهنود الرحالين المسمى (هوفان) رحلة يدور بحثه فيها على غرائب  
قبيلة (أوجيباوا) وهي من أشهر القبائل الهندية المنتشرة بين مقاطعتي (أونتاريو وريد  
ريفيراوف ذي نورث) وقد صور صورة تمثل رجلاً من الذين يعالجون بواسطة  
الاعشاب مترجافى كوخه يجهز خليطاً من الاعشاب يحركه بيمناه في مرجل واليسرى  
مسكة شيئاً أشبه بالعبة التي تحدث صوتاً من لسانها المعترض أمام أسنان ترسها  
يعني هذا الرجل وهو يحضر دواءه معتقداً أن الغناء يصبر طعم هذه العقاقير  
رديئاً فيستبدعه الشيطان المستحوذ على المريض

بين هؤلاء الهنود جماعة تسمى (مديروبن) (ولعلها محرفة من كلمة مداوين جمع مداو) ويسميتهم السباح (الجماعة الكبرى الطبية) تتركب هذه الفئة من (الشامنس) وهم في الوقت نفسه أطباء يعالجون بالسحر وكنة وعرافون وأنبياء وأساتذة للموسيقى

وهذه الجماعة مجهولة الاصل وهي في حاية الآلهة ورعايتهم . ولا تعهد الاسرار للمريد الحديث إلا شيئاً فشيئاً

ليس الهندي المعداد عندهم كنزاً لشفاء المريض قاصراً على مهنة المعالجة بالاعشاب بل هو مغن ذو صوت حائز لفؤاد عظيم . اقر باذنيه تابع لموسيقاه بل يستخرج خواصه الفعالة من الموسيقى

وحينما يتعلم التلميذ الجديد التعاليم الاولية يلقنه أستاذه بعض أغان وأناشيد تكون لتجارته أول مورد الارتزاق وهذه الاغاني مؤثرة لحد معلوم . ولا يقتصر التلميذ على بعض أغان محفوظة بل يتدرب على انشاء أناشيده الخاصة .

وقد ذكرت ميس (فليتشر) في ابحاثها في موسيقى قبيلة (أوماها) الاغاني الطبية وجعلت لها قسماً خاصاً فقالت : « الاغاني الخاصة بمعرفة استعمال بعض الجذور أو الاعشاب الطبية تنشد عند البحث عنها وجمعها وتحضيرها ويباح لجميع الناس سماعها ولكن لا يستطيع أحد أن يستعملها غير صاحبها لأنها ملك وحق خاص يحترمه الكبار والصغار وهو بمثابة الصيادلة في عصرنا هذا كل منهم يملك مختصراته ولا يجوز لغيرهم تقليدها

### تأثير الموسيقى في الجيران

للموسيقى تأثير عظيم في الحيوان فتراها تارة تشجعه كالابل ان أعياها السير من التعب أو الغيظ أو الجوع حداها السائق بشجي الحياء فتطرب وتنسى النصب وتداوم سيرها بنشاط وحمية . والحياء أمر معروف بين العرب لا يخلو منه قول شاعر

ونشاهد ان بعض الحيوانات كالخيل والحير والابل تسكون بعض الاحيان مستنفرة غير مطمئنة حينما يرد الماء فلا يهدأ روعها وتطمئن حتي يصفر لها راعيها فتشرب وهي آمنة

وأغرب من هذا وذلك تأثير الموسيقى في الثعابين والافاعي هذه الهوام الخبيثة التي جبلت على الشر والاذى والمثال الآتي يرينا أن للموسيقى وحدها دون أن تستعين بالسحر نفوذاً عظيماً على هذه الهوام . ترى الهندي يعزف بالخان خاصة فتهرع اليه الثعابين من جحورها وتقف بين يديه ذليلة صاغرة وديعة متجردة من ميولها الخبيثة فيأخذها الطرب وتلعب وترقص على نغمة مزماره

روى الرحالة (روسليه) ما شاهدته في الهند من استحضار الثعابين وترقيصها فقال : حينما كنا في الهند دعانا اثنان من السحرة المشتغلين باستخراج الثعابين والاتجار بها وقدما لنا بعضاً منها ومن أندرهما نوع يسمى (جولابي) أو ثعبان الورد لان ثوبه منقوش باللون المرجاني ونوعاً آخر يشبه رأسه ذنبه حتى يصعب التمييز بينهما . رددت ناظري في الثعابين فلم أجد بينهما النوع المسمى (كوبرا كابلوا) فقلت لهما : «الفائدة من جميع هذه الانواع اذا لم يكن فيها (الكوبرا) الذي نريده» فأجابا : «ان هذا النوع نجده بسهولة بل نستطيع أن نعثر عليه في فناء داركم»

أخذني العجب ولم أصدق انهما يعثران عليه في وقت قصير . فقام أحدهما وتجرد من ثيابه ولم يترك إلا سرواله وأخذ المزمارة المعروفة عندهم باسم (تومريل) وهو خاص بالثعابين ودعاني لأقتنائه فذهبنا خلف البيت الي خلاء مغطى بالحجارة والعوسج وأخذ يعزف بمزمارة فينبعث منه أصوات حادة يتخللها تنويعات في الصوت ألطف من التي ابتدأ بها وما هي إلا هنيهة حتى أشار الي أن أنظر الي نقطة عينها فرأيت ثعباناً مطلقاً رأسه من جحره أسفل حجر فرمى الرجل مزمارة وانقض عليه كالبرق ونذف به في الهواء ثم أمسك بذنبه حينما وقع على الارض وبعد لحظه وجدته حية غير سامة فعاد الى عزفه وما هي إلا لحظة كليلح البصر حتى

شاهدنا شعباناً يثب في الهواء ثم وقع على الأرض فهجم عليه الرجل وأمسك به فإذا هو من النوع الذي أنشده أسود هائل يربو طوله على متر . طفق الشعبان يختبئ ويحاول الإفلات فأسرع الرجل وأمسك به من خلف رأسه وفتح فمه وأرانا أنياباً حداداً يقطر منها الموت الزؤام فتحققنا صدق عمله لان معظم هذه الفئة يستخدمون الشعبان بعد تجريدتها من أنيابها وعند ما يكلفهم أحد باستخراج شعبان يطلق أحدهما خفية ويوهم الناس انه استخرجه من المكان المرغوب ثم اخذ الرجل يخلع انياب الشعبان لينعه من الاذى وقد فاجأه اثناء عمله بلدغة في اصبعه فسال الدم منه وأسرع يمتصه بقمه بقوة ثم وضع عليه حجراً صغيراً أسود مخزوماً وقدمه لي أخيراً قائلاً انه دواء ناجع للدغ (الكوبرا) فاشتريته منه وبعد تحليله وجدته قطعة من العظم مكلسة رقيقة الانسجة

وبعد هذا الصيد انشأ الهنديان يريانا من أنواع ألعاب الشعبان ما أدهشنا فنحنهما برميئين بعد ما قضينا أكثر من ساعتين في الصيد والالعب فكان هذا العطاء الحقير أجراً عظيماً لهما وخرجا لاهجين بالشكر والثناء

### الموسيقى والتربية

إذا كان الغناء كفؤاً للتسلط على الجن وتسكين غضبها وطرود الشياطين والتنبؤ بالمصائب أو منعها فيكون من باب أولى أهلاً لأن يؤثر في قلوب الناس ويهيمن نفوذه النافع على عقول الامة أو شبانها ومبلغ القول انه يكون خير وسيلة يستعملها الحاكم أو المذهب للتربية

وقد قال الكتاب القدماء ان العادة التي كانت متبعة عند الفرس أن يعهد بالامراء وهم في الرابعة عشرة الى أساتذة اكفاء ويختص كل واحد منهم ثلاثة مهندين ممن كملت أخلاقهم وآدابهم ويكون أحدهم قاصراً على تعليم سحر (زورواستر)

فهل كان هذا السحر موسيقياً؟ اننا لانستطيع أن نجيب على هذا السؤال بالضبط ولكننا نقدر ان نصّل بالاستدلال الى ما يقربنا من الحقيقة

وقد روى المؤرخ الصيني الشهير (سياتسين) : « ان ملوك الصين الاقدمين حينما سنوا قوانينهم الخاصة بالسحر والموسيقى لم يقصدوا منها تشنيف الاسماع ومسرّة العيون بل أرادوا أن يعلموا الشعب ان يكون عادلا في حبه وبغضه وان يهدوه الى الصراط المستقيم . ولما رتبوا الموسيقى جعلوا ضمن مبادئها تلطيف الاخلاق الانسانية » فن الموسيقى ما يريح النفوس ومنها ما يحثها على الخير وترى في الحفلات الموسيقية سواء كانت عامة أو خاصة ان الموسيقى تحدث في القلوب احراما وطاعة وحبا اذ تصير الناس طائعين لشجي الاطنان والانغام

تجد في الكتاب الصيني القديم المسمى (يوكي) ترجمة الميسيو (شافان) العبارة الاتية : « ولما كانت الموسيقى تؤثر في اعماق النفوس وتحدث تغييراً في الطباع وتحولاً في العادات فلذلك اخذها الملوك الاقدمون وسيلة للتربية »

وقد رأى جميع المفكرين حتى من عهد فيثاغورس ان الموسيقى من انجع الطرق للتربية . وقال افلاطون : « ان اعظم فن مهذب هو الذي ينفذ الى النفوس بواسطة الانغام فيهيئها للفضيلة وقد أطلق عليه اسم الموسيقى » وقال أيضا : « جميع حياتنا محتاجة الى النظام والانسجام » ومن هذا نعلم التأثير الطيب النافع الموسيقي . وقال (ارستو كسين) الفيلسوف والموسيقى اليوناني القديم : « لقد أصاب قدماء اليونان في كونهم أعاروا كل اهتمامهم للتهذيب بالموسيقى لانهم استحسنوا ان يهدوا نفوس الاطفال بواسطة الموسيقى لتتقاد الى الجمال والشرف »

ان هذه الفكر لا تستغرب لانها نتيجة طبيعية معقولة للاعتقاد بان الموسيقى قوة فتانة ساحرة . واذا كان الغناء يؤثر في آلهتهم فكيف لا يؤثر في نفوس الاطفال؟ يسمح لنا السحر ان نفسر مسألة غريبة نرس ما كانوا يسمونه في مادة التربية التهذيب الراقي وفيه الكفاية لافناعنا باننا نكون مخطئين ان ظننا ان الفن كان في منشأ امره من دواعي الزينة

يدهش كل من كان مولعا بالموسيقى مداوما على سماعها حينما يعلم انها كانت  
معدودة ضمن العلوم الاربعة العالية عند القدماء وهي الحساب والهندسة والفلك  
والموسيقى . فماذا كان يعمل هذا الفن الرقيق الذي ملئ بالمحاسن والحرية وسط  
هذه العلوم ؟ يخيّل الى المصري ان هذا التوفيق به تناقض وتنافر عظيم  
ما كان الساحر القديم الفطري ليعمل في اركان ببنته بل كان يعمل في الخلاء  
امام الطبيعة ويستعين بالعالم المادي وجميع الكائنات الحية والكواكب فكان  
في الوقت نفسه طبيعيا كياويا فلكيا

اختم الآن بهذا الباب حلقة ابحاثي مؤقتا وربما عدت اليها فيما بعد ان صادفت  
ابحاثا جديدة يكتشفها احد العلماء الغربيين المعاصرين ولدى الآن شي . كبير مما يتعلق  
بالموسيقى من الوجهة الفلسفية ولكنه مشحون بالمواد الفنية مما يجعله غير مفهوم بالمرّة الا  
لمن له الملم بفن الموسيقى الغربية ويسمع شيئا كثيرا من مختلف المؤلفات القديمة  
والحديثة ليفهم ما يسرد منها للاستشهاد . وقد توخيت في عملي أن لا أنشر الا  
الابواب التي لا يشوبها شيء من المواد الفنية لتكون سهلة التناول والادراك لكل  
قاري . سواء كان مشغلا بالفن او غير مشغول به لتكون الفائدة أجزل وأعم .



## الشرف

لو أنعمنا النظر في جميع مكارم الاخلاق لوجدنا الشرف أفضلها بل جماعها  
ولا نكون مغالين ان قلنا انه هو السبيل الوحيد لسعادة الدارين فلو كنا جميعاً  
شرفاء بالمعنى الصحيح لاصبحنا في مصاف الملائكة الأبرار نرتع في جنة أرضية  
لا نعرف للشقاء معنى ولا للشرور لفظاً

الشرف هو شعور تحذته عزة النفس والرغبة في اعتبار الغير وهو الذي يحرضنا  
على القيام بأشرف الاعمال وأصدقها

والشرف ثلاثة فروض يقضي الاول منها بحفظ كرامة المرء وعزة نفسه والثاني  
بان يحب للغير ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها والثالث بطاعة الخالق وأداء  
فروض العبودية

وقصارى القول اننا لو بحثنا في معجم الشرف لوجدنا انه هو والعدل والخير  
والبروة والكرم والاخلاص والتقوى مترادفات

وان وجدت تلك الشروط جمعاء في فلاح حائى القدمين مرتد جلباباً أزرق  
فهو أشرف ممن جمع الاموال والالقباب ونجرد من معنى الشرف واعمرى ان من  
يحقر الاول ويحترم الثانى لأخط من الحيوان الضار

لم يحرم الله علينا السعي وراء المنافع والمذات ولكن هناك غرض أرقى وهو  
الخير أو العدل أو الشرف

خلق الانسان من نفس وجسم فالاولى عالية رفيعة والثاني سافل منحط  
والجسم عوامل محرصة على التدهور الى مصاف العجماوات كالحوامر والشهوات  
والالهام فان لم تتغلب النفس على هذه العوامل كان الانسان في عداد الانعام وفقد  
كل معنى للشرف

وقد عبر افلاطون عن هذه الفكرة أحسن تعبير اذ قال في « فيدر »

« نفس الانسان أشبه بجوادين يجران عجلة حوذيهما العقل . أحدهما من كرام الخيل والآخر نقيضه وقد تجمعت فيه العيوب والنقائص . فترى الاول جميل المنظر متناسب الاعضاء مرتفع الرأس بعريته الخناء قليل . ابيض اللون اسود العينين يحب المجد برزانه واعتدال ويلبي نداء حوذيه وإشارته دون ان يضرب

والثاني غليظ الاعضاء معوجها كبير الرأس قصير العنق افطس الانف اسود اللون أخضر العينين مشربهما بالحمة ولا يميل لغير الاعجاب والنفور والهياج . أذناه مغطيتان بشعر كثيف لا تسمعان نداء السائق ولا يطيع هذا الصعب الا اذا ألهمه السوط ووخرته الابر

وهذا الجواد الرديء هو صورة للجزء الاول من النفس أي أصل الاحساس والرغبة والخوف والغضب الاعمى والحب الدنيء السافل الذي يجرأ على كل شيء ويفسد كل من صادفه

والجواد الآخر هو الشجاعة أي أصل الغضب الشريف والعواطف النبيلة والحب الطاهر والحماسة

واما السائق فهو العقل وهو القوة المميزة التي نعرف بها من الاشياء ما كان حقاً خالصاً دائماً . وهو يصعد الى الخالق نفسه أي علة العلل »

ان الانسانية لأشبه بجمع عظيم من المجرمين وكل من يلقي نظرة الى ما يظهر منهم يهلع فؤاده ويتقهقر من الفزع اذ كلما عرف الانسان الانسان كلما كبرت الهاوية في عينيه ولا يشاهد المرء الا منظرأ رهيباً حينما ردد طرفه . لان الانسان أينما سار يترك أثره ويأله من أثر مزعج مرعب

انتقاد الانسان لامارته بالسوء واستبشع الحلال وهو هنيء واستمرأ الحرام وهو غاص قاتل واستحل الشرور ارضاء لرغائبه وشهواته حتى أصبح كالنمر يلهو بسفك الدماء فيقترب ولو كان بشما وباع شرفه وقدره واعتباره فأصبح ممقوتاً كالوحش الضارى

ان الالفه هي مدار الشرف فان اعوزت الانسان اعوزه الشرف مهما حاول  
فلنبشها في عقول أطفالنا حتى تنمو معهم ونجري في عروقهم ولنعدل عن فكرة  
الارهاب أو الترغيب في الجزاء حينما يبلغون السادسة فانها عقيمة ضارة لا تهذب  
النفوس ولا تقوم الاخلاق

### ابن السعادة

السعادة عقدة العقد وكبرى العضلات التي ضل في تيهها الفلاسفة والحكماء  
والشعراء فتمشعت فيها أفكارهم وتضاربت آراؤهم  
لا تخش أيها القارىء أن أضايقت بسرد أقوال أفلاطون وأرسطو وغيرهما  
من فلاسفة اليونان الاقدمين وشرحها وتحليلها أو البحث في آراء المتأخرين من  
حكماء الغربيين

دعنا من الفلسفة ونظرياتها والمنطق وقضاياها واصبر الى النهاية ولا تسأم حتى  
أسمعك ما علمتنيه الايام والالالي فلربما كان أصدق من خواطر الخيال وأقرب منالا  
وأسهل تحقّقاً

ظن البعض ان السعادة في كثرة الاموال والاولاد والحريث والقصور والشاىخات  
والخيل المطهمة والجوارى والغلمان فتكالبوا على جمع المال ولو بأخس الطرق وأدني  
الوسائل فألمات حب المال ضمائرهم وجعلهم غلاظ القلوب والاكباد فلم يجدوا لهم  
ضميراً يحاسبهم أو وازعا من الدين يزجرهم حتى أصبحوا مكروهين ممقوتين عند  
الله والناس

نرى كثيرأمن الناس لا يعرفون معنى الحياة وكيف يتصونها حتى بلغ من شدة  
عجزهم وضعف ارادتهم وسفاهة رأيهم أنهم ينتحرون خوفا من الكد في سبيل  
الحياة فهم في الحقيقة أسخط من أحقر الحشرات اذ نرى المال متحدة متضامنة مجتهدة

في الحصول على اقواتها مهمة لا تعرف الملل فتعطي الربيع والصيف والخريف في ادخار القوت لتستريح في الشتاء، وتستكن في مساكنها . ومن نباهة المال انها تقرض طرفي الحبة من القمح أو الشعير لئلا تنبت من رطوبة الارض

ايح القصور الشائقة وأختر أهلها تجدها فيها ألوفاً من مصائب متوارية وكروب خفية وآلام نفسانية ومتاعب جثمانية . ترى رب القصر وقد أوقعه التفاخر بمظاهر الغنى ومنافسته لجيرانه الاغنياء في هاوية الخراب والدمار وهذه عقيلته التي لم يحسن اختيارها تريحه كل يوم من صنوف الرزايا والخراب ما يثقل كاهله وهؤلاء أولاده الاشقياء الذين لم يحسن تربيتهم يزيدون في آلامه ومتاعبه ، يكاد يقطع هذا المنكود سبابه من الحسرة والندامة قائلاً : لو اقتنعت بما لدي من المال وأحسننت اختيار عقيلتي وربيت أولادي تربية طيبة لكنت الآن ناعم البال مرتاح الضمير

كل من في الوجود من انسان وحيوان يكمد ويعمل طلباً للسعادة . ترى الحيوان حينما تكمل قوته يصبو الى أليفة يسكن اليها فتراه يذوق الجوع والظماً ويدوم البحث عنها وكثيراً ما يصادفه مزاحم عنيد فيشهر عليه حرباً عواناً ربما كانت عليه المقاضية

نريد ان نستدل على طريق السعادة وحينما نجتازه نصل اليها ونعرفها حق المعرفة وهذه السبيل لها أربعة أبواب والسعادة وراء الباب الرابع . فمفتاح الاول بيد الاقدار وهو ان تولد سليماً عن العاهات والآفات فربما كان أبواك سليمين قوين وبما نذك القضاة . والثاني بيد أبيك الذي بذر بذارك فان كان البذر جيداً والتربة خصبة سليمة نما غرسك وأنع ثمرك والثالث بيد أبيك أيضاً وهو التربية الصحيحة الراقية بجميع فروعها العلمية والدينية والاخلاقية والبدنية والرابع الحكمة ومفتاحها بيدك

أتدري ما هي السعادة الحقيقية التي ضلت في مفاوزها العقول ؟ انها لا توجد في وسط القصور الفخمة والجنان الفيحاء والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والسكواب الحسان ولا تألف هذا الوسط المضطرب وانما هي منزوية في أعماق قوادك ؟

السعادة أن تكون صحيح الجسم والعقل مهذباً عالماً متحلياً بمكارم الاخلاق  
تقياً طيباً قانعاً بما أوتيت صبوراً على الملمات مؤدياً ما يفرضه عليك الواجب نحو  
ربك ونفسك وأهلك ووطنك محبوباً عند الله والناس تحاسب ضميرك قبل نومك  
فتجد نفسك لا عليك ولا لك

آتاك الله ووالداك هذه السعادة والواجب يقضى ان تكلاًها بعين عنايتك  
وتورثها لابنائك وتعاهدهم على أن يحذوا حذوك ويحافظوا عليها حتى يتوارثها عقبهم  
أبد الآباد ويرشدوا الناس الى منهاجها القويم

خير لشقى تعس منكود جنى على نفسه أو جنى عليه أبوه بمرض عضال ورثه  
منه أو أهل تربيته حتى أصبح عالة على أمته ان لا يتقل شقاءه الى غيره ويتزوج  
ويجنى هذا الأثم العظيم فان امتنع فتلك مروءة نادرة وطيبة عظيمة

أيها الشقي المسكين الذي جنى عليه أبوه وسدت في وجهه أبواب السعادة  
وحرمه طالعه المنكود من راحة الجسم وهناءة البال تدرع بصبر أيوب وفرج  
كرويك وبدد همومك بمواساة البائسين واغاثة الملهوفين وعيادة المرضى وبرهم  
بقدر ماتستطيع ولو بكلمة حلوة فان ذلك سعادة عظيمة لا يفهمها إلا الكيس الحكيم  
وتعز في وحدتك بقول أبي العلاء

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد



## باب النقد

### الادب في القرن التاسع عشر

فشا بيننا معشر المصريين داء عضال لم يجد أمامه من الاساة من يقاومه ويستأصل شأفته حتى طال به العهد وأصبح كأنه غريزة في النفوس ، اعتدنا أن نعتقد العجز في أنفسنا مهما بلغت قدرتنا وكفاءتنا فلا نحكم عقولنا في أى أمر مهما كان سهلاً لا يستدعى للحكم عليه اجتهاد الفكر أو الاستعانة بأولى النظر ظانين أن هذا من التواضع والنفور من الغرور ، لعمر ك ما هذا الا الضعف والخذلان والجمود وقتل النبوغ حينما تبدو بوادره والخيولة دون الترقى والفلاح . فترانا ان اختلافنا في قيمة عمل ما لم نجد أمامنا حكماً غير الرأي العام الذي نجمله ونمجده ونصاع اليه . كلنا نعلم أن العامة مهما فاقوا الخاصة في العدد اضعافاً مضاعفة لا يعتد برأيهم ذوو الرأي الثاقب لتجردهم من المقدرة التي تؤهلهم للحكم .

لست بذلك أبغي من كل فرد أن يسلك سبيل الغرور ويركب متن الشطط فيفضل في بيداء أوهامه ويحكم نفسه في كل شيء سواء كان من ميسوره أو فوق مقدوره . بل ينبغي له أن يعرف قدره وفضله ويضع نفسه بعديل في موضعها اللائق بها فلا يتناول حكمه امراً لا يستطيع القضاء عليه فبذلك يستمر في رقيه لبعده عن الغرور ويكون عادلاً في قضائه

ومن الناس من يستعين في حكمه بمعلوماته ومحفوظاته دون ان يكون له رأي ذاتي و بظن انه هو الذي اصدر هذا الحكم . كلا فانه واهم اذ الحقيقة أنه صادر من فئة من العلماء الذين حفظ أقوالهم وآرائهم فيجب عليه اذاً أن يتجرد من معلوماته ومحفوظاته عند الحكم انلا تؤثر في فكره ويستملى عقله وشعوره ليصل

الى الحقيقة . ولا مانع من الرجوع الى المعلومات بعد اصدار الحكم علنا نجد فيها ما يعزز رأينا ويؤيد حكمنا .

ومن أدوائنا القتالة حب الشهرة التي لا تتفق مع الرقي إذ هما ضدان لا يجتمعان والمتفاني في حب الشهرة الكاذبة أساليب متنوعة فهمهم من يستعين باقلام غيره ومنهم من يسرق خطبة من الكتب المتفرقة ويأليته عرف كيف يجمعها ويجمعها موضوعا مفهوما أو يترجم قطعة ينتحلها لنفسه ثم يذهب الى المدارس الساقطة ويلقيها بتشويق عجيب واشارات ملؤها الخيلاء على مجمع من تلاميذ المدرسة وخليط من عامة جيرانها فيصفقون له التصفيق الحاد فيتمایل حضرة الخطيب المصقع تيمها واعجابا ومنهم من يستأجر الكتاب لتحرير مجلة او جريدة ينسبها لنفسه ويستمر في إصدارها ولو كانت سائرة في سبيل الخراب وكفاه فوزاً بأمنيته أن يلقيه صغار التلاميذ بالكتاب الفاضل صاحب جريدة أو مجلة كذا ومنشئها . ومنهم من يسعى في تأليف ما يسمونه بالجمعيات الادبية وينفق عليها من ماله الخاص تسهلاً لتأسيسها ليكون لها رئيساً وخطيباً وينقش على بطاقة زيارته اسمه بخط الثلث ويذله برئيس جمعية كذا . ومنهم من يريد أن يمرر ابنته فضلاً إن اعوزها المال والجمال واصبحت عانساً فيستأجر من يكتب لها كل اسبوع مقالا يملأها اعمدة الجرائد وقد فاتته ان المال اعظم شفيق للجهل والدمامة وسوء الخلق والسمعة وان شبابنا لا يهمهم ان تكون لهم عروس اديبة فاضلة كريمة الاخلاق . . حياة الشهرة الكاذبة قصيرة اذ لا تلبث ان تبددها شمس الحقيقة ويعقبها السقوط الابدى والافتضاح والحسرة على ضياع عمر طويل جرياً وراءها وكان الاجدر به ان يصرفه في الرقي حتى يصل لدرجة تؤهله لايخراج ما ينفع الناس من جليل الاعمال وما يكسبه شهرة صحيحة يتناقلها الخلف عن السلف

ليس من الحزم أن نجاري السلف في أحكامهم ونطبقها على عصرنا دون إعادة النظر فيها ونحيطها لان الازمان تختلف في درجات مدنيته ومارفها : ولقد تمادينا في تمجيد الشهرة القديمة حتي كادت تغطي على نوابع العصر وماضي .

كثير منا ينقب على مؤلفاتهم ويشتريها بأثمان باهظة ويدخرها كأفئس الأعلاق أو الخلفات المقدسة .

ابتدأت اللغة في عهد محمد علي باشا وخلفائه أن تدب فيها الحياة بعد موتها فنبغ في مصر فئة كانوا نجوم عصرهم فاهتدت بهم الامة في ديجور الجهل وكانت لهم اليد الطولى في تلك النهضة العلمية مثل : « عبد الله باشا فكري : وقصري باشا : ورفاعة بك رافع : وعبد الله افندي أبي السعود : ومحمد افندي عبد الرزاق : ومحمد بك عثمان جلال : وعبد الله افندي نديم ومحمود افندي صفوت الساعاتي : والشيخ علي أبي النصر : والشيخ احمد عبد الرحيم » فهنم من خدم الشعر والنثر ومنهم من عني بالتعريب ومنهم من اختص بالصحافة ومنهم من نفع القضاء . ونريد الآن أن ننظر في أعمالهم ونختبرها لا قصد الازدراء بل لنعلم ان كانت تنفعنا في عصرنا أم لا . فننشرها من رموسها أو ندعها نائمة مطمئة محترمين رفاتها كأنها آثار تاريخية نستعين بها على درس اطوار اللغة والادب في مصر

### عبد الله باشا فكري

نبدأ بأمرهم في الصناعتين ألا وهو الشاعر النثر عبد الله باشا فكري ناظر المعارف ، من كانت قدمه راسخة في العلوم العربية رقيقا في النثر والنظم ، ولئن جرى زمنه في التسجيع فإن سجعهم كان مقبولا سلسلا متينا تزينه سلامة الذوق قليل التكاف ومن أرق ما كتبه نثرأ رسالته التي كتبها لاحد اصدقائه يصف بها الازهرين في ذاك الزمان وقد حوت من رقيق الفكاهات ودقيق الوصف ومزايا العربية رفضلها وطباع أهل الازهر وأخلاقهم وأولها : « كتبت والذهن فاتر ، من وهن الدفاتر »

ومن جيد شعره قصيدته الرائية التي نظمها عقب الافراج عنه بعد اتهامه أبان الثورة العرابية وقد توجه الى سراى عابدين فأعرض عنه الخديوى توفيق باشا ولم يسمح له بمقابله وأرلها :

كتابي توجه وجهه الساحة الكبرى وكبر اذا وافيت واجتنب الكبرا  
ومنها

أجمل في دين الروء أتى أ كابد في أيامك البؤس والسر  
وأحرم من تقبيل كفك بعدما ترامت بي الآمال مستأنساً برا  
ولي فيك آمال ضمينى بنججها وفاؤك لا أرجو سواك لها ذخرا  
وقد مرّ لي فوق الثلاثين حجة بخدمة هذا الملك لم آلهما صبرا  
أرى الصديق فرضاً والعفاف عزيمة ونصح الورى ديناً وغشهم كفرا  
وجاوزها لا لي عقار يفيدني كفافاً ولا في الكف قد أبتفى وفرا  
ولو شئت كانت لي زروع وأنعم ومال به الآمال اقتادها قسرا  
ولكنها نفس فدتك أية تعاف الدنيا أن تمر بها مرا

وقد كانت هذه القصيدة أعظم شفيح له فسمح له الخديوي بالمشول بين يديه  
وحظى بصفوه ورضاه وأعيد اليه معاشه فقال في هذا المقام قصيدته المشهورة ومطلعها  
لي الله من عانى الفؤاد متم ولوع بمغرى بالدلال منهم  
ومن أحاسن شعره قصيدته التي هئأ بها توفيق باشا حينما جلس على عرش  
الاريكة الخديوية وأولها

اليوم يستقبل الآمال راجيها وينجلي عن سماء العز داجيها  
نشأ عبد الله باشا فكري في أواخر حكم محمد علي باشا يتيما فتكفله بعض أقاربه  
ولم يعن بادخاله إحدى المدارس بل اقتصر على تعليمه القرآن ثم أرسله الى الأزهر  
فاتقن العلوم العربية المتداولة فيه واللغة التركية . ولو كان يعرف الفرنسية لكان  
أطول باعا وأعظم شأننا .

### شمس قرى باشا

كان عالماً فاضلاً ، متبحراً في العربية والفرنسية ، بارعاً في فقه أبي حنيفة ،  
شاعراً رقيقاً ، ذا إلمام تام بالجغرافية والتاريخ ، يحسن التركية والفارسية . ومن  
مآثره « كتاب الاحوال الشخصية » وبعض كتب مدرسية ، وكان أعظم العاملين  
في ترجمة قانون المحاكم وله كتاب جغرافية باللغة الفرنسية طبع في النمسا ، ومن  
رفيق نظمه قصيدته التي مدح بها الخديوى اسماعيل باشا ومطلعها  
حيا الصفا مصر مسروراً بواديه وزارها الغيث فاخضلت بواديه  
ومنها

وتيمتهم بها سكرأ وما عرفوا      السكر من راحها أم من لمى فيها  
ووجها البدر قد تمت محاسنه      أستغفر الله ما أنصفت تشبيها  
فالشمس منها استعارت نور طاعتها      والبدر أدنى فكيف البدر يحكيها  
(ومنها) ورحلتي عن ديارى أمرها عجب      لولا الاطالة كنت الآن أحكيها  
كانت حدائق بالعرفان يانعة      كما هي الآن يا محبي معاليها  
وكعبة لبنى الآمال يقصدها      للفضل والانبيا كانت توافيها  
« سولون » « أودوكس » « أفلاطون » قد درسوا  
في « عين شمس » وكانوا من مواليتها

ومنها

وفضل مصر عظيم الشأن قد شهدت      به الممالك قاصيها ودانيها  
لكنها أصبحت من بعد عاطلة      من العلوم التي كانت تحليها  
أسباب ذلك لا تخفى على فطن      له وقوف على أحوال ماضيها  
إن الممالك كالأفراد في شبه      فالجهل يخفضها والعلم يعليها  
وأنت أدرى بذنا مني ومطلع      على التواريخ لا تحتاج تنبيها  
« لا يعرف الشوق إلا من يكابده      ولا الصباة إلا من يعانيتها »

### وله من قصيدة أخرى

رجوت علاه أن يشنف مسمعي      فغنى من الفتيان دوراً وقسماً  
أغن إذا ماجس أوتار عوده      يكاد حنين العود أن يتكلماً  
(ومنها) ويا كفه هل أنت أو غيث ديمة      أجبني فاني خلته لك توأماً  
رضيعاً لبان أنما لكما الوفا      ويكفيكما فخراً رضا مصر عنكما  
وكان أخوك الغيث لا يعرف النداء      وعلمته أنت النداء فتعلمها

### رفاء بك

لا نبالغ إن قلنا أن هذا الرجل أعظم من نفع البلاد وهو الذي أسس مدرسة  
الأسن وعين ناظراً لها وقد هذب مئات من خيرة الرجال و كانت عزيمته لا تعرف  
الملل يقطع نهاره في التدريس ويحيي ليله في ترجمة الكتب النافعة وقد ألف وترجم  
وحده عدة كتب هذا بخلاف ما ترجمه فلم الترجمة بمراقبته مثل «كتاب لمونتسكيو»  
لم أتحقق من اسمه «ووقائع تالماك» وثلاثة أجزاء من «جغرافية مالت برون»  
ونبذة من «تاريخ الاسكندر» و «أصول المعادن» و «تقويم سنة ١٢٤٤» و «مقدمة  
جغرافية طبيعية» وثلاث مقالات في «الهندسة» ونبذة في علم «الهيئة» وقطعة من  
«علميات رؤساء ضباط العسكرية» و «أصول الحقوق الطبيعية» ونبذة في  
«المتولوجيا» ونبذة في «علم سياسات الصحة» (تقويم الصحة) ومما ألفه «أنوار  
توفيق الجليل في تاريخ مصر وتوثيق بني اسماعيل» و «نهاية الایجاز في سيرة  
ساكن الحجاز» وكتاب «المرشد الأمين في تربية البنات والبنين» وكتاب  
«مناهج الالباب» وكتاب «قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر»  
ورحلته المسماة «تخليص الابرز الى تلخيص باريز» وغيرها وله قصائد عديدة  
مدح بها سعيد باشا واسماعيل وغيرها قالها في مناسبات مختلفة وأعظمها التي نظمها  
وهو في السودان وقد عين هناك ناظراً لمدرسة الخرطوم فأرسل هذه القصيدة الي

حسن باشا كئخذ مصر متوسلا اليه أن يفتشه من السودان بعد أن مات نصف  
من بصحبته من الاساتذة والقصيدة تشير الى أحوال السودان وعوائد أهلها ويشكو  
فيها ما ناله من الظلم أثر سعاية أهل الفساد فسمحوا له بالعودة الى مصر بعد أن  
مكث هناك أربع سنين ومطلع القصيدة :

ألا فادع الذي ترجو ونادي      يجبك وإن تكن في أي ناد  
ومنها

رعى الحنان عهد زمان مصر      وأمطر ريعها صوب العهد  
رحلت بصفقة المخبون عنها      وفضلي في سواها في المزد  
وما السودان قط مقام مثلي      ولا سامي فيه ولا سعادي  
بها ربح السموم يشم منها      زفير لظى فلا يطفئه وادي  
عواصفها صباحا أو مساء      دواما في اضطراب واضطراب  
ونصف القوم أكثره وحوش      وبعض القوم أشبه بالجماد  
ومنها

خدمت بموطني زمنا طويلا      ولي وصف الوفاء والاعتماد  
فكنت بمنحة الاكرام أولى      بقدر للتعيش مستفاد  
وغاية مطلبي عودي لاهلي      ولو من دون راحة وزاد  
واه تخميس قصيدة من نظم الشيخ عبد الرحيم البرعي وهي متوسطة في الجودة  
وهو معذور لان الاصل من شعر الفقهاء ومطلعها :

تبدي الغرام وأهل العشق تكتمه      وتدعيه جديلا من يسلمه  
ما هكذا العشق يأمن ليس يفهمه      خل الغرام لصب دمه دمه  
حيران توجده الذ كرى وتعدمه

نريد أن نلقي نظرة عامة على ثمره فلذلك نورد طرفاً من رحلته الى باريس قال  
في أول مقدمته : الباب الاول في ذكر ما يظن لي من سبب ارتحالنا الى هذه البلاد  
التي هي دار كفر وعناد ( كذا ) وبعيدة عنا غاية الابتعاد ، وكثيرة المصاريف

لشدة غلو الاسعار غاية الاشتداد ، ومنها : « ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس وكأأنه نوع من العياقة ( كذا ) والشلبة ( كذا ) لامن الفسق فلذلك كان دائماً غير خارج عن قوانين الحياء بخلاف الرقص في أرض مصر فانه من خصوصيات النساء لانه لتتهيج ( كذا ) الشهوات وأما في باريس فانه نط ( كذا ) مخصوص لايشم منه رائحة العهر أبداً وكل انسان يغرم امرأة ( كذا ) يرقص معها فاذا فرغ الرقص عزمها ( كذا ) آخر للرقصة الثانية ، . الى أن قال « وبالجملة فمس المرأة أياما كانت في الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى ( كذا ) وكلما حسن خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عد هذا من الادب » . ومنها : « وقرأت كثيراً في كازيطات العلوم اليومية والشهرية التي تصل كل يوم مايصل خبره من الاخبار الداخلية والخارجية المسماة البوليتيكية وكنت متولعاً بها غاية التولع ( كذا ) وبها استعنت على فهم اللغة الفرنسية وربما كنت أترجم منها مسائل علمية وسياسية خصوصاً وقت حراية الدولة العثمانية مع الدولة المستقوية ( وقد تكررت لفظة حراية بعد هذه الجملة مراراً في الصحيفة التي تليها )

وانذ كر شيئاً من « وقائع تلياك » وهي من أشهر ما ترجمه فنها :

« وقد استقام برهة من الزمان يقاوم الاعداء المتكاثرة ويصادم بشجاعته وصمو له ( كذا ) جموعهم الوافرة ثم انتهى به الحال أن ثاقلت عليه الاحمال فكنت شاهد هلاكه ومشاهد استهلاكه وذلك أن أحد عساكر صور طعنه برمح في صدره فاصاب أشد الصدور فانفلت زمام مطيته من كفه ووقع تحت أرجل الخيل يهوي الى حتفه فبادر نفر من العساكر القبرصية فخر ناصيته الدنية بعد أن كانت قضية وقبضها ( كذا ) من شعورها المرخية لتتفرج عليها البرية ولتكون علامة على النصر الذهبية البهية .

ومنها قوله في أول المقالة الرابعة : « والى هذا الوقت كاللبسة باهتة متحيرة ممثلة من الحظ والسرور من هذه القصة الميمنة حال تلياك وعن صفاته مخبرة فقطعت بكلامها كلامه الفصيح حتى أنه من التعب يستريح قائلة له قد حان لك أن تتمتع

بلذيت المنام بعد النصب الكامل من حكاية هذا الكلام لا خوف عليك هنا بل كل شيء يلائم مزاجك فاطلق عنان هوائك في ميدان الهنا وذق طعم الراحة فالدهر لك مسالم وكل الخيرات المخلوقة تفيض عليك من عندنا فاغتمها فأنت أسلم غانم وأغنم سالم»

يتبين للقارئ من أول وهلة أن هذا النثر لا يليق إلا بالأطفال ولولا هذا السجع السمج المزدول لاستقام انشاؤه وانتظم . وما السجع إلا عقبات وقيود تضل الكاتب وتجعله يترك الخيال والفكر وينصرف الى البحث عن ألفاظ يحشرها تذهب بطلاوة كلامه وتكون لغواً باطلاً وتنميقاً لفظياً ممقوتاً عاطلاً من المعاني وآيات البلاغة . وهو الذي هوى بالسلف الى دركات الانحطاط في الانشاء بل سرى داؤه الى الشعراء فأصبحوا لا يعتنون إلا بالألفاظ وتزينونها بالمحسنات البديعية ويظن الشاعر منهم أنه إن نظم بيتاً موزوناً وزخرفه بنوع أو أكثر من البديع ملك أعنة الشعر وهزولت اليه البلاغة طائفة خاضعة ولو كان كلامه ألفاظاً مرصوفة وتركيبه خالياً من المعاني

كان رفاعه بك ينقصه الذوق السليم وهو روح الانشاء وملاك البيان . وكثيراً ما يلحن في تصريف الافعال أو يأتي بألفاظ عامية أو يكرر اللفظ مراراً دون أن يغيره بمرادف ويتصرف في ترجمته . وقد انتقده (البارون سيلقشز دوساسي) المستشرق الفرنسي الشهير الذي ترجم المقامات الحبرية وكيلة ودمنة الى الفرنسية إذ قال في خطاب أرسله الى المسيو جومار في شهر فبراير سنة ١٨٣١

« ولكنه يشتمل على بعض اوهام اسلامية » وأظن أنه يشير بذلك الى ألفاظ التعصب الديني الذميم المودعة في رحلته الى باريس إذ ليس من الادب واللياقة أن يستضيف قوماً يأخذ عنهم العلم ويسبهم في رحلته التي قدمها الى مشاهير مستشرقين ملتصقين منهم ابداء رأيهم فيها .

وقال في نقده أيضاً : « وليست عبارته دائماً صحيحة بالنسبة لقواعد العربية واهل سبب ذلك أنه استعجل في تسويده وانه سيصلحه عند تبويضه وفي التكلم

على علم الشعر ذكر استطراد بعض أشعار عربية تخرج عن موضوع الكتاب وربما أعجب ذلك اخوانه من أهل بلاده »

وتكلمت بعض الجرائد أو المجلات عن نتيجة امتحان الارسالية المصرية فقالت عن رفاعه بك « وقد اعترض عليه في الامتحان بانه بعض الاحيان قد لا يكون في ترجمته مطابقة تامة بين المترجم والمترجم عنه وانه ربما كثر وربما ترجم الجملة بجملة والكلمة بكلمة »

وقد ترقى في نثره قليلا في كتبه مناهج الالباب ، وأنوار توفيق الجليل ، والايجاز في سيرة ساكن اليجاز ، لا سيما حينما يترك التسجيع في عرض كلامه .

### عبد الله القمري إلى السهور

نافعة من نوابغ عصره نشأ بناحية دهشور وحفظ القرآن ثم انتقل الى مدرسة البدرشين وكان أبوه ناظرها ثم انتخبه رفاعه بك فيمن انتخب لمدرسة الالسن فالتحق بها وسنه إذ ذاك أربع عشر سنة فبرع على أمثاله سيما في اللغة العربية ثم درس العربية بدلا من أستاذه الشيخ حسين القمري ودرس لآخوانه « كتاب مغنى اللبيب » ثم عهد اليه تدريس الفرنسية وتصحيح تراجم الكتب الرياضية بالمهندسخانة . وكان متضلعا في الفقه إذ حضر « ملتقى الابحر » بمدرسة الالسن على الشيخ خليل الرشيدى المقتي ومع قيامه بوظيفة التدريس كان مواظبا على الحضور بالازهر فقرأ به عدة كتب نفيسة منها « الدر المختار » وتنقل في عدة وظائف أخرى منها تدريس الجغرافية والتاريخ بمدرسة دار العلوم ورياسة قلم الترجمة الى ان عين في أواخر أيامه عضواً في مجلس الاستئناف وله عدة مؤلفات منها « تاريخ مصر » وجانب من « التاريخ العام » وقد ترجم « نظم الآلي » في السلوك فيمن تولى فرنسا ومصر من الملوك » و « قانون المرافعات المدنية والتجارية » وكتاب

« تاريخ مصر القديم » وكتاب « الاتيكيخانة الخديوية » و « تاريخ محمد علي » و كتاب في « علم الجغرافية » وآخر في « الكيمياء الزراعية » وطرفاً من رواية « جيلبلاس » وقد اشتغل بالشعر ايضاً وله بعض قصائد لم اعثر إلا على ثلاث أبيات من ضمن قصيدة طويلة له :

ومن قال ان الدولة اليوم وحدها تصفق منها الكف كي يصلح الامر  
وماذا عسى يجدي اجتهد لدولة وليس من الآحاد شد لها أزر  
أما يقتضي أن نبذل الجهد كي يرى لها الشطر في اصلاحنا ولنا شطر  
وهو الذي انشأ صحيفة « وادي النيل » سنة ١٢٨٤ ثم انشأ نجله محمد أنسي بك  
جريدة « روضة الاخبار » فكان هو محررها

### محمد افندي هجر السازي

كان من اقران أبي السعود افندي تعلم في مدرسة الالسن وبرع في العربية والفرنسية وكان اعظم العاملين في قلم الترجمة يضارع في فوته أبا السعود ولم أر أحداً من اقرانه أو اساتذته بلغ مبلغه في النثر المتين البليغ الذي لا يفترق عن كتابة العصر الحاضر وله قاموس في الموالييد الثلاثة بالفرنسية والعربية محفوظ بالكتبخانة ولم يطبع وينقصه بعض حروف ومما ترجمه « خلاصة تاريخ العرب لسيدو » وقد مات قبل اتمام ترجمته فكاف علي باشا مبارك من أتم الجزء الصغير الذي كان باقياً منه وطبعه

واني لمورد طرفاً من كتابته في هذه الترجمة ليقف القراء على متانة أسلوبه العربي وذوقه السليم في التعبير: قال في أول المبحث التاسع: « كان بين الاسماعيليه والقحطانية تنافس المعاصرة المؤدي الى اختلاف الكلمة ثم مالوا الى الوحدة السياسية لتوفر أسبابها من اغارة الحبشة عليهم بمكة واتحادهم في الاخلاق والعادات

فإن سائرهم تمسك بأوهام العبادة الوثنية والعادات الجاهلية كعاملية النساء معاملة الرقيق ووآد البنات مع التكبر الوحشي وحب الانتقام والمقاصة وإجازة النهب بعد الانتصار وإقامة القوة مقام الحق وقرى الضيف مع حرمان النفس تشوقاً إلى السمعة بين القبائل وحب شرف النفس الموجب للبسالة والجماسة والمخاماة عن المظلوم وتقديم الوفاء بالوعد على الحياة وزيد على ذلك شهواتهم النفسية فأنها أكبر تلك الحصال غلبة وظهوراً ومن ذلك يعلم أنه متى اتجهت عقولهم الهائجة المخاطرة إلى شيء وثبوا إليه وثبة واحدة وذلك يوجب الوحدة في اللغة المتيسر بعضها بواسطة اختلاف القبائل »

### عبر الله افندي نعيم

صحافي شهير وكاتب أخلاق اجتماعي طويل الباع في الخطابة ، وكان إذا اقترح عليه أي موضوع في محفل من المحافل قام بين الناس خطيباً مرتجلاً طلق اللسان فصيح الالتقاء سريع الخاطر مستهراً في خطابه ساعتين أو ثلاثة دون أن يتلعم لسانه وهو الذي أنشأ مجلة «الاستاذ» و «الطائف» و «التنكيك والتبكيك» وفضلاً عن نبوغه في النثر فإنه مهير في المجون والازجال والمواليات وصحيفته الأخيرة حافلة بهذا النوع وكان يعقب الموضوع الهزلي بالتبكيك والموعظة الحسنة ومن جيد مقالاته التي أمكنني العثور عليها «من أقتدي إذا اختلفت الآراء» و «هذه يدي في يد من أضعها» و «حرب الأقلام بجيوش الأوهام» ولذكر قطعة من مقالاته الأولى لنقف على أسلوبه

«اقتد بمن إذا أسبغت عليكم النعم كان مهتاً معك وإذا نزلت بك مصيبة كان لك معزياً فان اخلاص النصيح من غيره لا يتأني إلا إذا عاد لبطن أمه وولد مرة ثانية في أرض مس تراها جسمك وليداً وخدمت في اصلاحها شاباً ودبرت شأنها شيخاً وكيف يقتدي العاقل بنازح عن دياره وقد اطلقت هواء وعذبت ماء وطابت

مقرأ . وكثرت خصبا . فلم يرض بما رضي به أبأؤه . واستهجن ما استهجنه أجداده  
وقطع رحما يجب صلتها عليه .

وله رسالة ضمن غالبها بالآيات القرآنية أولها :

«لاحول ولا قوة إلا بالله اشتبه المراقب بالله واستبدل الخاو بالمر وبيع الدر  
بالخزف والحز بالخسف وأظهر كل لئيم كبره إن في ذلك لعبرة»

### محمود افندي صفوت الساعاتي

ولد هذا الشاعر المجيد بالقاهرة سنة ١٢٤١ وانتقل الى الاسكندرية مع أبيه  
وهو في الثانية عشر ثم عن له حينما بلغ العشرين أن يحج البيت الحرام وهناك  
التحق بأمير مكة الشريف محمد بن عون فكان له سميراً وشاعراً لا يفارقه في حله  
وترحاله وغزواته ولما عزل الشريف هاجرو معه الى مصر ثم سافر الى الاسكندرية  
بمعيته وفي عام ١٢٦٨ آب الى القاهرة وانتظم في سلك المعية الكتبخانية زمناً  
ما ثم تعين بمعية الحدوي سعيد باشا ثم تقلب في عدة وظائف الى أن عين أخيراً  
عضواً في مجلس أحكام الجيزة والقليوبية . وتوفي سنة ١٢٩٨

كان من فحول الشعراء المطبوعين رقيقاً حسن الذوق غزير المادة متوقد  
الذكاء نبغ في عصر كاد الشعر فيه يندرس فهدبه وأعلى شأنه في مصر والحجاز وبزغ  
في سماء القريض شمساً مشرقة استنار بها كل من عالج هذه الصناعة من مواطنيه .  
ومن آيات بلاغته قصيدته الهمزية وبها نفحات عظيمة في الفخر وأولها .

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| رقت لركة حالي الالهواء       | وحنت علي البانة الهيفاء    |
| وبكى الغمام علي من أسف وقد   | كادت تمزق طوقها الورقاء    |
| ماذا تريد الحادثات من امرئ   | من جنده الشعراء والامراء   |
| دعها تمد كما تريد شباكها     | فلربما علقت بها العنقاء    |
| أنا ذلك الصل الذي عن نابيه   | تلوى المنون وتلتوي الرقطاء |
| وفي هو القوس الارن ومقولي اا | وتر الشديد وأسهمي الانشاء  |

فمكر ينظم في البديع فرائداً من دونها مالم يلفظ الدأما  
وله من قصيدة دالية مطلعها : —

دعيني فما في الامر غير التوعد فخي متى إيمان هذا التهدد  
ومنها :

ألا في سبيل المجد نفس عزيزة يعز عليها أن تذل لمعتد  
فما لك لاتأوين لي من صباة رويدك أن الحسن غير مخلص  
فكوني كما شاء الوشاة وصدق زخارفهم واصغي لقول المقتد  
فليست يد الهجران قاتلة امرى يهز من السلوان كل مجرد  
ومنها :

فلا فضحت نظم الجمان قصائدي ولا بلغت بي رقي كل مقصدي  
إذا لم أطوق مجده بثلاثد بغير حلاها الدهر لم يتقلد  
فرائد مدح في ساوك مناقب المنفرد بالمكرات مسود  
وان لم أسير بالقوافي ركائباً فلا قيدت شعري محابر منشد

### محمد بك عثمان مبرل

كان مولعاً بالآداب العربية والافرنجية وقد تقلب في عدة وظائف الى أن عين قاضياً بمحكمة مصر المختلطة . وترجم في أوائل أيامه حينما كان بنظارة الحربية بعض كتب عسكرية كما أشار بذلك قدرى باشا في تزيينه كتاب « الامانى والمناهج » في حديث قبول وورد جنه « ثم عكف على تعريب طائفة من مؤلفات بعض من مشاهير الشعراء والكتّاب الفرنسيين . فما ترجمه عن « كورني » رواية « أوراس » لم تطبع وهى محفوظة عند ورثته . وما عربه عن « راسين » رواية « أتالي » ولم تطبع أيضاً ورواية « أستير : وايفيجينى : واسكندر الاكبر » وهذه الروايات الثلاثة مطبوعة في مجموعة واحدة باسم « الروايات المفيدة في علم التراجم » وما ترجمه عن « مولير » رواية « تروتوف : والنساء العالمات : ومدرسة الأزواج : ومدرسة النساء »

وهي مطبوعة في مجموعة سماها « الاربع روايات في فن التياترات » وعرب « پول وفرچيني » للكاتب الفرنسي الشهير (بيرناردان دوسان بيير ) وأغلب حكايات (لافونتين) وسماها « العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ » . وقد امتاز في الازجال هو وعبدالله افندي نديم والشيخ محمد النجار وكانت له ملكة راقية فيها تزيينها فكاهات لطيفة ونكات ظريفة وبها كتب معظم معرباته وله عدة أزجال متفرقة منها «رواية الخدمين» وهي من وضعه ونبذة في «تاريخ ولاية مصر» ابتداء من عهد محمد علي باشا الى عصرنا هذا وآخر في « المأكولات » وغيره في « الازهار » وقبل أن نفحص هذه التراجم نورد كلمة نعرف بها مزاي (راسين) و (موليير) ولو أنها لا تخفى على معظم القراء

كان (راسين) من فحول الشعر الكلاسيك الحزن وتختلف رواياته المخزنة (تراچيدي) عن روايات (كورني) برقتها وقربها من الحقيقة مع سهولة مبنى الموضوع وبعده عن تعقد الحوادث ويزين شعره فن رقيق وذوق سليم وروح مؤثرة تأخذ بمجامع القلوب . وغير خاف أن الشعر الكلاسيك عند الغربيين هو بمثابة الشعر الجاهلي عندنا . فانت المعرب جميع هذه المزاي فلذلك عمد الى تعريبه باللغة العامية مع تصرف عظيم فجعله زجلا مضحكا ملؤه النكات والفكاهات المصرية المتداولة بين العامة .

أصبحت الترجمة لا تنفع مريد التمثيل ولا محب الادب ولا كافاً بالحوادث والوقائع ولا مغرمًا بالازجال لانه خلط بين الجد والهزل والحزن والمزاح حتى صارت عاطلة من مزايها الادبية والنظمية والتمثيلية ومن فكاهاته في رواية « ايفيجيني » لو كنت يوم دافعت عنها بهمتك ما كنتش انذليت وصغرت عمتك لا أب فيك رحمة ولا جوز تنشكر إلا انت واحد بربرى ضحك عكر

ويعد (موليير) أول من رقي التمثيل المضحك في فرنسا ولم يبارره في هذا الفن مبار لغاية عصرنا هذا ولم تزل رواياته خالدة على جميع المسارح الاجنبية . كان يمثل الطباع والسجايا والعادات تمثيلا لا يقترب عن الحقيقة بشكل وحيد في بابه تزيين انشاء بلاغة نادرة وذوق رفيع . وقد اسعد اللغة العالية والمتداولة

الاستعمال باشعار وكلمات واصطلاحات ذهبت مذهب الامثال .  
فان بحثنا عن شيء واحد من هذه المحاسن طي ترجمته لم نجد له وحاشا أن نعتبر  
أن هذه الازجال تمثل لنا آيات (موليير) الباهرة بل هو بريء منها إذ في نسبتها  
اليه حطة وازدراء .

كلنا نعلم أن رواية ( تارتوف ) هي صفوه ما ألفه ( موليير ) بل أحسن رواية  
مضحكة في جميع التمثيل الفرنسي فسخها المترجم وقلب موضوعها وسماها ( الشيخ  
متلوف ) ونقل الحادثة الى مصر بين هذا الفقيه وكعب الخير وأم النيل وبها نه وغيرها  
فان اعتبرناها زجلا من أزجاله يقطع به العامي وقته وجدناها أضعف من أزجاله  
الآخرى وأي مورد طرفا منها للتقارنه بغيره

## الفصل الاول

### أم النيل

يا الله بنا روح قوام يا كعب خير دولا جماعه الكل ما فيهش خير  
كعب خير

هو جرى حاجه هنا يا ستنا حتى روح برا وثرك بيتنا  
أم النيل

كثر الكلام مالوش نفع يا الله بنا راح اعقد التفت هناك والا هنا  
كعب خير

بس الخروج دا ليه وانا شايفه الجميع من تحت أمرك كلهم سميع ومطيع  
والكل تحت اليد فللي تأمره تقسمي اللي تقسميه وتأخريه  
وقال في رواية الخدمين :

وتغسل الحوض الكبير وتبخره وفي الكنيف الابريق دائما تحضره

وعندنا القربة وعندنا الحير وتروح للجامع تحجب ستين رغيف  
وكل يوم تبيع لنا العيش القديم وكل شيء تسلمه لي بالمدد  
طبق من الخدمة وكتر المرمطة قوم يا ولد هات الجرايه وعدها  
ويطبخه مشوار لثم السيدة حتى انبرى عظمه وجسمه انتحل  
تري الفرق شاسعاً بين الاثنين وان السهولة والانسجام يطاوعانه في الاخير:  
ليت شعر ما الذي حداه الى تعريب هذه الروايات التمثيلية؟ أريد أن يقدم بها  
التمثيل في عصره أم ينفخ القراء بمعجزات (راسين وموليير) أم يهدي اليهم من  
الحوادث والوقائع ما يتفكرون به في أوقات فراغهم؟ وaim الحق إنها لاتصلح لهذا  
ولا لذلك حتى أن اعتبرناها الاعتبار الاخير سثم منها القارئ وفضل عليها  
(روكامبول) و (الص الشريف) وأمثالهما من الروايات المحشوة بالحوادث الغريبة  
والوقائع المدهشة .

تطاول قلم المعرب أيضا الى الروايات القصصية التي تعد من امهات كتب  
النثر الفرنسي فترجم راية (بول وفرجينى) وسماها (الاماني والمنه في حديث  
قبول ووردجته) : وكلنا نعلم أن هذه الرواية تعد في نوعها درة بتيمة لم يوفق  
أحد قبل مؤلفها ولا بعده أن يأتي بمثلها أو ينسج على منوالها فكانه دخل في قلب  
هذين الطفلين البائسين وقرأ ما خط فيهما من آيات الهوى العذري الطاهر  
وأخرجه الناس في قالب رقيق ساحر كانه انغام شجية تستهوى الافئدة رقة  
وعذوبة :

محمد المترجم في تعريبه الى السجع السمج ففسخ هذه الآيات البيئات وأقبر

محاسنها وكساها ثوبا من الركاكة تغفر منه القلوب قبل الاسماع واني لمورد منها  
بعض جمل ليحكم القراء عليها. قال في أول الكتاب. قال الناقل لهذا الخبر الصحيح  
والقول الفصيح ، بينما أنا في سياحتي على كفي تعبي وراحتي واذا بحجزيرة من جزر  
بحار أفريقية فنزلت فيها على الجهة الشرقية فرأيت تحت سفح الجبل من هذا المحل  
بنيما يقال لها مينا الواس أرضا أفلحت لبعض الناس ورأيت بها أثر عشتين صغيرتين  
في وسط حوض كائنتين .

ومنها :

إني لا أطمع في هذا الفخر إلا لأنشره على ورد جنه واجعل ذكرها به ين  
أعظم رنة حتى تسير بذكرها الركبان وتصير به سيدة البنات والنسوان وانت  
يا أبتى بالله عليك وحق خضوعي بين يديك إن كنت تعلم طرقاً من الغيوب وانه  
سيجتمع المحب بالمحب فحدثني بالخبر الصحيح وادخل عليّ التفريح  
وقبل التكلم على « العيون اليواقظ » نذكر كلمة على « لافونتين » لنعرف  
درجة في الفضل .

اشتهر هذا الشاعر الفرنسي بقصصه وحكاياته التي ذاع صيتها في الآفاق  
وترجمت الى جميع اللغات ولم ير في جميع الامم شاعر تفنن مثله في أسلوبه الذي  
جمع بين شائق القريض وبدائع التعريب وسلاسة التركيب ورائق الوصف والذيد  
الفكاهات وطلی الملح .

كان قادراً على تصوير النبات والحيوان قدرته على تمثيل أشخاصه  
تمثيلاً لا يشوبه التقصير ولا المغالة حتى أصبحت حكاياته نافعة لتهديب الفتيان  
قبل الصبيان ومهما كنت قادراً لا أستطيع أن أوفي هذا النابغة حقه في المجد  
الاثيل والفضل الجزيل وما على القارىء إلا أن يرجع الى الاصل الفرنسي  
ويعلم فيه ليتجلى خفي معانيه ودقائق مبانيه .

سلك المغرب سبيل التصرف المحل وكان مسوقا اليه لكونه الى النظم في التعريب إذ لا يتيسر لاشعر الشعراء أن ينقل الى الشعر شيئا دون تصرف حتى المترجمين من الافرنج لا يترجمون النظم الا نثراً ولو كانت الترجمة والاصل من لغتين مصدرهما لاتينى ليحافظوا على روح الشاعر وأسلوبه ومعانيه الدقيقة حتى يكون الاصل والترجمة صنوين أو توأمين

توخي المغرب في كتابته الازجال والادوار والاراجيز وشيئاً قليلاً يعد على أصابع اليد من بحور العروض . وغير خاف أن الرجز ممقوت ولا يعتمد به الشعراء لانه من خصائص ( الفقهاء ) إذ ينظمون به متونهم وعبر عنه بعض الفضلاء بجمار الشعراء .

فبعمله هذا ذهب بطلاوة هذا النظم البديع والمحاسن الرائقة وضاعت الفكرة المنشودة وأصبحت الترجمة لاتليق ان تعزى بشكها هذا الى عطارذ الزمان في القصص والحكايات .... ومن انعم النظر في قريضه بهذا الكتاب وجده لا يفترق تقريباً عن نثره الذي أوردنا طرفاً منه وما على القارىء إلا ان يراجعه ليتبين صدق ما قلناه

### الشيخ الصمد عيسى الرميم

ولد بطهطا عام ١٢٣٣ وتلقى العلوم العقلية والنقلية بالازهر ثم عين مدرساً للنحو والصرف بمدرسة التجهيزية فالمهندسخانة فالحرية ثم أسندت اليه أخيراً رئاسة تحرير الوقائع المصرية . اشتغل بالأدب والنظم والنثر وله مؤلفات منها « منظومة في الصرف » و « نهاية القصد والتوسل في فهم قوله الدرر والتسلسل » ورسالة في « علم العروض والقوافي » وجملة رسائل نحوية أحضرها ( النقطة الذهبية في علم العربية ) وديوان مدائح نبوية لم يطبع مرتب على حروف المعجم سماه « در الشرف المنظم في مدح النبي الاعظم » وكل قصيدة منه زهاء خمسين بيتاً

وقصائد ومقطعات عديدة جيدة منه ما كتبه لاحتد افندي فارس صاحب الجواثب  
بالاستانة في ذيل رسالة

يا أيها البحر قد أهديتني درراً      فليت شعري ماذا اليوم أهديك  
أخلافك الغر مثل الشمس ظاهرة      فأنت في غنية عن وصف مطريكا  
أجمال مدحك لا أرضى به وإذا      فصلت أخشى قصوراً ليس يرضيك  
فأما هو راح لست آمن من      إكثاره نشوة تنسى معاليكا  
أنت الخضم اعلم لا مرأ به      فكأنه للحلم وامنحني تغاضيك  
وقال : - يقول محرر الوقائع لما رأيت الآلي من البحر وفلاذنها لا تليق  
لا بذلك النحر زاوجت قصيدة مؤلف الجواثب فيه محافظاً فيها على غر قوافيه  
فانصرف معناها اليه وصار مقصوراً عليه فحق لها أن تختال به في حليتها ولو كانت  
بنت ليلتها تجد اليه السرى وهذا كما ترى :

علم الهوى لم يبق في بقية      فأرادني بأبي وقال هدية  
أهدي الى عبد الرحيم تحية      غراء يصحبها الثناء الطيب  
كم لي تقول امدحه مدحاً باهراً      وارصد لطلبة النجوم مساهراً  
هبني أجيد المدح لكن زاهراً      ت صفاته كلزهر ليست تحسب  
والقصيدة تبلغ ثمانية وثلاثين بيتاً

### الشيخ علي ابو النصر

كان حبراً فاضلاً في الكتاب والسنة متضللاً في العلوم العربية أدبياً شاعراً  
ناثراً لطيف المعاشرة مقرباً من الملوك والامراء طيب المنادمة والمفاكهة حاد الذهن  
لا يغالب في المناظرة وله مواليات وأزجال لطيفة عبثت بها يد الالهال والشتات  
فلم يعثر عليها وقت طبع ديوانه وقد سافر مرتين الى الاستانة الاولى في زمن عزيز  
مصر محمد علي باشا حينما احتفل السلطان عبد المجيد بختان الجمال طلب من الخديوي

أن يبعث الى الاستانة بعض العلماء والامراء من مصر لحضورهم الوليمة الملوكة  
فانتخب من العلماء الشيخ التميمي مفتي الديار المصرية والمترجم له . والثانية كانت  
مع الخديوي اسماعيل باشا في زمن السلطان عبدالعزیز . هذا جل ما عثرت عليه من  
ترجمته في رثاء احمد خيرى باشا ناظر المعارف له . ومن لطيف شعره قصيدته التي  
قالها وهو في الاستانة يمدح بها سلطان باشا ومطلعها :

حيي وفي كفه كامس الطلا فبدت في خده من شعاع الكاس هالات  
ظبي من البرك ما أحلى شمائله شقائق الورد في خديه شامات  
وقصيدته الدالية ومطلعها :

كتب المشيب بابيض في أسود صحفا أشار بها لقرب الموعد  
وروى بها عن حديثا يقتضي بفضاء ما بيني وبين الخرد  
وقصيدته الغزلية وأولها : —

زارت معطرة الازار من بعد ما شط المزار  
هيفاء تفعل بالنهي ألحاظها فعل العقار

وقصيدته التي قالها في ليلة أصابه توءك أقلقه

خيالات يصورها الغرور وأوهام يضل بها الغرور  
وأوقات زخارفها زيوف وديدها التصرم والمرور  
وقصيدته الحكيمية ومطلعها :

إلام تصوب الاوهام غيا وتنشر ما طواه الرشد طيا  
وفيم تفودنا الاطماع طوعا الى ما يغضب الحر الايبا  
وقصيدته التي يمدح بها الخديوي اسماعيل باشا ومطلعها :

سفرت فكاد البدر أن يتلما ورأي الشقيق خدودها فتبسما  
وخمرته المشهورة وأولها :

بنت كرم دونها بنت الكرام وهي بكر زفها ساقى المدام

ومنها: آس الندمان ناراً إذ بدت فأتوها لاقتباس واقتسام  
فأوها محض نور تزدري بالنجوم الزهر في وقت الظلام  
إن في هذه العجالة لكفاية للقارىء إذ بها يستطيع أن يقف على ما كانت عليه  
اللغة في عصرهم ويستنتج مما قدمناه أن عيوب ذلك الزمن تتركز في السجع والاعتناء  
بالألفاظ والمحسنات البديعة دون المعاني والخيال وعدم توفر سلامة الذوق عندهم  
وهي ملاك البيان كما أنهم لا يتوخون في ترجمتهم مراعاة الأصل ويتصرفون تصرفاً  
مضلاً . غير بعيد النظر حتى أنهم كثيراً ما تفوتهم في الترجمة المعاني الدقيقة . وكان  
أغلب شعرائهم ينسجون على منوال بعض القدماء الذين لا يعدون من الشعراء ويأتون  
بنفس معانيهم مع تغيير طفيف في الألفاظ والوزن دون أن يعبروا عن وجدانهم  
وشعورهم . وقد لاحظت أن كثيراً منهم يتوخى في مقدمات قصائده معنى من الغزل  
أو الوصف أو المدح يكاد لا يغيره في أغلب شعره . فإن نزل لا يتعدى ذكر  
الأيك وغصون البان والحمام ينشد ألفه وبكاء الغمام والفتيان وعذارهم والفتيات  
ورضا بن المعسول وقامتهن الهيفاء . وإن مدح لم يتجاوز البشرى من إقبال العز  
واستنارة الأكوام بطلعة الممدوح المشرقة . وموافاة المجد والفخار والعلو إلى السماك  
وغير ذلك هذا وإنى أكرر القول بأن هؤلاء هم ما وصموا بالعيوب فإننا نجلهم ونعجبهم  
إذ كانوا زعماء تلك النهضة العلمية في عصر كادت تنطمس فيه معالم اللغة والأدب  
ولولا هم لقضى عليهما القضاء الأخير .



مضمون

## تاريخ فتي من أبناء مصر

كتبه بالفرنسية الدكتور أحمد ضيف والمسيو بونجان

عبرت منذ ثلاثة شهور تقريباً على هذا الكتاب بمكتبة (الاجانس) فقرأت جزءاً منه باشتياق ثم حالت أعالي دون الاستمرار فيه فطويته في ركن الى أن سنحت لي الفرص بالعودة اليه فأعمته بين لذة واعجاب رأيت أن الواجب يقضي على الا أغفل هذا العمل الجليل الذي حاز الاعجاب في فرنسا وباريس بدليل أن الطبعة التي وقعت في يدي هي الرابعة ولم يمض على ظهور الكتاب أكثر من سنة أو أقل ليس الدكتور ضيف محتاجاً لتعريف يبد أنه من الافراد القلائل الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة والذين يملصوا من جمود التربية الازهرية وأخذوا يخطون صوب الرقي خطوات واسعات تتناسب مع المدنية العالمية عرفت الدكتور مذ كان طالباً بمدرسة دارالعلوم فكان يؤم متبرزه الجزيرة بجوار السكوري في بعض الاحيان وقت الاصيل وصادف أنه جلس بجانبني فحصل التعارف وجدته وقتئذ رقيقاً تواقاً لمعرفة كل نافع سليم الذوق دقيق الملاحظة صائب الافكار ولقد قلت في نفسي : سيأتي يوم يغبطه الناس فيه على فضله فرقت بيننا الايام وسافر في العام التالي مع بعثة الجامعة ولما آب من سفره انتظم في سلك أساتذتها وانشأ يكتب في مجلة السفور قطعاً باهرة أذكر منها رواية بعنوان (هي) كتب منها نحو سبع قطع ولم يتمها . كان فيها الوصف بالغاً حده من الدقة وحسن التصوير والعواطف تلتهب التهاباً بأسلوب ظريف لا يشوبه تكلف تزينه رشاقة جذابة ورقة فتانة

أما المسيو بونجان فكان أحد الاساتذة الفرنسيين بوزارة المعارف وكان يدرس آداب اللغة والانشاء بمدرسة المعلمين العليا وقد أخذ مكافأته وسافر في العام الماضي وبعد أعظم كاتب فرنسي بين أساتذة الوزارة وله مؤلف آخر كتبه وحده بعنوان «أخبار الساعة الثانية عشرة» وقد كتب مقدمته الكاتب الذائع الصيت رومان رولان وهو الآن رئيس تحرير مجلة (لانوڤيل ليميرير) وهي من المجلات الادبية الشهيرة

يضطرننا البحث لمعرفة نصيب كل من الكاتبين في هذا العمل اتسند الى كليهما ما يستحقه من الملاحظات والنقد . ومن البدهي أن المسيو بونجان لا يدرى أسرار الطبائع والعادات المصرية بالتفصيل ولا يعرف تلك الحوادث فتكون اذن مهمته في هذا العمل تنقيح الانشاء والترتيب الفني لسرد الحديث ويكون الدكتور ضيف هو صاحب الفكرة ومؤلف الكتاب

الكتاب يشمل تاريخ حياة «منصور» وهو ابن خالب بمعاهد الاسكندرية الدينية وشيخ طريقة يعرف بالشيخ الصغير وجده شيخ طريقة أيضاً ويعرف بالشيخ الكبير وهذا الاخير كان أعظم نفوذاً واعتباراً واحتراماً

أمضى أهل منصور شطراً من حياتهم بالتاهرة حدثنا في خلالها منصور عن حضرات الذكر وشعوذة المشعوذين من أرباب الطرق وحنلات الخفل والوالد والزار وصور لنا طبائع وعادات كثير من اقاربه ومريدي والده وجده وسرد لنا كثيراً من الخرافات السائدة بين العوام والتي كان يسميها من افواه أهله ومعارفهم ومن أطف ما صورده لنا صورة الكتاب بمصر وفتيته وهي من ألد الفكاهات الواقعية التي تمثل بؤس هؤلاء العبيبة وما يناسونه من شظف العيش وسوء الحال واني اترجمها للقراء بنصها وفصها : —

« كان والدي يعرف الشيخ الذي يدعى كتاب حينا ، وأوصاه علي فكان يأتي كل يوم لمنزانا بعد طلوع الشمس بقليل زميل اكبر مني سنًا ليصطحبني الى

الكتاب وكنت اسمعه يناديني في السلم : يا منصور ! يا منصور  
كانت رنة هذا النداء تزعجني وكثر ما هونت على أمي وطأة الهم باعطائي  
مليا وفي بعض الاحيان قطعة جبن أو كمك فأضعها في مخلاتي التي تشمل عادة  
رغيفاً ملفوفاً بنديل وبعض أوراق من المصحف واللوح  
ولقد أوقظت في الصباح على غير ما يرام فكنت كثيرًا ولم أهتم بشيء في  
طريقي وحينما قاربنا المسجد سمعت دوي الاصوات فزاد انقباضي ثم صعدت  
الدرجات الثلاث وبلوحة عين الفيت ما كنت أمقته اذ شاهدت سرب الزملاء  
متربعين يحفظون دروسهم باصوات عالية في الواحدهم وقد أمسكوا بها باليدين  
وكان اهتزازهم المستمر يطبع على ظهورهم حركة الوزن الموسيقي وفي هذه الجلبة  
التي تصم الآذان ووسط هذا الاضطراب تربع سيدنا على جلد شاة وهو ثابت  
في مكانه دون حراك فتوجهت اليه وقبلت يده

— اجلس هناك وأشار الى قطعة من حصير بال

أمعنت النظر في هذا الكتاب فاذا هو بهو كبير مرتفع السقف مزخرفه له  
ثلاثة جدران عاطلة وبمكان الرابع مدخل واسع تمر منه الشمس فتملأ المكان رغم  
الستار المسدل ، وفي أحد الاركان زير قدر وكوب علاه الصدا وقد ركب على  
أحد الجدران رفان أو ثلاثة ليضع عليها التلاميذ مخاليهم وخبزهم

ورغمًا من كون سيدنا من أصدقاء والدي وقد تعطف علي وجعلني أجلس  
على كשב منه ما كنت لاميل اليه ، وكل ما كان يصدر منه يظهر لي قاسياً وظالماً  
وكنت أشعر في حضرته بتضاؤلي وقد ضل فكري حتى أصبحت لا اكيف وجودي  
وعلمي وكاتي ضللت بين الجموع ، وكنت أجد هناك شيئاً جديداً لا احتمله

كنت أشعر وأنا في الطريق أو بجانب والدي أو عمي مصطفى اني امتاز  
عن باقي الصبيان وكاتي قبلة أنظار اخواننا في الطريقة اذ تمجه الى أبصار تشف  
عن الحنان والعطف

ما كنت أستطيع ان أوجه طرفي لغير المعلم وما كنت أرى غير لحيته التي اشعلها الشيب وهيأته التي تدل على عدم الاكثراث وكانت له وسادتان احدهما يضعها تحت جلد الشاة والثانية خلف ظهره وكان يرى طابع ظهره فوق الحائط

تربع على تلك الحال أمامنا بين مقرعته الطويلة وصندوقه الصغير الذي يضم اقلامه حتى اضحى بخيل الى انه هو وقاعة المكتاب المرتفعة العارية الكثبية وحدة لا تتجزأ ، حتى ان ضوء الشمس الذي كان يفرش الجدار أمام المدخل ظهر لي كأنه يخالف مثيله في الطريق ، وقد ساد الانسجام بين هذه الشمس الباردة المحزنة المحدودة الشكل والتي لا يتأتى تجنبها وبين شخص سيدنا

بلغ عدد الصبيان الاربعين على الاقل وكل منا يحفظ درسا مخالفا الآخر وكنت لا افهم شيئا من السور المقدسة تقريبا . وفي ظرف ساعة كان سيدنا يدعونا مشيراً اليها بطرف مقرعته نسمع دروسنا وكنا نذهب اليه كل بدوره ولوحه تحت أبطه فمن حفظ درسه أمره سيدنا بمحوه وكتابة درس جديد غيره ومن لم يحفظه عاد الى مذاكرته ويفوته الدرس .

وكان يعهد بصغار الصبية الى من هو أكبر منهم سنا ليراقب نسخ القرآن في الالواح وكان هذا العمل يشغل التلاميذ لغاية الظهر

وكان أغلب التلاميذ لا يتناولون غذاءهم في بيوتهم وكنا نأكل خبزنا وجبننا على درجات سلم المسجد وكانت بائعة عجوز تبيع لنا قصب السكر والفجل والحمص الاخضر (المالنة) وكانت رائحة الطعمية فوق المقلاة تغم الطريق ونحرض شهوة الطعام . كان من المتيسر شراء أنواع الفطائر والكعك والحلوى الملونة بمختلف الالوان ولكن المعلمان فقراء إذ كانوا يؤمون الكتاب حفصة ممزقي الثياب وعلى رؤوسهم قلانس قلرة وكثير منهم يتنع بخبزهم بغير ادام

كانت فكرة العود الى الكتاب كافية لتقيص ساعة الحرية هذه فكنت انظر بحزن الى الموضع الصغير الذي كانت تهب فيه الرياح السافيات . وكان الجزء

الذى كسسته الشمس لا يمر به الا ظل الحدأ المتقطع والى كانت تخلق في الجو فوق رؤسنا

وفى بعض الايام كان القيظ يلفح وجوهنا كالنيران فكنت اشعر اتى في حاجة الى السكوت والسكون وتبديل مكاني كل خمس دقائق ، و كان يخيل الى أن النهار شديد ابيض يعمي الابصار لان الحرارة كانت عمودية شديدة كأنها القضاء الساحق وكانت الغرفة بشكل واحد لا يتغير تنقبض منه النفوس والابدان

عدنا الى الكتاب ملين نداء العريف وأول تأثير يحول بخاطري ما أجده في الكتاب من الظل والنسيم البارد المحبوب ولكن سرعان ما يتبدل اذ كنت بعد خمس دقائق آسف على الهواء المحرق الخارجي

— صاح سيدنا قائلاً : أحذر كم من القراءة بأصوات منخفضة

فلا تلبث الظهور ان تعود الى حركتها من الاهتزاز وتعود الحياة الى الكتاب فيضحى كأنه آلة عظيمة الجلبة ، وكانت تميز وسط هذا اللغط المزعج أصوات متباينة

ولما يجد سيدنا أن الحركة الميكانيكية تحسنت وانتظمت ليتغذى بدوره ويشرب الحساء فى طبق يضعه امامه على الارض . ولقد شاهدت خيوط الملوخية يكثر عددها شيئاً فشيئاً وهي معلقة بين لحيته وطبقته ثم يأخذ القلة ويجمع منها بهذا الشكل كنا نرصد حر كاته واثقين من انه سينام بعد الطعام ، وحينما نزرع تحت وطأة الحر ينتهى الامر بأن ننام أيضاً ، وكان العرق يتصبب من جباهنا ويسيل فوق الواحنا فياوث وجوهنا . وكان الزير دوما محاصرا بسرب من الصبيان ينتظر كل منهم الكوب بدوره . خفتت الاصوات شيئاً فشيئاً فاستيقظ سيدنا صائحاً .

— إياكم والقراءة بأصوات خافتة! هاج الكتاب وماج كالة بخارية ضخمة

ونام سيدنا ثانية الى قبيل تسميع درس بعد الظهر . وكنا في الساعة التي يقبل فيها كل أهل المدينة نستمر دون انقطاع في القراءة بصوت عال

وأخيراً حوالي الساعة الرابعة برن صوت المؤذن لصلاة العصر وكان هذا  
الاذان علامة الانصراف التي لاحظتها من زمن ، فاستعد للروح ويرفع سيدنا  
مقرعته مؤذنا بالسكوت ثم نشد بصوت عال :

الاهم ياسميع يامن لا يئأس من عونك السائلون انصر مولانا السلطان على  
الكافرين ربنا تقبل دعاءنا يامن هو قادر على كل شيء :

ثم اثم يد الشيخ وأرجع الى البيت مع دليلي وأنا مهووم في الروح كهي في  
الغدو وما فتىء لفظ الكتاب يدوي في أذني فيغطي صوت نفسي . كنت أعلم  
أنه ينبغي على أن أقضي عامة النهار من طلوع الشمس الى غروبها وأنا سجين هذا  
الفقيه البارد المتعنت . وكانت الساعات والايام حتى التلامذة في نظره كالبسلة في  
سله . وقد سئمت نفسي من وطأة حياة كريهة على ونيرة واحدة وكنت أشعر أنني  
كضغث من العشب الاخضر وقع من حمل بعير فتاوت بالاحوال وداسته الاقدام  
وفي صبيحة يوم اردت ان يبري العريف قلبي فلمكني بقبضة يده وكان سيدنا  
مستاء من سلوك هذا التلميذ فاشار الى عريضين بان يقبضا عليه ثم نزع بنفسه القلقة  
المعلقة بالحائط وأمسك العريفان كل منهما برجل ليتمكن الشيخ من وضعهما في القلقة  
ثم الهب سيدنا رجلى هذا المسكين بحريفة رفيعة فصاح هذا التمس :

عنوا ! عنوا ! بحياة النبي ! بربك !

كنت ارتعد واقشعر عند كل ضربة وكان سياحه يخترق جسمي ، واتسد ظهر  
لي سيدنا كالوحش الضاري وطفقت أنفوس بالم وامتت الكتاب والدنيا والحياة  
ثم رحل اهل منصور الى الاسكندرية وأدخلوا منصوراً في كتاب الشيخ فخر  
وكان ارقى كتاب في الشعر ولكن هذا الشيخ كان مثالا للتسوية البربرية والوحشية  
وكانت خاتمته سيئة إذ أنهم بتزوير عتد ولما عرف انه سيقبض عليه فضل الاتجار  
والقى بنفسه في ترعة المهودية فغرق

سثم منصور من الكتابات فاشار عليه احد اصدقائه من الموظفين بان يأخذه

الى باشكاتب احدى محاكم الاسكندرية الموظف بها واوصاه به خيراً فقبله ليقضي زمن التمرين الى أن تتاح له الفرص ويعينه كاتباً ومن الطف الفكاهات أنهم ألزموا منصوراً بأن يحضر معه كرسياً من بيته ليجلس عليه فركب منصور حماراً وحمل له الحمار الكرسي وسار وراءه بعد ما رفض في أول الامر حمله وقال له ضعه أمامك على الحمار ثم وعده بزيادة درهم على أجره فقبل في نهاية الامر ... شاهد منصور صورة جهنمية في قلم المحضرين اذ رأى نساء مولولات من المساكين يستغثن بالمحضرين الذين حمزوا على ما بقي لهن من حطام الدنيا وبجانبن العقبان والرخم وهم كتبة العرائض يسدون على المتقاضين المسالك ليمتصوا ما بقي من دمائهم ويسلبوا دراهمهم الاخير وبجانبنهم باعة الاطعمة الحقيمة كالطعمية والخبز والسلطة والباذنجان يبيعون بضاعتهم للمتقاضين والموظفين والكل في هرج ومرج أشبه بأسواق الريف.

قضى منصور بضعة أيام والقلق يساوره والكرب يغالبه فتوسل الى والده لينتسله من هذه البؤرة الممقوتة وفضل أن يلتحق في سلك طلبة المعاهد الدينية ليصبح أديباً شاعراً

ولما أصبح الصباح لبس منصور العمامة من جديد وارتدى جيبته وقفطانه وطرح البذلة جانبا وأخذ والده الى الشيخ يوسف امام مسجد حيهم وأوصاه به خيراً وطلب منه أن يصطحبه الى مسجد أبي العباس المرسي ويقدمه الى أساتذته

كان الشيخ يوسف ضريراً ركب فيه اللاؤم والخسة يتشدد في مجالس العامة ليوهم انه من كبار العلماء والشعراء المفلكين وكانت العامة تؤمه لينظم لهم تاريخ ميلاد أو تهنئة بزفاف أو غيرها وينقدونه بضعة دراهم وفي بعض الاحيان لا تتجاوز العشرين و كان يتعرف بالاسر ويتشدد عندهم بفكاهات محفوظة معدودة ليحظى بالغداء أو العشاء و كان يفضل ان يسامر نساء من يتعرف بهم ثم يسلمهم بالسنة حداد وقع منصور في مخالاب هذا الذئب فاراد أن يستغل سداخته فأوهمه بأنه سيعلمه النحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض فيصبح بعد قليل من الزمن أديباً شاعراً وأنه

سيسحب ذيل النسيان على زملائه من الطلبة . صدق منصور هذه الاوهام واستمثل له فجعل يسخره ليل نهار في شراء الجبن والفجل والفول المدمس ولم يكتف بذلك بل ارجعه الى السوق في يوم مطير ليزيد له البائع ماباعه من الطعام . وكان يقوده من المسجد الى البيت والسوق

تعرف منصور في حلقة الدرس بشاب يدعى ابراهيم فقال له انك مغرور بهذا الشيخ وهو من الابلاسة ولقد تعرف بنا وأضفناه وأكرمنا وفادته ولكنه أساءنا وسأريك ما أنا فاعل به

وبعد صلاة العصر نادى ابراهيم : لا تبرحوا مكانكم أيها المؤمنون . أيليق بالامام ان يذكر أحاديث الفسق والفجور أمام السيدات والبنات فاحمر الشيخ يوسف خجلا وثار قائلا : اخرجوا هذا الحشاش من المسجد

كان منصور تحدّثه نفسه أن التعليم في معاهد الاسكندرية ليس رافياً كالازهر فطمحت نفسه الى الاتحاق به وحدث والده بذلك وصادف في هذه الانباء ورود خطاب من عمه مصطفى الى أبيه ينبئه بأن ابنه هرب الى الازهر والتحق به ويعرض على منصور أن يذهب الى الازهر على نفقته ليراقب ابن عمه . والى هذا انتهى الشطر الاول من حياة منصور وتعليمه الاول والكتاب جزء ثان تحت الطبع وسنعود اليه عند ظهوره ونخصص له بحثاً آخر

الكتاب صورة ناطقة للطبقة السفلى لم يترك كبيرة ولا صغيرة من طباعهم وعوائدهم وعاداتهم إلا حللها تحليلاً دقيقاً بسيكولوجيا ولقد كتب بأسلوب رشيق لا يشوبه تكليف تزينه النكات والفكاهات وحوى من الوصف الدقيق ما يكاد يجسم لك الحوادث والعادات والاشخاص ليسيرها أمام القارئ صوراً حية متحركة . فهو في مجموعته عمل عظيم جليل بليغ . وما هو في الحقيقة إلا تاريخ حياة الدكتور ضيف ومذكرات له عن صباه وأدوار تربيته وما مر عليها من التقلبات لقد سقطت على هذا الجمال النادر ثأليل شوهرته ونفرت منه النفوس . تعرض

الاستاذ للدين في كثير من المواضع بمناسبة وبغير مناسبة وطفق يتهكم على الشعائر الدينية

وان كانت الشعائر عند الاستاذ بدعة من البدع أو خرافة من الخرافات فلم لم يكتب لنا بحثاً عربياً يدون فيه نقده وملاحظاته على الدين وينشره بين قومه الذين انتقدهم . ما الفائدة المائدة من نشر هذا التهم وتلك السخرية على الدين الاسلامي عند الفرنسيين . وأظن القارئ أن فكر معي قليلاً في هذه المعميات والطلاسم عرف أن الذي حدا الاستاذ الى هذا السلوك الشائن ليس إلا فكرة ترويج الكتاب بنشر هذه الاسرار الدينية التي يتطلع اليها الاجانب وخصوصاً الفرنسيين ليتخذوها ملحقاً وفكاهات يمزأون بها في مجالسهم . واني أحكم القراء بيني وبينه وأسرد لهم بعض جمل من الكتاب بكل أمانة دون أن أغير شيئاً في التعريب

قال في صفحة ١٦ : ها هو الحاج قد نزل عن مقعده الخشبي (الدكة) وذهب ليأخذ حصيره المطوى بجوار الحائط وكان بالياً تحرم في مواضع القدمين والكعنين والجبهة . فرشه في اتجاه القبلة بجانب البئر ثم نزع جلبابه واحتذى نعله الخشبي (القباب) فأصبح عاري الجذع والساقين ولم تستره غير سراويله ثم ذهب الى البئر وملاً منها الدلو ووضعها على الارض وطفق يغترف الماء بيديه ليتوضأ ويغسل وجهه وذراعيه وقدميه ثم يقف على حصيره والماء يقطر من أعضائه ويرفع يديه الى رأسه وهو ناظر أمامه دون انحراف كأنه ينظر شيئاً وراء الجدران التي تحد نظري وسمعتة يقول : الله أكبر ! الله أكبر !

ثم يضع ذراعيه الى الامام ويده فوق الاخرى ويخفض رأسه غاضاً الطرف ويتمتم بكلمات لا تفهم ويحمل حر كات أخرى اعتدت عليها لان هذا المنظر يتكرر خمس مرات في اليوم . فيركع تارة ممسكاً بركبتيه ويسجد طوراً مستنداً الى يديه بينما يمس جبينه المتجمد الحصير . واني أعلم انه في هذه الآونة لا يتأتى لفت نظره

الى شيء ما اذ يصبح ما حوله كانه لا وجود له ولا يتسنى لاحد متاطعته سواء  
أكان من أقاربه أو زائريه بل كان الكل ينتظرونه وهم سكوت بعيدون عنه الى  
أن يجلس على ركبته جلسته الاخيرة وبلغت الى كتفيه اليمنى واليسرى مسلما  
على الملكين الحارسين

واظن انه لو كان أحد الاجانب الذين يدينون بغير الاسلام أراد أن يعتنق  
هذا الدين وقرأ صورة هذا المصلي لعافت نفسه هذا الدين ونفر من هذا الرجل  
المضحك القدر الذي يصلي وهو عريان لا تستره غير سراويله كانه (علي كاكأ)  
يمثل فصوله المضحكة في أفقر اركان سوق العصر

وقال في صفحة ٦٦— ولقد مرت في مخيلتي بعض أخبار أبي كما يجري الدم  
في شراييني فتذكرت سيدنا جبريل الذي أملى القرآن على محمد (صلعم) والذي  
اصطحبه في ليلة المعراج حينما اخترق النبي (صلعم) السموات حتى اقترب من القلم  
واللوح المحفوظ الذي أعلم أن حظي أنا الغلام الصغير مخطوط فيه كجميع من  
يحيطون بي وكان يخيل الي أني أرى الملك ميكائيل الذي يرفرف بجناحيه حينما  
يأمر السحب والرياح بأن تبارق وترعد والملك اسرافيل وهو واقف بالمرصاد امام  
صوره وهو متهيي لينفخ فيه يوم القيامة ليتنفس اركان العالم

ولقد طردت من خيالي بسرعة الصورة البشعة الملك الرابع من الملائكة  
المقرئين وهو عزرائيل ملك الموت بان حذقت الى المراكب الصغير المخوف بالاسرار  
(هو المعلق على قبة الامام الشافعي لانه كان هناك وقتئذ) فتذكرت سفينة نوح  
وهي ماخرة تقل جميع الحياة فوق ماء هاجه غضب الخالق «

وقال في صفحة ١٤٤ — :

وحينما تتلقى ملائكة السماء السابعة أوامر الله يبلغونها لجميع الملائكة في جميع  
السموات الى أن تصل اسماء الارض فتتحدث الملائكة بما علموه فتظن الجن أن  
إرادة جديدة صدرت فيساقون فوق بعضهم الى أن يبلغوا السماء ليسترقوا السمع  
من الملائكة ثم يهربون الى الارض ويذهبون الى السحرة ليفشوا لهم أسرار

الخالف ولهذا السبب يعلم السحرة أسرار المستقبل . ولمنهم ووردتهم عن هذه الأعمال  
سلط الله عليهم : تشبه الذواقب تحرقهم وتهلكهم »  
وقال في صفحة ٢٣١ — :

— هاهو أستاذك في فقه أبي حنيفة قال ذلك همساً في أذني فاسرع اذن  
لسماع درسه

ظهر لي الشيخ لأول لمحة ثقيلة إذ كان هزماً وكانت فكرتي الثابتة ان أتلقى  
علومى على اساتذة من الشبان وسأجلس مع المستمعين وكتابي بين يدي دون أن  
أنبس ببنت شفة . نظرت الى عينيه الكبيرتين اللتين لا تتحرران ولا تعبران عن  
شئ ولحيته الطويلة البيضاء وشاربيه المستأصلين وأنفه الكبير القدر وعلمة سعوطه  
وهي في حجره فوق منديل مثقوب . . . وهذا هو النموذج الذي كنت أخشاه .  
وكان يتكلم وهو بهتز وكان شرحه ميكانيكياً وفي كل ثلاث أو أربع دقائق  
يمحشو أنفه بسعوطه ويمخط بجلبة قوية . . . وفي آخر الدرس أردت أن أسلم عليه  
فدلت هيأته على أنه لا يراني ثم همس في أذني طالب انه ضير »

ان هذا المنكود ليستحق الرحمة والحنان لسوء حظه وفقد بصره ، والاعجاب  
لانقطاعه لتلقي العلوم ونيله شهادة العالمية والقيام بمهمة التدريس فلم يسخر منه  
الاستاذ ويعيره بفقد بصره وضخامة أنفه وسعوطه ، والعاهات الطبيعية لا يتأتى  
تجنبها ؟ كما ان السعوط ليس مزرباً لهذا الحد فقد كان الامبراطور نابوليون بونابرت  
وهو ابعد عظماء الرجال صيتاً لا يفارقه سعوطه وما فتئ منتشر في اركان المعمورة  
لاسيما أوروبا . انكتف بهذا القدر من أمثلة الكتاب ولو ان به كثيراً من هذا  
النوع ولناق نظرة الى وضع الكتاب

تورط الكاتبان في وضع الكتاب وجهلاه على شكل أخبار متسلسلة بطلها  
منصور وطفق يحدثنا مذ كان صبياً الى أن ترعرع وأصبح فتى . وجدناه وهو صبي  
بحال الاشخاص تحليله ببيكولوجيا والاحظ ملاحظات دقيقة لا يراها الا الحكماء

ويعصور تصويرا يقف دونه كبار المصورين من الكتاب  
ولو كان عند أحدهما فكرة الوضع الروائي لما وقع الاثنان في هذه الورطة  
وكان للكاتبين الحرية التامة في تحليل الاشخاص وسرد الملاحظات والحكم  
وغيرها على لسان الكتاب مهما اختلفت أعمارهم  
ومن المستغرب أيضاً انه قال في وسط حديثه وهو يصف كتاب الشيخ خضر  
حينما ادخلوا فيه امين افندي لتعليم الحساب .

وا أسفاه على الشيخ عبداللطيف فاني رأيت بعد خمس عشرة سنة من هذا  
التاريخ رجلا يقترب مني في الطريق ثم قال لي : — يا بك ! رعاك الله ! انظر الي  
بمين الرحمة واعطني ثمن رغيث !

نظرت الى هذا الشحاذ فاذا هو أستاذي (في كتاب الشيخ خضر) فما الذي  
اضطره ليحدث عن شيء قبل أن يحصل بخمسة عشر عاماً ولم لم ينتظر حتى يأتي زمنه  
وموضعه من الحديث فيسرده ؟

ومن الاحاديث التي تفوق في الغرابة قصص الف ليلة خبر إحدى أميرات  
الاسكندرية التي اشتهرت فتاة تركية من الاستانة وكانت آية في الجمال وعند  
قدمها اصطف الخصيان والجواري السود على جانب السلم واصطفقت في الجهة  
الآخرى الجركسيات الى آخر درجات السلم ولما مرت بينهم نثروا عليها الذهب  
ثم قادتها زينب هانم الى غرفتها وكانت من الحرير الوردي وسريرها من الفضة  
المموهة بالذهب وقد خصص لها معلمان أحدهما الفرنسية والثاني للموسيقى حتى  
فافت سيدتها الاميرة

ومن المستغربات أيضاً ان ابراهيم الذي نعرف به منصور في المسجد دعاه  
الى منزله لأول مرة وحينما دخلاه نادى ابراهيم أخته زكية وكانت في سن الزواج  
وعرفها بصديقه وقال هيئي له القهوة ثم الغداء . وفي الزورة الثانية لم يجد ابراهيم  
وفتحت له زكية الباب وبمجرد دخوله احتضنته وقالت له قبلني فحجل وقال لها  
دعيني فقال له لا تخف فنحن وحدنا فعانقها منصور وقبل خديها وقالت له اني  
احبك وأريد أن اتزوج منك

وبعد حين سافر منصور الى مصر وبعد خمس سنين ذهب منصور الى الاسكندرية وزار صديقه ابراهيم وزكيه وكانت وحدها في البيت فعانقته كعادتها وجلست على ركبته واخبرته انها تزوجت من رجل وما لبثت معه إلا قليلا وطلقت فسألها عن السبب فاجابت إني رأيت أجمل مني ولا أرغب ان أعيش مع امرأة وإني ما زلت أحبك وأريد ان أتزوج منك فقال لها اني طالب فقير فقالت له خذ هذه الخسین ديناراً وقدمها الى أخي مهراً وبعد قليل اقبل أخوها وتردد منصور في الطلب وأشارت اليه زكيه خفية من العرفة الأخرى ليخطبها من أخيها فتردد وانصرف دون ان يفتاحه وانتهى الجزء الاول على هذا

هذا الخبر من أوله الى آخره خيالي لا يقبله العقل اذ كيف يعقل أن فتاة بكراً تهجم على فتى وتنهشه عناقاً وتقبيلاً بمجرد المقابلة الثانية مع أن الخلية بها بعض من الحياء يجعلها متهمية من عشيقها الجديد زمناً ما الى أن تتواتر المعاشرة ومن وجهة أخرى ترى منصوراً شديد السمرة فقيراً لا يملك شيئاً مع أن زكية تملك بيتاً كبيراً وحقوقاً كما أن سبب الطلاق غير معقول واذا كان لكونه أجمل منها فلماذا قبلته زوجاً؟ وانها لا بد أن رآته مرة أو مرات ولو من خلال النافذة حينما كان يزور أخاها وربما جالسته كما جالست منصور قبله

وان هذا الموقف الذي ختم به الجزء الاول لشائن مزر لانه قبض المهر من الفتاة وانصرف دون أن يفتاح أخاها وكان من حسن الذوق أن يفتاحه قبل انصرافه حتي لا يثير الظنون ضد منصور بهذا الموقف الرديء وسنعود ان شاء الله لانعام البحث عندما يظهر الجزء الثاني

## كيف تصورنا شاعرة فرنسية

قد تحمل النفوس ما ينقشه الجاهلون من سم التعصب الذميم وما تروحيه اليهم عقولهم الصغيرة من همك قارس وبذاءة جارحة فتور عليها مر الكرام وتناجي انفسنا بكلمة واحدة لا يلبث أن يفوه بها اللسان بنغمه أشفاق على هؤلاء المساكين وهي « شفاكم الله »

ولكننا نحار في مفاوز التيه حينما نرى تلكم السخافات والترهات صادرة من إحدى الشهيرات من كاتبات وشاعرات فرنسا الا وهي ( مدام لوسي دولارو ماردروس ) والادهى من ذلك انها القت محاضرتها التي تستخرج فيها من المصريين بل من جميع اهل الشرق في ١٧ مارس الماضي ونشرت بمجلة محاضرات جامعة ( ليزانال ) في اول اغسطس سنة ١٩٢٣ وهذه الجامعة خاصة بالبنات بباريس وتلقى فيها محاضرات من آن لا آخر يحضرها كثير من الكتاب والشعراء وأعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الادب ومريديه وكان التصفيق والضحك يدويان في أركان المكان عقب كل جملة مما يدل على الاعجاب بهذا الخلط الممقوت والتعصب الفاضح . لم يكفها ذلك بل انتقلت الى اللغة العربية وقالت بانها نشأت من تقليد الابل والحيل والضأن والكلاب والاسود

والاعجب من هذا أن زوجها المصري مولدا والمعجب بأداب العربية والذي ساح في أغلب البلاد الشرقية التي تتعلق بالضاد وعرج على الهند لجمع نقائس الكتب القديمة المخطوطة ومن ترجم الف ليلة وليلة والقرآن وملاكمة سبأ ترجمة مسحبت ذيل النسيان على جميع التراجم قديمها وحديثها لم يرجع زوج في شيء من هذه الخرافات فكأن مصر الذي ولد وتربى فيها هو وابوه وعمه وباقي أسرته التي قضت قرنا تقريبا في مصر وما فتوا ينعون بنياها العذب وشمسها المتألقه وبركاتها الوافرة لم يكن لها عنده ذمام ولا عهد ولا واجب ولا وفاء ولا حب لوطن ولا لغة فتن بها وقضى عمره في ترجمة شيء عظيم من معجزاتها الى الفرنسية

انتي كنت أعجب بهذه الشاعرة هي زوجها وقد قرأت مقتطفات من شعرها واحمدى رواياتها القصصية المسماة (l'Ex-Voto) أي (النذر) وهي من ابداع ماكتب في نوعها إذ تمثل حياة اهل (هونفاور) مسقط رأس شاعرتنا وهي واقعة في مصب نهر السين وغالب اهلها صيادو اسماك تمشلا شائقا . وبطلة الرواية تدعي (لوديفين بوكاي) وهي ابنة صياد سكير عرييد لايقوم بحاجيات بيته فكانت هذه الفتاة التي مضت طفولتها في التشرذ في الطرق او الهرولة وراء طير أو لتسلق الاسوار لسرقة فاكهة دانية أعظم مؤدب لوالدها السكير بل لجميع أهل البيت الذي أصبحت مديرته وقد لعبت أدوارها الشيطانية حينما أجبرها أبوها بان تزوج من رجل غني صاحب قهوة وسفن لانه كان ينفق على أسرتهما بكرم حامي وكانوا في فقر مدقع فظهرت القبول وأصررت أن تتخلص منه ولو قبل الزفاف لأنها كانت تحب فتى يتما تربي معها في بيت أبيها ولم تظهر له قط الحب بل كانت دائما تهكم عليه بقارس النكات ولا تخاطبه إلا بلهجة الأمر الناهي وكانت مسيطرة عليه كباقي أفراد الاسرة وانتهى الامر بان تزوجت منه وتخلصت من الاول قبيل الزفاف . وأما لرواية ذات مغزى عظيم تمثل قوة الارادة والذكاء وحسن التدبير لفتاة تربت في الطرق ولم تتعلم إلا شيئا يسيرا في طفولتها الاولى وكان مهنتها الفقر وسوء الحال أو بعبارة أخرى : « الزمن »

ولشاعر تناسبعة دواوين باسماء مختلفة وسبع عشرة رواية قصصية وقد ظهر اول ديوان لها سنة ١٩٠١ بعنوان ( الغرب ) وكانت حينذاك في ربيعها العشرين لأنها ولدت سنة ١٨٨١

أما زوجها فهو أرمني الجنس واستوطن أسلافه في حلب حتى نسوا لغتهم الاصلية واصبحوا لايتكلمون الا العربية والفرنسية التي تعلموها في المدارس وانتقل والده الى مصر هو وأخوه منذ قرن تقريبا وكان والده وكيلا لشريف مكة السابق عون الرفيق بمصر ورزق ثلاثا من الاولاد الذكور اكبرهم زميلنا وصديقنا جان

أفندي ،اردروس الذي كان مترجما بمحكمة مصر المختلطة وأحيل الى المعاش منذ ثمانية اعوام وهو لطيف المعشر متواضع والثاني زوج الشاعرة والثالث طبيب ببور سعيد . وقد ولد الاديب بمصر سنة ١٨٦٨ ثم سافر الى باريس لدراسة الطب ونال لقب (دكتور) بعد ان قدم رسالة بعنوان (بحث في ضيق مجرى البول) سنة ١٨٩٤ ومن هذا الحين انقطع الى الادب وساح في اغلب بلاد الشرق ومن غريب اطواره أنه قاطع اخاه الأكبر منذ عشرين سنة أو أكثر لأنه اعترض على تغيير لقبه وحذف حرف ال O من Mardrous

ذهب اعجابي واحترامي لهذين الزوجين حينما قرأت هذه المحاضرة التي يغر عنوانها وهو (الموسيقى الشرقية) والحقيقة أنها لا تنطوي إلا على سخافات ممقوتة وتعصب مرذول وليس فيها شيء عن الموسيقى وما هي بنصها وفنصها :

### الموسيقى الشرقية

#### سيداتي وأنسائي وسادتي

ها أنا ذي أقف أمامكم لأحدثكم عن الموسيقى الشرقية وسأتكلم عنها حالا . أما الشرق الذي أعرفه فهي البلاد الشرقية التي يحتضنها البحر الأبيض المتوسط وهي الجزائر وتونس ومراكش ومصر والشام وفلسطين وتركيا وأوربا والآناضول وسأتترك الكلام عن اللغة التركية المدهشة وما هي إلا أنغام موسيقية لاسيما حين تسمعونها من أفواه النساء

أني افتتحت قولي بأن العربي موسيقي لأنني افكر في الوزن وهو نصف الموسيقى على ماظن

ان الذين سمعوا المراكشيين او الجزائريين وهم يتكلمون ليقولون لك وهم يأسفون ان لغتهم قبل كل شيء ، حلقية ولهم الحق في ذلك . وان كلامهم لا يخرج من الوزن الذي هو روح الشرق

وسأحدثكم عن منشأ اللغة العربية تخميناً واحتمالاً ولكنى أبتدئ القول بأن العربية التي تظهر للأذان أنها تختلف حسب البلاد ما هي إلا واحدة في الكتابة . ان النطق العربي لا قرب الى الوحشية والوطانة فالمصري لا يفهم النطق المراكشي ولكن لا يصدق العكس فان المراكشي يفهم النطق المصري من أول وهلة بل ويعجب به . وكما اتجه الانسان الى الغرب أي كلما ابتعد عن مكة لاحظ أن العربية تفقد نقاءها وذلك راجع الى طرق النطق . وفي مراكش أو بلاد الغرب نجد أن اللغة عندهم كلها سوا كن بدون متحركات وبالعكس في بلاد العرب فانها تقرب من اللغة الفصحى التي تنتهي بمقاطعها الغنائية والقرآن هو أعظم مثال لها

ولا مرأ في أن البلاد التي يسود فيها الغناء في كلامها هي مصر وأهلها كسالى قترهم بعكس المراكشين يحدفون السوا كن الجامدة ليطيخوا مد المتحركات أما أصل العربية فهو على ماأظن (ولا أقول ذلك بقصد أن أضحكم) ناشى عن تقليد الابل والخيول والشاء والكلاب والاسود . فترى زئير الاسد ظاهراً في غضب العربي ويعرف ذلك الذين سمعوا العرب وهم يتشائمون

وحرف العين واضح في هدير البعير وهو صعب النطق على الحلق الا فرنجي وحرف القاف يمثل سعال الخيل ولا يتسنى الاوروبيين أن يلفظوه

والصاد والضاد كثفاء النعاج والواو في نباح الكلاب . أما الحاء والخاء فيمثلان تنخم السباع الهائجة في الصحراء (ضحك وتصفيق)

لقد حدثكم بأن مصر أكثر البلاد غناء في كلامها لان المصريين استطاعوا أن يجعلوا من هذه الالة الخشنة كلاماً تسود عليه نغمة الحزن والشكوى متقطعاً بسبب الاغراق في اطالة المتحركات وحذف بعض الحروف الجامدة . ولذلك استبدلوا حرف القاف المزعجة بسكون وهذا السكون هو الذي يكسب غناء ضفاف لنيل شكلاً ممتازاً . وفي مصر لا يقولون (قلبي) بل (البي) ولا يقولون (قومي) بل (أومي) ولا يقولون (القمر) بل (الامر) . أما المتحركات فيحسن أن تصغوا الى

النساء وهن يتحدثن في حضورهن بمصر :

بتعمل ايه — تعالى هنا يا بنت — أنا حبيبك يا عيني

أما الغضب الذي حدثكم عنه فأؤكد لكم ان اللغة العربية وحدها بما لها من الوزن والموسيقى قادرة على تلطيفه وتيقنوا ان الانسان مهبطاً ثأره حينما يقول للآخر « ينعل دينك يا معرض يا عكروت وبنعل أبوك وأمك وأختك يا ابن تلمية وخمس خنزير وان شاء الله تموت بالموت الاحمر ضحك »

وأؤمل أن تكونوا سمعتم الوزن في هذه الجمل المأدبة أو القوية. وقد نوهت لكم ان الوزن هو الاصل المشترك في الموسيقى والشعر واكرر لكم ان كل الشرق وزن. ولا حاجة بنا لان نشط كثيراً يا أنسائي فان عندك فكرة ضئيلة من (الجازبند) وهي من اختراع الزوج والتي ترقصن على نغماتها هذه (الهامبول) التي تسمى هنا (فوكس ثروت) و (شمي) وغيرها. وأظنكم لا تشكون قط في انكم مهما حاولتم ومهما تلقيتهم من دروس الدنيا فانكم لا تستطيعون ان تقلدوا ولو عن بعد الرشاقة الوحشية في أنواع هذا الرقص الافريقي

أن الشرقيين لا يمدون خطواتهم والسكنم يمدونها أيها السادة الراقصون والراقصات ومهما حاولتم فانكم لا تصاون أن تكونوا زنوجاً (ضحك عام) وانعد الى العرب فنقول أن الوزن عندهم من الضروريات كالتنفس والمرأة التي تندب ولدها نيكه باوزان وانغام كما حقيقته في رحلى وأسفارى

وأظن أنه قد سبق لي أن حدثكم في نفس هذا المكان عن البدوية التي صادفتها في طريق قفري (خروميري) ولم تدراني أنظر اليها وهي مارة وكانت تتقدم في رياح الخريف بين أوراق الخريف المتناثرة وعصاها بيدها وهي تقطع ألحان الشكوى التي كانت تبثكرها وهي سائرة بخفتها البكاء والتهنيدات وحينما استعليت منها قبل لي أنها تقطع وحدها أوزان الالام لأنها شاهدت الحضرة الافرنجى وهو يبيع أمتعتها الحظيرة

وقد رأيت في مصر نساء مسلمات مستخدمات في محلات افرنجية يسرن في الطريق حاملات آلات خياطة ليمشين بين قطارات الترام والسيارات والسابلة من الافرنج ولا ينقلن قدما أمام الاخرى دون أن يغنين لحنًا يساعدن على نفث كسلهن الطبيعي

وقد تحققت عند ما كفت بالأقصر اضطرار المصريين الى اسناد أعمالهم الى الاغاني المقطعة اذ رأيت رجالا وغملانا يرفعون الاحجار عن هياكل أسلافهم ولا يجودون باي مجهود الا اذا اسندوه الى لحن يغنونه جميعاً

وقد فاجأت في مقبرة اسلامية بالصعيد جمعا محتشدا من العمال المسافرين الى السودان ينشدون ويرقصون بنظام كالرقص الروسي ليتشجعوا على ملاقات النفي البعيد وكان يتشجع مثل هؤلاء العمال الموكلين بوضع قضبان الترام في القاهرة إذ كانوا يرفعون معاويلهم مع بعضهم ويتركونها تهوي مع بعضها الى الارض لتضرب قرة واحدة تسير مع وزن اللحن المنشود من الجميع. وليس المسلمون وحدهم هم الذين يعملون هذه الاعمال وقد شاهدت منظراً مماثلاً بمقبرة المسيحيين في الاسكندرية في عيد الاموات

رأيت سيدة مصرية عجوزاً مرتدية ملابس تماثل أزياء عجائزنا من قماش أسود دقيق من نوع (الكابوت) وكانت تتعهد نباتات زرعت حول قبر ابنتها ولما نظمت المسكن نشرت مظلتها لان شمس مصر قوية حتى في شهر نوفمبر . ثم جلست بجانب القبر وأخذت تنتحب وتعوى كذئبة تبكي ابنتها بوزن موسيقى أوحاه اليها الهامها

ويوجد بمصر خلاف هذه المظاهرات الشخصية حفلة دينية تسمى الذكر وهو يتم بانواع الاجتماعات تشريفا للموتى أو الاولياء أو لتمجيد الله وهو يختلف على حسب الطرق ويتكون من ترتيل يزداد شيئاً فشيئاً الى ان يبلغ الصراخ وبرقصون سوياً في بعض الاحيان . والذكر يكون مزعجا حينما تشتد وتعلو أصوات الذاكرين

واظنكم سمعتم أخبار ( العيسويين ) ( نسبة الى محمد بن عيسى وهو مرابط  
مراكشي أسس هذه الطريقة بمكناس وقد مضى عليه ثلاثة قرون وانتشرت طريقته  
في جميع بلاد الغرب وهم يدعون أن الافاعي والسلاح والمسامير والزجاج لا تؤثر  
في أجسامهم وهم يماثلون المشعوذين المصريين المعروفين بالرفاعية في افريقيه  
الشمالية الذين يسمرن المسامير في خدودهم وقت بحرانهم ويقلعون أعينهم من  
محاجرهما ويطرحونها أرضاً حتى يسمع صوت وقعها وفي الصباح لا يرى أي أثر  
من ذلك في وجوههم وقد شاهدت ما يماثل ذلك في الغرابة بمصر بلاد الاعتدال  
الباسم

ولقد حضرت الستة عشر يوماً باجتماعها التي يقام فيها مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) بسراي  
السيد توفيق البكري تقيب الاشراف وشاهدت المرتلين الراقصين والذاكرين  
في ضوء المشاعل تخفق فوق رؤوسهم أعلام موشاة بأبدع الالوان  
وأذكر خاصة حزب الزنوج ذى الجلايب والعمم الزرقاء الفيروزية  
يذكرون ويرقصون وهم مصطفون حتى يهيجوا وتعالى أصواتهم لحد الجنون المزبد  
وكان هناك حزب آخر من الشبان المصريين الشاحبي اللون يرمون بأنفسهم  
في النار على صوت الدفوف وبأكلون القبس ثم يقرعون على الصعيل بحالة صرع  
فيحزنو عليهم رفاقهم ويواسونهم بأقوال حكيمة . وبعد قليل يأتي دور الآخرين  
من اشتداد قرع الدفوف ويرتمون مثلهم في النار ثم يصرعون ويتخبطون على  
الارض ورؤايتهم تسيل من افواههم وهم حمر الهيون

وقد تبعت العجم في عيدهم المسمي عاشوراء وقد مر موكبهم في طرق القاهرة  
ليلاهم لابسون أثوابا بيضاء ووراءهم سيدات يبكين وكان وزنهم الوحشي مسنداً  
الى ضربات السيوف ذات الحدين في رؤوسهم وكل ما شد منهم يضرب نفسه  
ليظهر الوحدة الموسيقية

وكانت اصوات هذه الجموع تولول صائحة حسين !...! على !...! ولكل اسم من هذين الاسمين المقدسين يقطع السيوف في جباههم الدامية وقد تمكنت بفضل زوجي الذي يملك المفتاح الذهبي للاسرار الشرقية أن أتسلل وراء هؤلاء المتعصبين وأتبعهم الى مسجدهم الصغير الذي يتممون فيه حفلاتهم والذي لم تطأه قط أقدام الافرنج

اصطف هؤلاء المنشدون الجرحى حول شيخهم وهو مرتد طيلساناً أبيض فضفاضاً شعره مسترسل على كتفيه برأس يشبه رأس المسيح أسمر الوجه تدور عيناه في أم رأسه وهو يرتل لهم بصوت جهورى . وليسند الى كل جملة كان أتباعه ذوو الرؤوس الدامية عارين الى اوساطهم وبايديهم سلاسل بضربون بها ظهورهم متبعين في ضرباتهم الوزن الموسيقى

ولقد دفعنا تطلعنا الى زيارة بعض هؤلاء المتعصبين المرعبين فذهبنا اليهم في الغد الى سوق العجم ( خان الخليل ) فوجدتهم من صفار التجار الذين يبيعون نعال المنازل والبضائع الحقيرة وهم جالسون بكل لطف في حوانيتهم يعرضون سلعهم بصوت هادىء

فسألناهم عما فعلوا أمس فكشفوا رءوسهم المغطاة بقلانس (استراخان) وأرونا جراحهم المكدة بتفل القهوة وقالوا لنا وهم يأسفون سترول هذه الآثار غداً ولم يبق عندهم شىء من المس الشيطاني الذي أصابهم أمس . وغاية الامر أنهم يعرفون أنهم يصابون في كل عام في نفس هذا التاريخ بتلك النوبة التي تملكهم دون أن يستطيعوا الفرار منها

النوبة العصبية هي الكلمة الملائمة . وكل شىء في الشرق نوبة عصبية صاعقة لا يمكن التنبؤ بما سيحصل قبلها ولا كشف اسرار ما سيقع بعدها وكل ما سردناه في الحقيقة هو من تأثير الوزن ( تصفيق ) ولا أريد أن أتوغل في الجنون الديني الذي حدثتكم عنه بل أكتفى بسرد الحادثة الالية التي شاهدها في تونس وهي غريبة في نوعها :

كانت طفلة زنجية تسمى (زهرة) لم تبلغ بعد السادسة وقد ذاع صيتها في حياها لمهارتها في رقص البطن . فقلت لمن حولها من شبان العرب ادعوها للرقص فلم تقبل الرجاء وطفقت تقضم في قطعة من الخبز مشوية بالخاوى الطحينية وتقرس في بهين بيضا، ملئت خبثا . وان أنسى شكلها وهي مرئوبة سر والمسا الضيق الطويل و (الفوطه) المخططة التي أنزرت بها ورأسها مربوط بمنديلها المفوف

رجوا منها أن ترقص فمادت فتقدم الجميع القرفصاء وضربوا بدائرة حولها وجعلوا ينقرون دقوفهم ويغنون لها . سجدت زهرة وسط الحلقة فبكت من الغيظ وأخذت ترقص رغما عنها وبدون ارادة منها . كانت تقضم الخبز من الحرد وترويهما بدمعها وطفق روقاما الصغيران يتموجان من تأثير الموسيقى

وما تلك بحالة خاصة فأننا اذا ولجنا الدائرة الصوفية الخفضة ( للمولوية ) فأنى أقص عايكم باتي رأيت الشيخ (صلاح الدين دده) يرقص ويدور لانه سمع أحد الجالسين معه في بهو اسلامي يعزف على (الفيولونسيل)

وقد قال هؤلاء الدراويش : « كل من لا يرقص فهو مجرد من الروح » ولهم الحق فان رقصهم الذي يشبه دوران الكواكب هو أكل مظهر للنشوة الدينية التي تليق مشاهدتها والموسيقى التي تحمسم مركبة من نايات وطبول صغيرة وسيدان ويخيل الى سامعها انها آتية من وراء البحار

وان أردنا أن نتكلم على الموسيقى الحقيقية فسأحدثكم عن الغنين والغنيات و (نختمهم) الذي يشمل الغاي والطار والدربكة والعود والكنجة والقانون

وسأجرب أن أقدمكم على فكرة ضئيلة من الاوزان الناقصة في هذا الجدل المشدود (للتطار) وقد أحضرت واحدا لهذا السبب وستطلعون على السلم الموسيقي الحثيثي لهذه الآلة وهذه التي تشاهدونها جلبتها من دمشق (ثم أنشأت مدام ماردروس تنقر أوزانا مختلفة شائعة على الطار فصفق لها الحاضرون تصفيقا شديداً )

ولقد حدثكم كثيراً عن الست وسيلة (وهي العوادة الشهيرة التي كانت عند

المرحومة الاميرة نازلي فاضل ثم انتقلت بعد وفاتها الى سراى المرحوم السلطان حسين كامل) والست بمبه (هي بمبه كشر العالمة الشهيرة) وهما المفضلتان في مقاصير الحدور الكبيرة بالقاهرة وتونس واني أقص عليكم الاهواء الغريبة للمغنين العرب ان الشيخ يوسف (الذي توفي الآن ومن تعرفت به بمصر) رجاى منه مرة أن يغني في احتفال عند كبير من الامراء . وان كلمة رجاء منه تخففة لانه تقد مقدماً أجره الذي يقدر بالآف من الفرنكات وفي أعظم وقت الاحتفال اختفى الشيخ يوسف فأخذوا يبحثون عنه فعلموا أنه قد غادر القصر وكان له عدة بيوت فأرسلوا اليها من يبحثون عنه فلم يعثروا عليه . ومضى وقت طويل والامير ومدعووه ينتظرون وانتهت الليلة باكتشافه في إحدى الطرق الصغيرة في مصر القديمة يسير وحده بغير قصد في ضوء القمر فاجاب الرسول بانه لا يستطيع العودة الى القصر لانه لامل له الليلة للغناء ولا للموسيقى فضعوا لرغبته . وان كبار المغنين في بلادنا لايجروون أن يعملوا مثلهم

وفي حفلة زفاف ابن أحد التجار (و كانت الحفلة في الطريق كما جرت العادة في القاهرة) رأيت عبد الحى المغني الآخر الشهير وقد أخذ مبلغاً ضخماً وكان تحت قدميه ثمانية مستمع تقريباً ينتظرونه من ساعات وكان جالساً على مقعد عال وبيده عود وقد وقع نحو عشرين مرة فاتحة موسيقية ثم وضعه بجانبه ولم يغن كلمة واحدة . ولم أر في حياتي مثل هذه الالاعيب الماثلة لسنور يعذب فأرة قبل اقتراسها (ضحك) ومن أغرب الامور التي تفاجأ بها أن في البلاد العربية كل الناس بدون استثناء مفتونون بالموسيقى وهى عند العرب قوة القاهرة ويمكن سوقهم الى الحرب المقدسة بعود ورق وصوت جميل . واني أريد أن أقص عليكم المشاهدة الآتية

توجد بمصر شركة من السوريين المسيحيين تمثل بالعربية وبأزياء أفرنجية روايات أوربية أمام جمهور عربى صميم وبعض هذه الروايات من مؤلفات (شكسبير) ولقد حضرت منها تمثيل (رميو وجوليت) وكانت الطرايش والعمم

تشغل المقاعد كلها والالواج ولا تظنوا أن هذا الجمهور من المسلمين كانوا ينظرون إلى المسرح بل كانوا يدخنون ويشربون والجميع ناظر إلى السقف أو إلى أرجلهم أو ينظرون وراءهم بأعين كبيرة وهم يفكرون في أمور أخرى

وفي وقت من الاوقات أراد الراهب أن يغمد الخنجر (روميو) في قرابه لانه كان يريد أن ينتحر فوق من يده الخنجر فرفعه الراهب فوقه ثانية فرفعه روميو وقد حاول الاثنان أن يغمدها في قرابه فلم يستطيعا وبعد عشر دقائق خرجت بغتة من وراء المسرح عجوز لاشأن لها في الرواية وطفقت تعالج الخنجر بصبر ولسانها متدل حتى وفقت أخيراً ووضعت في منطقة (روميو) ثم خرجت بكل سكون كما دخلت وعادوا إلى التمثيل بعد ما قطع ما غرقت في القهقهة وحدي دون أن يشاركني أحد من هذه الجموع

وعد ما جاء منظر القبر انطلق الضحك من الجميع ليحيوا أنين (جوليت) . وفي مواقف الحب كان الممثل السوري يستبدل شعر (شكسبير) الوجداني بالغناء العربي وقد هاج الجمهور من التحمس والفرح اذ عرفوا منها روح جنسهم فوجدوا أنفسهم سعداء (نريد الحب العذري عند العرب)

كل شرقي يحب الموسيقى حتى خليلهم وقد شاهدت في (خرومري) برذونا بلغ من الكبر عتياً يجر عربة وهو كئيب كانه مختضر وكان في زمن فتوته من خيول البرجاس المشهورة وبمجرد ما يسمع أحداً يصغره له لحناً يرقص طر.

كل شيء في الشرق موسيقي من نداء الباعة إلى أذان الصلاة يسمع المؤذن من أعلى منارته خمس مرات كل يوم فينطلق غناؤه بدلا عن نواقيسنا. وسأجتهد أن أسمعكم غناء المؤذن (ثم أخذت مدام ماردرروس تغني غناء المؤذن فاحتد التصفيق وعلا الصياح : أعيدي أعيدي)

أراكم تستغربون هذا مع أن غناءنا نشأ من الغناء العربي السوري وهاكم الكلمات الأولى من القرآن كما يرتلوها هناك . وأظنكم تلاحظون فيها نعمة

صاواتنا السكارتليكية (ثم طفتت تقني : بسم الله الرحمن الرحيم) «  
اننا في الوقت الحاضر لانكتفي بان نفكر في أن غناء أسلافنا أتى من الشرق  
البعيد . ان موسيقانا المصرية بدافع التأثير الذي حصل ( لكيلود دوبوسي ) قد  
سارت الى أسيا لتبحث عن نغمات جديدة  
ولقد قال لي (دوبوسي) بانه فضلا عن التأثير المباشر الذي نفحته به الروس  
أبناء المغول فانه وجد في الموسيقى التي كانت ترقص عليها الفتيات الجاويات في  
معرض ١٨٨٩ كنزاً مدهشاً من النفحات الجديدة

### كلمتنا على المحاضرة

تتحسر محاضرة الكتبة في التهمك اللاذع على أهل مصر والشرق وبعض  
اقتراآت سندحضا بالدليل القاطع والتشجيع باللغة العربية وانها لغة غنائية وفي تصوير  
بعض البدع المردولة المتفشية بين بعض العوام وسلوك مغنينا  
عبرت الامة المصرية جمعا بعادات شاذة لا تتعدى فئة صغيرة من الطبقات  
السفلى والغوغاء السوقية وضل طرفها عن المدنية المصرية واخلاق المصريين  
وكرمهم وتسامحهم وهضتهم الادبية والسياسية التي اسمعت الخافقين ودوت  
بين الشرقيين

أمت هذه الكتبة ديارنا منذ ٢٢ سنة تقريبا ومن سنجلها لم تذكر في أي  
موضع من محاضرتها تاريخ رحلتها لانه من المضحكات ان يحدث المحاضر عن قوم  
شاهدتم قبل ٢٢ سنة . ولقد دقت البحث عن هذا التاريخ حتى عثرت عليه من  
عدة مصادر . وما يؤيد ذلك ان السيد توفيق البكري الذي شاهدت عنده مولد  
النبي ( صلعم ) مغنى عليه نحو ٢٠ سنة وهو مريض ومقيم في الشام  
تعرفت بكثير من الامراء والاعيان مثل ساكنة الجنان الاميرة نازلى فاضل

والسيد توفيق البكري وكثير غيرها فاكروا وفادتها فلم تنظر عند هذه الطبقة  
الراقية حسنة واحدة أو مثالا للنهضة والرقى

وأول ما رمتنا به أننا قوم كسالى وهذا وهم أو اقتراء لان الكسلان لا يستطيع  
أن يمشى أو يكسب قوته ولا تنكر أن عندنا بعض شواذ كباقي الأمم . وان نظرنا  
الى الطبقة السفلى عندنا والعمال رأيناهم متقنين لصناعاتهم من بحارة وحدادة ونقش  
وحياكة وغيرها وقد استعانت فرنسا نفسها بآلاف من عمالنا وأعجبت بمهارتهم .  
وغالب العمال في مجبوحة من العيش يلبسون الجلابيب الحرير والمعاطف والاحذية  
والطرايش الجميلة وكثير منهم يعرف مبادئ القراءة والكتابة وبعضهم من  
الذين يشتغلون مع رئيس أجنبي يتكلمون بلغة رئيسهم بعد سنة واحدة

قضت الكتابة ربحاً من الزمن بين تونس والجزائر ومراكش وتعودت  
لهجة المغاربة الذين يسكنون كل حرف ويخلفون كل متحرك فظهر لها ان المصريين  
في لهجتهم يطيلون مد المتحركات حتى اصبح كلامهم غناء

ثم انتقلت الى اللغة دون ان تدري منها شيئاً أو تطالع ما كتبه المستشرقون  
عنها من غالب الافرنج وأولهم الفرنسيون مثل (رينان وسيلفستردوساسى وهويار)  
وغيرهم من الاعجاب بالعربية وفصاحتها وبلاغتها ولا شك انها لم تدر من ذلك شيئاً  
حتى قالت انها تقليد الابل والخيول والشاء والكلاب والاسود . وهذا الكلام  
أشبه ببحر ان محوم أو خلط مصر وع . ومن الغريب انها قالت ان الصاد والضاد  
موجودتان في ثغاء النعاج والحال ان الطفل عندنا حيناً يبلغ الثالثة يقلد اصوات  
الحيوانات ويقول : « ماء » حاكياً صوت الشاة وليس في هذا الصوت صاد ولا  
ضاد فالكتابة اذن اقل من الطفل فهما

وقالت ان القاف المرعجة التي تشبه سعال الخيل لا يتقن للمخلق الافرنجي  
ان ينطق بها وهذا اقتراء ايضاً لان مالطة التي هي جزيرة افرنجية يتكلم أهلها  
بقاف اضخم من قافنا وعندهم العين والحاء والطاء التي قالت عن اولها انها

مأخوذة من هدير البعير وعن الاخيرتين أنهما من تتخيم السباع الهائجة في الصحراء  
والحاء أيضاً موجودة في اللغات الالمانية والنمسية والاسبانية

بنت الكاتبة على توهمها ان المصريين يطيلون من المتحركات انهم يتكلمون  
بالغناء وأن كلامهم موزون ملحن وعلى هذا الوهم انشأت محاضرتها واستنتجت ان  
جميع الشرق وزن وان هذا الوزن يضطرهم كالقضاء المحتوم الى اقتراف أعمال  
التوحش من أكل النار والزجاج والوقوف على الالهب عند المصريين وضرب  
الجباه بالسيوف والظهور بالسلاسل عند العجم

رأت خادمة أو فقيرة تحمل على رأسها آلة خياطة لتصلحها أو توصلها الى منزلها  
فتوهمت أنها مستخدمة لكثير من أمثالها في المحلات الافرنجية وموكة بتوزيع  
هذه الآلات وهذا لا وجود له عندنا بالمره

وقالت انها رأت في مقبرة المسيحيين بالاسكندرية عجوزاً مصرية في زي  
العجائز في بلادها وبرأسها قبعة من نوع ( الكابوت ) وهذا وهم فاسد لانه  
لا توجد بمصر مسيحيات مصرية غير الاقباط وهن لا يلبسن القبعات ويستثنى  
عندهن التلميذات فلا بد ان تكون هذه السيدة سورية مسيحية ومن آداب الكاتبة  
انها شبهت هذه السيدة التي تبكي ابتها بالذئاب العاوية

ثم انتقلت الى الذكر وقالت عنه انه مزعج وفي الحقيقة انه يزعجنا أكثر منها  
وما هو الا بدعة دينية لا تتعدى الرعاع والبسطاء من القرويين وان الدين ليرأ  
من هذه العادات الممقوتة التي ابتدعها هؤلاء الرعاع

أما الشعوذة التي يعملونها في الذكر فما هي الا أعمال سجاوية ويازرجية يتعلمها  
بعضهم عن بعض ليراؤا بها ويظهروا بمظهر التقوى والكرامات فتقبل  
أيديهم وتنال عليهم من أمثالهم صنوف البر والخير ويعدونهم من الاولياء  
أصحاب الكرامات

كما ان حفلة عاشوراء بدعة من عوام العجم وقد حققت ذلك الكاتبة حينما

زارتهم في صباح الحفلة بخان الخليلي فوجدتهم من فقراء التجار الذين يتجرون  
بالمال الحقيمة

ثم قالت الكاتبة : « النوبة العصبية هي الكلمة الملائمة . وكل شي . في  
الشرق نوبة عصبية صاعقة لا يمكن التنبؤ بما سيحصل قبلها ولا كشف أسرار  
ما سيقع بعدها » فلو كان عند الكاتبة شي . من التفكير والتروي وصدق الحكم  
لما حكمت على جميع الشرقيين بهذا الحكم القاسي المضحك . وهل تؤخذ أمم  
عديدة بجريرة شاذة يفترفها بعض السفلة

ثم سردت لنا نادرة الشيخ يوسف المنبلاوى تامل نواذر عبد الحي مع اننا  
لم نسمع في حياتنا أنه أخلف وعده واستخف بالجوع التي تنتظره  
ومن تعصبها الجسم الملموس حادثة المسرح الذي شاهدت فيه تمثيل روميو  
وجوليت وقالت انه لشركة سورية مسيحية وان الذي كان يغني وله الدور المهم  
سوري مسيحي وان اثنين من الممثلين قطعاً التمثيل نحو عشر دقائق ليحاولا أن  
يغمدا الخنجر فلم يفلحا ثم خرجت عجوز من المسرح وبعد اللتيا والتي وقفت  
لأغماذه وان كل المشاهدين كانوا ينظرون الى السقف أو الى أرجلهم أو وراءهم  
باعين كبيرة لأغراض أخرى وان الحاضرين كانوا يحيون أنين (جوليت) بالضحك  
كل هذا الهراء ملفق لان هذه الرواية كانت تمثل قديماً عند الشيخ سلامه حجازي  
ثم انتقلت بعد موته الى مسرح عكاشه

ومعروف ان الشيخ سلامه ترك شركة اسكندر فرح واخوته من ثلاثين  
سنة تقريباً أي قبل مجيء الكاتبة الى مصر بثمان سنوات وفي عهد زيارتها لمصر كان  
الشيخ سلامه وحده صاحب المسرح فأين اذن هذه الشركة السورية المسيحية  
الموهومة والممثل السوري الاول ؟ وهل يعقل الصبيان أن كل هذه الجموع لم  
يوجد فيها فرد ينظر الى المسرح فلم اذن جثموا أنفسهم السهر والانتقال من أنحاء  
القاهرة وضواحيها البعيدة وأنفقوا ثمن التذاكر وأجر الانتقال ؟

ولنفرض جدلاً أن في هذا الاقتراء أثر من الحقيقة يصدق على بعض أفراد

يعدون على أصابع اليد فهل هذا خير أم ما يقتضيه الباريسيون في أكبر التيارات  
والذي وصفه ( فكتور مارجيريت ) في رواية ( المتفتية ) ( La Garçonne ) أو  
( الفلامية ) ان اردت مما أخجل أن أذكره للقراء

نسائل انفسنا ما الذي استفاده هذا الجمع المختشد من هذه المحاضرة السخيفة ؟  
وما الذي استفادته الكتابة من هذه السياحات والرحل في بلاد الشرق وهل  
أنفقت الآن الدنانير لتشتري بها بعض الفكاهات وتنظر الى عادات العامة  
من السوق لتسجل عليهم بعض نكات تضحك منها من يستمعونها ؟ أنها اذن  
لصفقة خاسرة

لقد كانت هذه المحاضرة البذيئة كبرد سطا على شهرة هذه الكتابة المموهة  
بالعسجد الحلاب فقضى على هذه القشرة وأظهر للعقلاء ما اختبأ تحتها من حميد  
أسود . وهذا شأن المرأة في العالم لا تنبغ في شيء وان حصلت على بعض شيء  
من الفضل بالممارسة وطول المزاولة فلا يزال عقلها ضيقا لا يتعدى الدائرة التي  
اشتغلت بها

ولو كان عندها شيء من الكياسة وحسن التفكير لشغلها عيوب أمتها عن  
عيوب غيرها من الامم . وان هذا الشرق الذي تعيره بالكسل والنوبة العصبية  
والوحشية وغيرها لارقي أخلاقاً وأشرف عواطف كما انه يبرأ من المدنية  
الاوربية المزيقة !

هل جهلت أن أمها فافت في الشهوات والملاذات الحيوانية والتفنن في الموبقات  
عهد الرومان ؟ أما قرأت ما كتبه « إيميل زولا » و « بربو » و « فكتور مارجيريت »  
والدكتور « بلز » في المجلد الثالث من كتاب المعالجة الطبيعية صحيفة ٧٥٢ مما  
تقشع له أبدان الشياطين ؟

أتناست أن لغتنا العامية التي حكمت عليها حكمين متناقضين في وقت واحد  
من انها وحشية وموسيقية أرق وأفصح من لغات أمتها العامية مثل « الشاراييا »  
و « الجاسكون » و « البروفنسال » وغيرها مما لو قورنت برطانة زنوج إفريقيا

وحجر أمريكا لفضلنا هذه الأخيرة وعددناها أرقى وألطف منها ؟ أتجاهلت أهل بريطانيا الفرنسية المتاخمة لبلدها « هونفلور » وما هم عليه من الخرافات والسذاجة التي لم تفارقهم الى الآن ولا تتفق مع القرن العشرين ؟

أضحكت الكاتبة علينا سامعياً بنكاتهما السخيفة التي لفتتها ولكني سأضحدث القراء بمحادثة حقيقية حصلت بباريس تدلنا على ما بها من الآلاف المؤلفة من السخفاء والاغبياء وذلك بين طبقات الفنيين أنفسهم وهي من الحوادث التي سجلت عليهم العار والخزي

نشرت مجلة (الاستراسيون) الفرنسية في سنة ١٩١٠ مقالة ضافية بقلم الكاتب الكبير (هنري لافدان) أحد أعضاء المجمع العلمي وصف فيها معرض الصور الذي أقامه المصورون (الاحرار) فقال :

شاهدت فيه ثمانين ألف قبالة لاصورة وحاولت أن أفهم منها شيئاً فما استطعت شاهدتها من الجهة اليمنى واليسرى فلم أفقه لها معنى فسوات لي نفسي أن أشاهدها من بين ساقى لارى الصور معكوسة وبهذه الطريقة فهمت بعضاً من معانيها التافهة عرض هذا القول بعضاً من محررى مجلة (فانتازيو) الباريسية فتمننوا في القاء درس زاجر فاضح لهؤلاء المغرورين

رأى أحد هؤلاء المحررين جحشاً اصحاب فندق حقير يحب السكر فاذا أكله حرك ذيله طرباً وفرحاً فاستصحب هو ورفاقه محضراً من محكمة (السين) وذهبوا الى الفندق ومعهم لوحة من نسيج التصوير وأصباغ وريشة كبيرة وطلبوا من المحضر أن يدون بمحضره ماسيغايته ثم علقوا اللوحة البيضاء في الحائط على ارتفاع يماثل قامته جحشنا وربطوا الريشة بذيله وكلفوا أحدهم بغمسها في الاصباغ كلما جفت ثم أنشأ الآخر يلثم الجحش قطع السكر وطفق ذلك المصور الماهر ينقش صورته بذيله وكلما أتم قطعة من اللوحة حركوها فصور بحرأ خضماً تغرب فيه الشمس وكتبوا عنوان الصورة « اضطلعت الشمس على الادرياتيك » وبقيت امضاء المصور

فاختاروا لها مرادفها الادبي (اليبورون) فتسموه شطرين وقدموا الشطر الاخير  
فصار (بورونالي) ثم أرسلوا الصورة الى المعرض وقالوا للقائمين بأمره أنها لاحد  
الاحرار فاعجبوا بها أيما أعجاب ووضعوها في أرفع مكان بصدور المعرض  
وبعد يومين من عرض الصورة فأجأهم مجلة (اللوستراسيون) بمقالة شرحت  
فيها كيفية تصوير هذه الصورة وشفعتها بصورتين فوتوغرافيتين احدهما المصورنا الفني  
حينما كان مشغلا بتصويرها وأخرى لمخضر المعاينة الرسمي حتى لا يخالج القارىء  
شك في حقيقتها فكان هذا الدرس داعية لاقتال معرضهم وهربهم من الخزي والعار

### رقص الاموات

عنوان لكتاب ظهر حديثاً في عالم الادب نُمِقتَه باللغة الفرنسية براعة الكاتبة  
الفاضلة أنشراح هانم شوقي ولقد اشتهرت افندتنا ان رأينا كاتبة ثالثة تحسن الانشاء  
الفرنسي فاصبحت تفتخر بها البلاد هي والسيدتان حرم محمد عارف باشا واحمد  
خلوصى بك

وقبل ان نخوض في تحليل هذا الكتاب يحسن بنا ان نسرد كلمة عن منشأ  
رقص الاموات

ابتدأت الفكرة الخرافية لرقص الاموات في القرن الرابع عشر وانتشرت  
في جميع بلاد اوروبا تقريباً اذ يعتقدون ان جميع الاموات ملك وصعلوك وشيخ  
وطفل وكاعب وحيزبون يشتركون في رقص يرأسه الموت وييده كنارة ( كنجيه )  
من هيكل عظمى وقوسها قطعة من العظام . ومغزاه ان القضاء يحتم الفناء على  
جميع الاحياء .

وتوجد أعظم الصور التي تمثل رقص الاموات بمدينة ( بال ) وهي من رسم  
( هولبن ) ومن الصور المشهورة أيضاً صورة ( سان ماكلو )

وقد نظم كثير من الشعراء عدة قصائد لرقص الاموات ووضع له مشاهير الموسيقيين الحاناً عديدة احسنها الذي الفه ( كاميل سان صانس ) الموسيقي الفرنسي الذائع الصيت ولحن به قصيدة الشاعر الفرنسي ( هنرى كزالييس ) واني أترجم منها فقرة توضح لنا فكرة رقص الاموات

« زيجه زيجه زيج ، الموت يرقص ضارباً بعقبه رمسا ، يوقع المنون على كنارته في منتصف الليل لحن رقص ، زيجه زيجه زاج ، تزجر ريح الشتاء والليل معتم والزيفون يئن وقد انتشرت خلال الظلام الهياكل العظمية البيضاء تعدو وتقفز تحت اكفانها الكبيرة ، زيجه زيجه زيج ، كل مضطرب هائج اذ تسمع طقطقة عظام الراقصين ، ولكن انفض الراقصون على حين غفلة وركنوا الى الفرار يدفع بعضهم بعضا حينما سمعوا صياح الديك »

يتركب كتاب رقص الاموات من مقدمة وخمسة اقسام ونتيجة . فالاول لقدماء المصريين والثاني لليونان والثالث للرومان والرابع للعرب والخامس للمعاصرين والحديثين

نرى أن مقدمة الكتاب لا يمكننا أن نعتبرها مقدمة بمعنى الكلمة لأنها لا تبلغ صحيفة واحدة قالت فيها :

« ليت شعري الى أين تقودنا المدينة الحديثة ؟

هذا هو الغرض من ذلك الكتاب الادبي والذي وضعناه في القسم الخامس حيث نتحدث فيه المناقشات بين خيالات المعاصرين والحديثين للوصول الى المطلب الاسمي للانسانية ، وانها تأمل أن هذا الكتاب الوحيد في بابها الشامل لصفحات من الفلسفة والتاريخ يصادف قبولا حسناً لدى الجمهور وانها تلمس المعذرة لطائفة من أفكارها الشخصية

بينت لنا الكاتبة الفاضلة ان كتابها ادبي فلسفي تاريخي ولكننا نعترف للكتاب بقيمته الادبية الثمينة ونشكر عليه الفلسفة والتاريخ

تم سطور الكتاب على أدب وافر، وبيان ساحر، وعواطف متأججة وخيالات راقية، وشعور شريف حي يثني ويرثي لآلام نزرع تحتها الإنسانية وسهام طائشة تخرج من كنانة القضاء فتصيب الكرام وتنبو عن اللثام ان ذاك الانشاء ليس إلا شعراً منشوراً من الشعر الوجداني الذي يمثل فيه الشاعر شعوره وعواطفه وهو من نوع القريض (رومانتيك) ومصادفاً لقولنا نترجم للقراء جزءاً من نتيجة الكتاب :

« أيها النيل المحبوب ! يا من هو سميري في آلامي ، وسلواني في وحدتي ، اتني اجد صدى روحي حينما انصت الى صوتك ، تنفخني احياناً نغبات لججك الشجية بالسعادة والامل ، وبخيل الى وقت اضطراب امواجك الهائجة المزبدة وتكسرهما على الشواطىء ، انها تبكي ماضياً لن يعود الى الابد او انها نحتج على مظالم الناس واستبدادهم

ليت شعري أنتسب هذه المظالم الى الانسان أم الى الحروب ؟ الى أي حظ تقودنا ؟ ترى تلك الايام حداد دائم . أو انك لتنتقم من هذه الاعوام القاسية تريد أن نحقق صورته التي تموج في فكرنا ؟

اذا نظرنا الى شكل الكتاب وموضوعه وجدناه مجرداً من الصبغة التاريخية لانه عبارة عن سرد جمل صغيرة من معلومات تاريخية عامة حوت الغث والثمين والاهام

نرى المؤلفه تبكي على البرامكة وتستهنجن عمل الرشيد ولو انعمت النظر في تاريخهم ودرسته درساً دقيقاً لعكست فكرتها . ولقد فاتها ان يحيي بن خالد البرمكي وولديه جعفر والفضل كانت بايديهم جميع سلطة الخلافة وصبروا البلاد الاسلامية أشبه بمستعمرة فارسية واستولى البرامكة على جميع وظائف الخلافة الكبيرة وتملكوا أغلب أراضيها وضياعها وقصورها وامتصوا كنوز البلاد ولو طال لهم الوقت بضع

سنيين لاغتصبوا الملك من الدولة العباسية. كانوا يقدقون جزيل العطاء على الشعراء ليخفوا أعمالهم الشيطانية ويترعوا بمدحهم ذراً للرماد في عيون السذج

نجدها تمجد معاوية ولو عرفت حقيقةه لصبت عليه اسوأ اللعنات ، غرتها فتوحاته وما درت انه ما فتحها الا جشعاً وحرصاً على الملذات والشهوات وحباً في الملك . كان والياً بسيطا فاختلس الملك من الامام علي وهو اقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم المسلمين علماً وديناً وورعاً وزهداً . اتهمه بانه قتل سيدنا عثمان بن عفان وأشعل نار الفتنة وخرج يحارب جيوش الامام علي وطلق المسلمون يتقاتلون ومات منهم الالوف . كان معاوية يتنعم في القصور الشاحخة ويأكل الاطعمة الفاخرة ويلبس الديباج الموشى والامام علي يلبس المسوح البالية ويأكل خبز الشعير من غير ادام

ولقد صادفت أضلاطا عديدة في الاسماء العربية مثل المعاوية والجفر والمهاوندي وامية ابن ابي الصلت بفتح الهمزة وكسر الميم واسحاق بفتح الهمزة والبرمكي بفتح الراء ومالك ابن انس بضم الهمزة وسكون النون والموطاي بدلا من الموطأ وهو كتاب الامام مالك وابن بحذف الهمزة وكسر الباء كما يلفظها المغاربة وغير ذلك

واذا بحثنا في الكتاب من الوجهة الفلسفية كما تدعي الكتابة وجدناه عاطلا عنها مطلقاً لان سرد أعمال العظماء من الرجال على لسان الموتى لا بعد من الفلسفة يرى أن النتيجة التي ترجعنا للقراء نصفها لا ترتبط بالكتاب ولا يستنتج منها شيء يدل على مرمى الكتاب بل هي في حد نفسها قطعة شعرية بدیعة مثورة . وكذلك اسم رقص الاموات لا ينطبق على الكتاب ويستنتج مما سردناه أن الكتاب أدبي محض سلس العبارة مكتوب بذوق سليم يشهد ببراعة الكتابة وللكتابة عدة مؤلفات غيره لم تطبع وهي : أولا — روح الانسان هي مقدار من

كهرباء ومغناطيس الطبيعة المكتشفة — ثانياً — وحدة الدين واللغة والمنشأ  
ثالثاً — تولد المركبات من الاختلاط أو النمو التدريجي للطبيعة — رابعاً — مدة  
وجود روح الانسان — أو تأثير استدعاء الارواح والتنويم المغناطيسي

### كيف نعرض بالبيان

قرأت منذ أيام بجريدة السياسة الغراء مدار من المناقشات حول « اسلوب  
في العتب » و « الجمال والحب » ومقارنة الاستاذ الفاضل الدكتور طه حسين بين  
الرسالتين وما سرده من طلي التحليل وصريح الحكم دون محاباة وخدمة للادب.  
وقد ختم الموضوع بنداء للكتاب لبدء آرائهم في علاج ما انتاب اساليبنا  
الانشائية من الادواء فليت نداء مبدئياً رأيي الضعيف فلربما صادف قليلاً من  
الفائدة المنشودة

يحسن بنا قبل وصف الدواء أن نشرح الداء ونستعرض بعضاً من أنواع  
الكتابة الممقوتة في وقتنا الحاضر وهي تشمل نوعين : احدهما للجامدين المحافظين  
على القديم ، والثاني للمحدثين المحمومين .

دار الفلك آلافاً من دوراته وتغير وجه الارض وما نقله من كائنات ومعالم  
وآثار سائرة كل يوم في سبيل الاستحالة والتجدد والارتقاء الا الجامدون لم  
ينزعزوا عن عقيدتهم .

درس هؤلاء على أساتذة من شاكلتهم فسمموا عقولهم بحب القديم وقتلوا  
خيالهم وعواطفهم وأرشدوهم الى الكتب القديمة التي تماثل مشاربهم فاغرقوا لهم  
في مدحها وصحبوهم الى مجالس الجامدين من أمثالهم فأنخدعوهم أصدقاء وظلوا  
يأتمرون ليل نهار على عبادة القديم والاستهزاء بكل حديث وسرى هذا الداء في  
دمهم فلا سبيل الى شفائهم وانتشالهم من الضلال

نلاحظ في الجامدين أنهم إذا أرادوا أن يكتبوا شيئاً استمأوا محفوظاتهم من الرسائل والمقامات والاشعار السخيفة التي حفظوها عن ظهر قلب أو قلدوها بتغيير طفيف دون أن يعرفوا لهم خيالا يناجونه أو وجداناً ينصتون اليه

ومن هؤلاء فئة حفظوا كثيراً من السجعات الموسيقية التركيب الخالية من المعنى والمبنى مثل « نسيم الصبا » و « لوعة الشاي ودمة الباكي » وما شاكلهما فيرتبونها بشيء من الخلق . وهؤلاء لا ينجذعون الا السذج من الجامدين وما فتئوا معروفين بمجمودهم عند الافاضل من الكتاب

اما الفريق الثاني وهم الحديثون المحمومون فكثير منهم يرصون الجملة فوق الجملة وكل منها في سطر على غط الشعر وهي على انفرادها أو في مجموعها كأنها بحران مصروع أو هذيان محموم

ابتدأ ظهور هذا النوع منذ بضع سنين في مجلة السفور ثم انتشرت جرائمه وانتقلت الى بعض المجلات الاخرى انتشار الطاعون وباليته اقتصر على الصحافة بل طبعت منه كتب واهدى الى اثنان منها على كره

ومن هذا الهذيان نوع آخر لا يتعدى الحب والالم والفراق والروض والندى والشفق يتخلله شيء من المداعبة الباردة والفكاهات السمجة وان فتشت فيه لم تجد جملتين مرتبطتين ببعضهما ببعض أو معنى مسلسل أو خيالا مفهومًا

تلك أمثلة عرفنا بها ادواء يباثا القتالة ولا أرى سبيلا لاستئصال شأفتها الا اذا راعينا الامور الآتية :

اتقان اللغة العربية واحراز جميع ما يحتاجه الكاتب من الالفاظ التي تفي في التعبير عن كل معنى يريد مع تجنب المتنافر منها ونبد المبتذل المتداول عند العامة بشرط معرفة مدلول كل لفظ بالضبط والفروق بين المترادفات وبذلك تضع كل كلمة في الموضع اللائق بها

واني ارى رأي الدكتور طه حسين في التوسط بين القديم والحديث حتى

نحبي لغتنا وبذلك نلم بطرفيها ولا نبتعد عن أحدهما ويسهل علينا فهم أسرارهما  
والاعتناء بصوغ التراكيب صوغاً عربياً متيناً وخير الأساليب القرآن  
والحديث والشعر في الجاهلية وصدر الإسلام

ومراعاة الدقة في الموضوع فلا يكون الكلام إلا بمقدار لان الثروة واللفظ  
والحشو الذي لا معنى له . كل ذلك من الأمور التي تهوش على القارئ وتبعده  
عن فهم الموضوع وتكون كضباب كثيف أمام الناظر يحول بينها وبين حقيقة  
المرثيات

ونجنب المحسنات البديعة إذ هي تزويق للالفاظ وتشويه للمعاني وتقييد  
للفكر والخيال .

والابتعاد عن السجع إلا ما جاء عفواً دون تكلف في بعض الأحيان ومراعاة  
انسجام الجمل ووزنها الموسيقي ليلذ وقعها للأذن

وان أحرز الكاتب جميع ما سردناه ولم يوهب ذوقاً سليماً وحساً مرهفاً وعقلاً  
كيساً يراقب شعوره ويراجعه ويرشده إلى السداد والصدق لا يوفق إلى اجادة البيان

والذوق الوهبي وحده لا يبلغ أوج الرفعة الا اذا ضم اليه الذوق الكسبي  
وهذا الأخير يكتسب باحراز نصيب يفي بالحاجة من كل علم وكذلك فهم أسرار  
الفنون الجميلة من كثرة الاطلاع على منشآت وقراءة ما كتب فيها من التحاليل  
والنقد . ولا ننسى ان علم النفس هو من الزم العلوم للكاتب .

ان طيف الشعر ينفر من الجلبة والجماعات والهموم والتعب وانحراف الصحة  
وامتلاء البطن . فان أردت مناجاته فلتكن في البكور قبل استيقاظ من حولك  
وأنت منتعش ناس كل شيء من أعمالك ولتتفرغ عن كل حائل يحول بينك وبين  
نفسك ، وعندها امتشق يراعك وتجرد من محفوظاتك ومعلوماتك واستمل خيالك  
وناج وجدانك ودون ما يوحياه اليك دون أن تفكر في اتقان انشائك حتى تنتهي  
من موضوعك ثم راجع ما كتبته لتنتقح كلمة أو تقدم أو تؤخر غيرها وتيقن أن  
ما أوحى اليك في المرة الأولى خير مما تتكلفه في الثانية

ومن أهم أركان الانشاء دقة الملاحظة والاستنتاج وبهما يصل الكاتب الى اتقان الوصف وتصوير الاشياء للقارىء تصويراً يقربها من ذهنه كأنه يراها رأي العين كما انه يتوصل بهما ومعلوماته البسيكولوجية الى فهم طباع الانسان وأخلاقه وذوقه ومعلوماته بملاحظة أي شيء من آثاره ككتابه وتصويره ونحته ومقتنياته وأحاديثه ومعاملاته

ويجب على الكاتب أن يرتب الفكرة ويوضح المغزى الذى يرمى اليه وأن يكون الموضوع متماسك الاطراف متصل الفكرة يسود الانسجام على جميع أجزائه هذا ما عني لي من الملاحظات وحبذا لو عالج الكتاب هذه الادواء وحاربوا تلك البدع السخيفة حتى ترتقى عندنا ملكة البيان ونحجي لغتنا ونرجع اليها مجدداً القديم

بين القريم والحريم

جواب على استفتاء الكاتب الكبير

الاستاذ عبدالعزيز البشري

مضى ربح من الزمن لم نتمتع فيه بمطالعة درر أستاذنا الاعظم الذى كان ينشرها فى السياسة الاسبوعية بعنوان « فى المرأة » ولقد نفصني ما قرأته من شكواه من مرض انتابه واني أدعو الله أن يتمتع بالصحة والعافية واطمئنان البال والرفاهية ليزيد فى انتاجه ويستمر فى السلسلة الظريفة الرشيدة التى طالما شغفت أسماعنا ورنحت اعطافنا من الاعجاب والطرب لدعابتها اللذيذة وفكاهاتها الممتعة ورشاقة أساليبها الموسيقى الساحر

تساءل الاستاذ في مقاله الذي نشره في ملحق السياسة الاخير عن ماهية القديم والحديث ومميزاتهم وفوارقها . ولا أشك في أن ذلك من تجاهل العارف وتحريض ظاهر لمعركة قلمية يثيرها الكتاب ثم ييسم لهم الاستاذ من بعيد بسمة حافلة بمختلف المعاني

ولربما انعكست الآتية واستفز الاستاذ رد لم يرق له واحتدم الجدل فكتب بدل الرد ردوداً فهي اذن مباركة من الوجهتين ومفيدة في الفرضين ليت شعري هل أنا أول من دفعه لحاجه واستحثه قطلعه حتى استهدف لنكته لاذعة أو لتهم قارس . وقد يكون الدافع لي استدراج الاستاذ الى الخروج الى الميدان بعد عزلة الطويلة وحرماننا من شيق درره وظريف عباراته ورشيق أشاراته

ولا يخفى على سيدي العزيز ان الحديث الشائع في الشرق كله مستمد من الادب الغربي الحديث ولكن هناك فريقاً أساء استعماله لضعفه في العربية وركاكة تعبيره وسوء تراكيبه ، وانتاج هؤلاء هجين أقرب في الشكل والهيئة الى الاسلوب الافرنجي

وأما الفريق الآخر ذو القدم الراسخة في العربية والذوق السليم فانه استعان بطرق التفكير الحديث فقط ولكنه مافقياً محافظاً على أسلوبه العربي المتين الصميم فترى تعبيره حديثاً في التفكير قديماً في الصوغ ومتانة التراكيب واني لا أغلو ان قلت أن الدكتور هيكل بك هو حامل لواء الانشاء الحديث في القطر المصري بل في جميع الاقطار الناطقة بالضاد

بقى علينا أن نقول كلمة في طريقة التفكير في الادب الحديث وقانون الكتابة الذي يجب أن تراعي حرمة بكل دقة حتى لا يشط الانسان ويخرج من منطقته أو يغير طابعه الذي وسم به

يجب على الكاتب قبل كل شيء أن يعلم أن الانشاء لا بد أن يكون في الوقت

نفسه واصفاً معبراً بمعنى أنه يكون دقيق الوصف صادقه ومعبراً عن جميع أنواع الشعور التي يظهر أثرها في نفس الكاتب حينما يطرق موضوعه كما يصور المصور الماهر صورة جميلة لشخص دقيقة الشبه صادقة الملامح تقرأ على محياها جميع العواطف التي كانت بادية عليه وقت التصوير

ويلزم الكاتب مراعاة الحقيقة والابتعاد عن الغلو وان يكون دقيق الملاحظة ليتمكن من اصدار حكم صادق . ويجب عليه أن لا يعرقله في انشائه تقيده بتنميق لفظ أو افتتانه بشيء من المحسنات البديعية السخيفة أو السجع المرذول واستملاء الذاكرة لتقليد شيء من محفوظاته التافهة .

وهذه القوانين التي سردناها يراعيها الموسيقيون والمصورون والمثالون لأنهم كلهم فنانون ويسعون لغاية واحدة ولو اختلفت طرق التعبير عند كل منهم، فذلك يعبر بثره وقريضه والآخر يعبر بريشته واصبائه وغيره بنغمه والحانه والمثال بازميله ومطرقته نرى ببتوهفن عطارده الموسيقي يدوس على بعض القواعد ان كانت في طريقه حجر عثرة أو نبا ذوقه عنها ، فهو يستمر في تعبيره القوي ووصفه الشائق دون أن يتقيد بتنميق سخيف فلذلك نرى موسيقاه تصل الى الافئدة قبل غيرها وتذكي ماخذ من عواطفها الهاجعة

ونشاهد في تصوير رمبران نفس هذه المحاسن لاننا حينما نلقي نظرة على صورة «درس التشريح» مثلاً نرى استاذ التشريح وأمامه ميت شق ذراعه ثم ابتداء يحاضر الاطباء ويشرح لهم دقائق العلم فكأنك تسمع نبرات صوته وترى أشارته والكل مرتسم على وجهه الاصغاء التام ، وهذه الصورة من أفخم الصور الناطقة .

أما القديم فلا يراعي شيئاً مما سردناه بل يستعين بالذاكرة فيستعرض ماقاله الكتاب في الموضوع وينتخب منه شيئاً يحوره بعض التحوير ثم يزوجه بشيء

من المحسنات البديعية الممقونة أو يقفيه بسجعات مردولة وتراه يغلو في تشبيهه غلواً سخيفاً ويقول أنه علا السماء وان لمس الحرير يدمي بنان محبوبه وخطرات النسيم تجرح خديه أو يدخل في قافية المهندسه ويقول هب أنك مركز الدائرة أو ضلع المثلث ثم ينتقل من هاته القافية الى غيرها من قوافي العلوم والفنون كما ينتقل الحاج سيد قشطه من قافية الترامواي الى قافية الواور ، وزعيم القديم معروف وأخلاقه معروفة ومسجلة في بطون الصحف فلذلك لا أذكر اسمه ومن نوادره الغريبة أنه كتب الى فيما مضى خطاباً كله بداءة وسوء أدب بامضاء يوسف قنديل فت طالب بالمدارس الثانوية

هذا رأيي القاصر وعسى أن يتفضل الاستاذ ويكون قد خرج من صمته الطويل وأن يمن عليه الله بالعافية لمتبعنا بلالته الفريدة وأسابقه الموسيقي الفتان

### رد الاستاذ البشري

اطلع الاستاذ الشيخ عبد العزيز البشري على هذا المقال فبعث الى الاستاذ حجاج بالرد الآتي : —

حلمية الزيتون في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣٣

سيدي الاستاذ الاديب العظيم

احمد الله تعالى اليك. ولقد وفد على كتابك الكريم وانا في بعض الصحوة من الحى التي تغشاني من بضعة أيام ، فاهتبلت هذه الفرصة وتلوت مقالك تلاوة امعان وجد فكر ، ووالذي بيده نفسى ، ما عدوت في هذا الباب ما في نفسى ، وان كنت أنت أنور بيانا ، وأدق في الفروق تعبيراً فنحن اذن ياسيدي متفقان حق الاتفاق ولعل سيدى يذكر اننى قلت في ملحق السياسة ما معناه : « ان الادب الذى لا يترجم عن البيئة التى يخرج فيها ليس أدبا ، وان الاديب الذى

لا يؤدي ما يحتاج في نفسه هو وما يقترى من عواطفه هو ليس أديباً «  
بقى أن ألقى على سيدى الاستاذ هذا السؤال : هل بقي في مصر من يقدر  
الناس لهم في الادب قدراً من يفكر ويصور على ذلك الاسلوب الذى عابه الاستاذ  
وهجته بحق ؟

أبقى من مشيخة أهل الادب من لا ينظر الى الحياة إلا بعيني بدوى ، ومن  
لا يفكر إلا برأس أموي ، ومن يعمي عن كل ما يحيط به من أسباب الحياة ؟  
هل بقي في مصر من تزدهيه طائفة من الجمل وشتى الاسجاع فيجعل كل همه  
في تلبية من هنا وهناك ويستكرهها كلها في سلك واحد ونخرج موضوعاً والسلام  
لا أظن ياسيدى فان وجد فرد أو أفراد فهم على شرف الفناء .  
وانى ياسيدى اشكرك أجل الشكر على ما نحلته من فضل لا اعرفه اشخصى  
واسامحك على ما قدرت في من اجماع واقداع . والسلام عليك ورحمة الله .

المخلص

عبدالعزیز البشرى

تطور الادب العربى وموضعه في مصر اليوم

ملاحظات وآراء

اقدم شاقني المقال القيم الذي القاه صديقنا وأستاذنا الكبير الشيخ عبدالعزیز  
البشرى على زملائه حضرات أعضاء ( نادي القلم المصري ) ولقد سرد لنا في محته  
تطور الادب في مصر في مختلف العصور ووصف سيره وخطاه وكيف تدرج الى  
الرقى ولا يسعنا الا ان اسدى اليه آيات الشكر والثناء على اهتمامه بالادب وما يبذله  
من العناية في تشخيص ادوائه ووصف العلاج الناجع لشفائه . غير انني لاحظت  
عليه بعض احكام قاسية ينقضها في نفس المقال وانى اذكر تلك المواضع بنصها لنشرك  
القراء معنا في الرأى : ادركت مصر في عصر اسماعيل حظاً محموداً من الحضارة

فشاعت فيها العاوم واستوثق الاتصال بينها وبين بلاد الغرب التي كثر روادها من المصريين وأنحدر العديد الأكبر من الغربيين الى هذه البلاد سياحا ومستوطنين كما نزلت اليها طائفة من أعيان الادباء والكتاب السوريين .

لهذا وبذلك جعلت الثقافة العامة تتلون بلون جديد وجعلت الاقلام تستشرف بقدر الى أسباب الحضارة الحديثة ولا يفوتكم ان المطالب العسكرية في ذلك الحين لم تصبح مما يستغرق هم القارئ بل لقد انبسط منه فضل كثير للآداب والفنون وكان أول ما انبعث في هذين البابين الصحافة الشعبية والتمثيل (

اعترف أستاذنا في هذه الجملة اعترافا صريحا لا يخالجه أدنى شك ولا ريب بان الفضل في نهضة الادب راجع الى اختلاط المصريين بالغربيين والاستنارة بحضارتهم وآدابهم وفنونهم وعلومهم . فما باله في موضع آخر لا يعترف لشعراء الغرب بفضل وأخذ يقدح في ما عرب من الادب الغربي بلا استثناء إذ قال (وقام بازاء هؤلاء جماعة من شباننا قد استهلكهم الادب الغربي فلا يرون أدبا الا ما قاله شكسبير ويرون واضرابهما وأدوا اليها طريقا من هذا النظيم في لغة ليس منها عربي الا مفردات الالفاظ ، ألفاظ يكاد المرء يشهد بانيتها وبين ما قسرت عليه من المعاني من التصافح بالأيدي والتراجل بالارجل ولولا ما يرتبطها من مثل قيد الحديد لطار كل منها الى عشه فخرج لنا من ألوان التعبير مالا يؤاتي الذوق الشرقي ولا يستريح اليه الطبع العربي . وجعل كذلك جماعة ممن تعلموا في بلاد الغرب يعالجون في العربية أصابه المعاني الظرفية التي لامسها حسهم وهدتهم اليها أسباب تفكيرهم فمعجزت اللغة أو على الصحيح عجز علمهم باللغة عن حق ادائها فخرج لهم الكلام اما غامضا مبهما واما عاميا أو ما يدنو الى العامي ) . هل فاتك يا أستاذي العزيز انك قد خانتك الذاكرة وكتبت مطلع مقالك على النمط الفرنسي اذ قلت :  
( وأخيرا فهذا نادي القلم )

أنسيت ان مقالاتك الشائقة ( في المرأة ) ليست الا نوعا من الادب الاوربي المسمى *Humoristique* وهو نوع من الانشاء الفكاهي الكاريكاتوري الذي

يفيض بالتهكم الطريف والسخرية اللطيفة . ألا يملك شعورك ونفسيك آلامك  
الدكتور هيكل بك حينما تقرأ تعريبه ( للبوزيية ) للكاتب والفيلسوف الفرنسي  
ايبوليت تين ، الا تهمل بنشوة الاعجاب وتنقل الى عالم الخيال والاحلام حينما تقرأ  
القضاء والقدر وروايات شكسبير لشاعر القطرين خليل بك مطران أو البؤساء  
لحافظ بك ابراهيم

واظنك لا تجهل ان المرحوم شوقي بك درس الآداب الفرنسية في باريس  
ولولاها لم يتوج في دولة القريض . الا تهتز طربا واستحسانا حينما تقرأ مذكرات  
مسافر للاستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرزاق وهو الرقة المجسة ومثال  
الرشاقة والظرف وهو مدين بمواهبه هذه الى اللغة الفرنسية والاعوام التي قضاه  
بين ابنائها ورحله العديدة بعد اوبته .

اتني أشد منك تعصبا للعرب والعربية ولكنني لا اجرؤ ان أقول ان الادب  
العربي يفوق الاوروي وان في شعواء العرب من يفضل على جوت وشلروهين  
ولامارتين وهو جو ودوفني وشكسبير وملتون ولييو باردي وتاسو وغيرهم .  
لا انكر ان شعرنا العربي يفوق شكلا ووزنا الاوروي ببحوره الموسيقية الوزن  
وقافيته المتحدة في القصيدة من أولها لا آخرها أما الاوروي فلا يقيد بوزن موسيقي  
بل بعدد المقاطع واتحاد القافية في كل شطرين .

لقد لمح سيدي الفاضل بان النهضة الادبية ابتدأت في عصر خديو مصر  
اسماعيل باشا ولكنها في الحقيقة ابتدأت قبله بزمان بعيد في عصر المماليك لظهور  
السيد اسماعيل الخشاب والشيخ حسن العطار وكان أولهما لا يقل عن شعراء الطبقة  
الاولى من عصرنا وقد ظهر في عهد محمد علي باشا الشيخ شهاب الشاعر الموسيقي  
صاحب السفينة وله ديوان كبير والسيد علي افندي الدرويش . وظهر في عصر  
الخديو سعيد باشا الشاعر العبقرى محمود افندي صفوت الساعاتي وكل من ذكرناهم  
يعدون طلائع النهضة الادبية في مصر ويحق لهم كل فخار وكل مجد لكونهم وجدوا  
في زمان مظلم حالك ساد فيه الجهل وسوء الخلق .

واقدر وجه أستاذنا الكبير نداء الى الأمة لتستخلص لها أدبا خاصاً عليه طابعه  
المصرى أو توجد له اسلوباً يميزه عن غيره من آداب الأمم الناطقة بالضاد ولكننى  
أرى صعباً جمة تعترض أمانيه .

ان الحضارة الأوروبية قد اكتسحت تيارها العالم حتى انضوى تحت لوائها طائعا  
مختاراً حينما تذوق مناهل علومها وآدابها وفنونها وصناعاتها وتحقق انه في حاجة  
ماسة اليها وعليها قوام حياته الراقية . درس كثير من شبابنا في إنجلترا وفرنسا  
والمانيا وايطاليا وامريكا وتشبع كل فريق بآداب اللغة التي درسها وأصبح تفكيره  
وليد تربيتة فلا يستطيع ان يحيد عما نشأ عليه . فان اهل لغته العربية ولم يحرز منها  
نصيبة وافراً كان اجنبى التفكير اجنبى الاسلوب وهناك الطامة الكبرى .

ان طريقة تعليم اللغة العربية في مدارسنا غير مجدية وينقصها أشياء كثيرة  
ولو أجاد الطالب دراسة لغته لما تورط في الاسلوب الافرنجى ولما عرب الآداب  
الأوروبية كلمة كلمة حتى يشوهها بتركيبة غثة ركيكة ولو صرف الطلبة قليلا  
من أوقات فراغهم في مطالعة كتب الادب القيمة وتفهم ما يستعصى عليهم فهمه  
بدلاً من مطالعة الروايات السخيفة الركيكة والمجلات التجارية المنحطة لما تدهور  
مستوى ثقافتهم اللغوية الى هذا الدرك الممحل .

وعسى أن يحقق الله آمال أستاذنا في الادب المصرى حتى يرقى ويوف بالبلاد  
الاجنبية بعد ترجمته كما ترجم شعر تاجور الى أغلب اللغات الاجنبية وطبع نحو  
العشرين وكان له المحل الارفع في مجتمع وناد وكما سبقه الى ذلك شعراء الفرسان  
مثل حافظ والفردوس وابن الخيام .

### رد الأستاذ البشري

تعقبني صديقي الأستاذ الجليل القدير محمد كامل حجاج في الخطاب الذي القيته في أول اجتماع ( لنادى القلم ) . فأخذني أولاً بالتناقض بين قولي في بعض هذا الخطاب « ادركت مصر في عهد اسماعيل حظاً محموداً من الحضارة فشاعت فيها العلوم ، واستوثق الاتصال بينها وبين بلاد الغرب التي كثر روادها من المصريين والمحدث العديد الاكبر من الغربيين الى هذه البلاد سياحاً ومستوطنين ، كما نزلت اليها طائفة من اعيان الادباء والكتاب السوريين »

« بهذا وبهذا وبذلك جعلت الثقافة العامة تفلون بلون جديد ، وجعلت الافلام تستشرف بقدر الى أسباب الحضارة الحديثة ولا يفوتكم ان المطالب العسكرية في ذلك الحين لم تصبح مما يستغرق هم القائم بل لقد انبسط منه فضل كبير للآداب والفنون وكان أول ما انبعث في هذين البابين الصحافة الشعبية والتمثيل »

ثم قولي في مقام آخر من الخطاب : (وقام بازاء هؤلاء جماعة من شبابنا قد استهلكهم الادب الغربي فلا يرون أدبا إلا ما قال شكسبير ويرون واضرابهما . وأدوا اليها طريفا من هذا النظم في لغة ليس منها عربي إلا مفردات الالفاظ، الفاظ يكاد المرء يشهد ما بينها وبين ماقرت عليه من المعاني من التصافع بالأيدي والتراكل بالارجل ولولا ما يرتبطها من مثل قيد الحديد لطار كل منها الى عشه ، فخرج لنا من ألوان التعابير ما لا يؤاتي الذوق الشرقي ، ولا يستريح اليه الطبع الغربي .

ووجه التناقض بين هذين الكلامين عند صديقي الأستاذ حجاج اني اعترفت في الاول اعترافاً صريحاً لا يخالطه شك بان الفضل في نهضة الادب ( في العصر الحديث طبعاً) راجع الى اختلاط المصريين بالغربيين والاستنارة بحضارتهم وأدبهم وفنونهم وعلومهم بينما انا في الكلام الآخر لا اعترف لشعراء الغرب بفضل واحد الخ وبعد فهاي ! الا ان أرجو صديقي الأستاذ حجاجا ان يعيد النظر ويثبت

التفكير في كلامي ليخرج له ، ان شاء الله ، متسقا متوارداً لا أثر فيه لتناقض ولا لتهاافت ولا لاختلاف . ذلك باتني لم اعرض البتة لشعر الغرب ولا لشعرائه حتى أشيد بذكورهم أو انتقص اقدارهم . غير انني زعمت ان دخول الحضارة الحديثة وشيوع اسبابها في عصر اسماعيل ، كان لذلك أثره في تهذيب الاقلام والالتفات الى المعاني الحديثة التي تلابس حاجات العصر الخ

اما ان يفهم صديقي الاستاذ اني اغض من شعراء الغرب وانتقص من قدر شعرائه لمجرد عرضي لطور من الاطوار التي جاز بها تاريخ الادب في العصر الحديث فذلك من التمسف الذي لا ارتضيه لمن كان له مثل فضل الاستاذ حجاج وكان له في الادب خطره

يا لله ! ما ذنب شعراء الغرب اذا تهالك على اشعارهم في فترة من الزمن فأدوا الينا من معانيهم في صور لا ترضى الذوق الغربي ولا يستريح اليها الطبع الشرقي؟ واني أوكد لك ياسيدي ، وأنت سيد العارفين ، ان ابن المقفع لو كان ترجم حقيقة كلية ودمنة عن إحدى اللغات الهندية ثم ترجمها على هذا النحو الذي هتمت به في خطابي . أي انه ترجم لفظاً بلفظ ، وقصر عصي المعاني الهندية على عصي الالفاظ العربية لما ادرك شأو هذا الكتاب في سخره واسفاهه كتاب آخر ! وأخيراً ، فلقد أحسن الى الاستاذ حجاج اذ هياً لي الفرصة لاقرا انه كان من النواظير الاوالي الذين جاوا على ابناء العربية صدرا جليلا من بلاغات الغرب في يسر وفي احسان

بقي ان صديقي الاستاذ حجاج يخالفني في أن نهضة الادب في العصر الحديث انما ابتدأت من أواسط عصر اسماعيل ويحاجني باسماء شعراء وكتاب نجبوا من عهد الحملة الفرنسية الى عصر اسماعيل . واني ما برحت مصرا على رأي من أن من ذكر وغيرهم انما كانوا خامة للعصر التركي لا طلائع للعصر الجديد .

وما كنت بهذا لاغصهم فضلا ولا لاترهم حقا . فحسبهم انهم أدوا رسالة الادب وأحسنوا بقدر ما يتيها الاحسان لمن عاش في عصرهم . وليس يطلب منهم اكثر

من ذلك . ومن العسف الشديد أن تقارنهم بأمثال مصري وشوقي وحافظ والمطران وغيرهم ممن ادركوا هذه الحضارة الواسعة التي ألهمتهم ما كتبتة عن تقدمهم من الغابرين

أسأل الله تعالى أن يلمنا الصواب ويهدينا جميعاً سواء السبيل  
عبد العزيز البشري

### رواية عائرة

السبب في وضعها — واضح الملمخص ومنشئ الموضوع وناظمه بالاطيانية  
وماحنها — أول مسرح مثلت فيه — موضوع الرواية — موسيقاها — احتفاء ايطاليا  
وفرنسا وغيرهما بلحنها — اساءة مريت باشا الى مصر وتحتيرد المصريين أمام ملوك  
أوروبا

شاع خطأ بين الناس أنه لما أتم خديو مصر اسماعيل باشا حفر قناة السويس دعا  
ملوك أوروبا وملكاتهم وأمرأها لحضور الاحتفال الفخم بافتتاح القناة وأراد أماماً  
لمظاهر الاجلال وأسباب السرور أن يفتح الاوبرا الخديوية التي كانت وقتئذ تامة  
البناء والاثاث والمعدات ليزيد مدعويه سروراً واعجاباً وكان ذلك في ١٧ نوفمبر  
سنة ١٨٦٩

والحقيقة الخالصة أن الاوبرا التي مثلت في حفلات افتتاح القناة هي ريجولييتو  
وأما عائدة فقد مثلت بعد هذا الاحتفال أي في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧١

فأشار على مريت باشا مدير الآثار المصرية بإنشاء موضوع مصري فأنشأ له  
موضوعاً خيالياً ملخصاً وأرسله الى (فيردي) الموسيقي الايطالي الشهير فطلب من  
الخديو مائة ألف فرنك فنقدها

وكان بالمصادفة المسيو (كاميل درلوكل) مدير مسرح الاوبرا كوميك سابقاً  
في مدينة (بوسينو) التي كان فيها وقتئذ (فيردي) فكلفه هذا الموسيقي الشهير بأن

يكتب له الموضوع طبقاً للمخصص مريميت باشا فكتبه نثراً . ثم عهد بترجمته ونظمه الى الايطالية الى الميسو (جيلانسوني) ثم لحنها فيردى . وقد ترجمت الى الفرنسية حينما مثلت بباريس

مثلت هذه الرواية لأول مرة بمسرح الاوبرا الخديوية في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧١ وبعد النقد هذه الاوبرا هي ورجوليتو وفلستاف اعظم ما كتبه المؤلف وقد حازت هذه الرواية ليلتفت اعجاباً عظيماً وحفاة شديدة وأجاد تمثيلها وغناءها نخبة من الممثلين مثل ستيلير وكريستا وميديني ومونجيني وشهيرات الممثلات مثل بوتسوني اناستازى وجروسى

وحينما ابتدئ بتمثيلها في ميلانو بايطاليا بمسرح ( لاسكالا ) في ٧ فبراير سنة ١٨٧٢ صادفت نجاحاً عظيماً واقبالاً باهراً واستدعى الحضور فيردى على المسرح اثنين وثلاثين مرة وقدمت الاسر الميلاانية هدية شائعة لفيردي وهي صولجان من العاج ووسام على شكل نجمي من الماس وبوسطه اسم عائدة بالياقوت وفيردي بالاحجار الكريمة

وقد ابتدئ بتمثيلها بباريس في المسرح الايطالي باللغة الايطالية في ٢٢ ابريل سنة ١٧٧٩ وأول تمثيل لها باللغة الفرنسية كان في هذا المسرح في أول أغسطس سنة ١٨٧٨ وابتدأوا بتمثيلها في أوبرا باريس في ٢٢ مارس سنة ١٨٨٠ وقد دعى (فيردي) ليقود بنفسه الموسيقي فلبى الدعوة بارتياح ولم ينقطع تمثيل هذه الرواية من أوبرا باريس لغاية يومنا هذا

ندكر كلمة موجزة عن الموضوع ليكون القارىء على بينة مما سنورده من الابحاث كانت الحرب قائمة بين فرعون مصر وامونصرو ملك الحبشة وقد وقعت ابنته عائدة في أسر المصريين وألحقت بحاشية (أميريس) ابنة الملك . وكانت الفتاتان تحترقان بشعلة حب واحدة وهما براداميس ورئيس الحرس . وفي ذات

يوم جاء رمفيس رئيس السكينة وأنبأ الملك بتقدم الاحباش فعين الملك راداميس قائداً للجيش المسافرة لرد الاعداء وهو لا يدري أنه سيحارب والد عائدة التي شغفته حباً

ثم تقام الصلاة بمجد فتاح وتشد فيه الراهبات الاناشيد الدينية ويرقصون الرقص المقدس لينصرفهم ربهم في هذه الحرب

احتمالت يوماً (امينيس) على عائدة حتى عرفت سرها وتحققت أنها تحب راداميس حباً جماً . أبغضتها ابنة الملك حينما برح الحفاء وعلمت أنها تزاحمها في حب راداميس ولم تستطع تلك الاميرة أن تنزع البغض من فؤاد أميرتها  
رجع راداميس ظافراً منصوراً واحتفل بمقدمه احتفال فخم شائق وقد احضر معه ضمن الاسرى امونصرو أبا عائدة فسمح الملك لراداميس بزواج ابنته جزاء لاعماله المحميدة وما أحرزه من النصر العظيم

عرض امونصرو على ابنته ان تسأل راداميس عن أسرار التجهيزات الحربية والمعدات التي يعدونها ليقضوا بها القضاء الاخير على الاحباش فابت الفتاة فنهزها وثار عليها ودفعها دفعة طرحتها أرضاً وقال لها اني أترأ منك ولست ابقي فرأت أن لامناص لها من الرضوخ لارادته وكانت أماني أبيها حائمة حول استرجاع بلاده وتخليص ابنته من هذا الاسر الممقوت وتزويجها لراداميس

اقبل بعد هزيمة راداميس وأخذ يسامر حبيبتة بين خمائل اشجار الحديقة وهو مفتون بحديثها الخلو ثم سأله عن أسرار الحملة التي يعدونها لمواصلة الحرب ووسائل الهجوم وغيرها فابى فالت عليه فباح لها بكل شيء وكان أمونصر كامناً وراء الاشجار على مقربة منهم وسمع الحديث كلمة كلمة ثم ظهر امام راداميس بهيئة الظافر الشامت فدهش وقال ما اصابني أجنون أم ذهول انت على مسمع مني يا امونصرو؟ ماذا دهاني ؟

وكانت امينيس ساهرة في هذه الساعة المتأخرة فباغتت راداميس وسمعت

ما فاه به فقبض عليه السكينة واقتفى الحرم آثار عائدة وأيها حتى لحق بهما . زج  
الجميع في غياهب السجن ريثما يحاكمون  
دخلت ابنة الملك السجن على راداميس وعرضت عليه النجاة ان أحبها وقبل  
أن يقترن بها فابى فخرجت يائسة خائبة الرجاء وقد أظلمت الدنيا وضاعت في وجهها  
قضي على المجرمين بدفنهم احياء فقسرت عائدة وذهبت الى سجن حبسها  
ولبثت معه حتى وافاها الاجل المحتوم

اتبع (فيردي) في تلحين موسيقى عائده النسق الحديث الراقي وكتبها مترجما  
عما نفحه به خياله وشعوره دون ان يقلد أحداً وهي من اعظم ما كتب في الموسيقى  
الحديثة الجدية وتعد هي وريجوليتو ( الملك ياهو ) صفوة مؤلفات فيردي . وقد  
جمعت بين فخم الحماسة ورقيق العواطف وشائق الوصف وظريف الرقص وغريبه  
ومطرب الاناشيد وساحر الغرام وشعبي الاطنان ومذيب القلوب من الشكوى  
واني أكتفى بهذه الكلمة القصيرة في وصف موسيقاها تجنباً لتفصيل يستلزم  
سرد اصطلاحات كثيرة فنية لا يعرفها إلا المشتغلون بالموسيقى الافرنجية أو المواظبون  
على سماعها وفهم أنواعها

ليت شعري ما الذي حدا مرييت باشا ان يسند الى قواد الجيوش المصرية مثل  
هذه الفضائح وبصور المصري امام ملوك أوروبا على اشنع صورة اذ جعله مثالا  
لضعف الارادة وخور العزيمة والخيانة ببيع وطنه لاجل حب أسيرة حبشية ويرفض  
لاجلها زواج ابنة الملك ثم أبى بعد اجرامه وسجنه أن يعجب طلبها حينما وافته في  
السجن ووعدته بالخلاص ان قبل زواجها فاصر على عناده الى ان مات في رمسه  
الذي أعد له تحت اطباق الثرى ؟

اذا التمسنا له عنراً لجهله اللغة الهبروغليفية واستعانته بالمسيو (ماسبيرو) وكان  
وقتئذ مدرساً في كلية فرنسا بباريس في ترجمة ما كان يصادفه من الاساطير البربائية  
والهبروغليفية المنقوشة على الآثار فلا يعلم أن يتخيل خيالاً شريفاً أو يستعين

بالمخصصات التي وضعها بعض المؤرخين في ذلك الوقت مثل شامبوليون فيجاك وأخيه شامبوليون الصغير وهو أول من فك رموز اللغة الهيروغليفية ان فكرنا في عمله هذا عزوانه الى أحد أمرين اما سوء القصد واما الغفلة المتناهية وغلظة الذوق وكلاهما لا يغتفران لرجل مثل هذا اسندت اليه وظيفة فخمة فنية ومنح اسمى الالقاب والمرتبات

ولا ينسى المصريون بل العالم المتمددين اجمع هذه النقطة السوداء التي شابت تاريخ هذا الرجل بل سودته لان شهرة موسيقي الرواية تضمن لها البقاء أبداً لا باد ولا يزال هذا التذكار الممقوت خالداً خلال الدهور يمثل المصري القديم أقبح تمثيل ظالماً وعدواناً وهو مثال الشرف والشمم ومكارم الاخلاق وأول من عدين على ظهر الارض ومن استنار بنور عرفانه المشرقان وهذه آثاره باقية ناطقة بجليل أعماله ومجيد فعاله

تلك آثارنا تمل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

### كيف نسكتب

نهضت أمتنا نهضة محمد عليها في اللغة وابتدأت شيبتنا ان تأنس في دراستها لذة واعجاباً وسبيلاً حسنة للمفاخرة بلغة كانت سبباً في مجد اسلافهم وعلو شأنهم وبعد صيتهم وتبارى من شبابنا مئات في النثر والنظم والتأليف والترجمة . ولكننا لو بحثنا في هذا الجرم الغفير عن الجيدين منهم لم نجد الا عدداً قليلاً في كل فن من الفنون السالفة ولو قارنا بينهم وبين اواسط الابهم الراقية لرجحت كفة الاخيرين

ضلت ناشئتنا في ديجور الجهل باللغة وظلت تنشد نورا يفتشلها من تيهها فلم تجد

غير نور ضئيل يحمله أستاذ المدرسة فانبعثت في قلوبهم روح الامل ولكن خاب ظنهم إذ رأوا أن هذا البراس الضعيف لا يكشف أمامهم الظلام ولا يهديهم محجة الصواب . إن استاذهم نفسه لفي حاجة الى مرشد وإنا نلتمس لتلاميذه العذر ماداموا تحت سيطرته ولكننا نطالبهم بعد اتمام دراستهم أن يتفرغوا للغة بنظام وترتيب مفيد حتى يحرزوا قسطاً وافراً منها يرفع قدرهم وتعود آثاره على بلادهم بالفائدة الجزيلة . ان الامم لانحيا إلا بلغتها والتاريخ أعظم شاهد فقد تشتتت أمم عديدة فرطت في لغتها وفقدت شخصيتها وتفرقت كلماتها ثم تمزقت كل ممزقة واحتسنت كؤوس الذل والهوان

اننا لا نكاد نجد في شعرائنا وكتابنا من بلغ الاجادة وخلا من العيوب وداء حب الشهرة الكاذبة . استفحل هذا الداء بالاخص في الادعياء والمتوسطين في العلم واصبح الفرد منهم يقرأ فاضح نقده ويعلم انه مضغة في الافواه واضحوكة في كل ناد ومثال للسخرية في كل مجلس ولا يقلع عن غيه أو يحمر وجهه خجلاً . يطبع البعض منهم كل بضعة شهور كتاباً وينفق عليه بسخاء حتى اصبح بعد لبعض عشرات من المؤلفات وضايقوا ارباب المكاتب اذ لم يتركوا فيها فراغاً للجيل الكتب ولم ينتفع منها مؤلفوها ولا بائعوها ولله در المؤلف فانه لم يشهر بسأم الكتبي ولم يحزن على ماله الضائع ولم يشعر بما سببه له مؤلفه من السخرية والذم وبلغ من الادعياء والمخادعين ان يطبع أحدهم ألفاً من كتابه ويعمل لكل مائة نسخة غلافاً فيكتب على المائة الاولى الطبعة الاولى وهكذا الى المائة العاشرة فيكتب عليها الطبعة العاشرة ليغرر بصغار التلاميذ الذين هم تحت هيمنته ومن اشتروا كتابه خشية غضبه ولقد ثمل بسخافته أحد الادباء في مقالة «خداع العناوين» واني أسرد للقراء نادرة حقيقية لذاك العلامة مؤلف هذا الكتاب تنعشهم وتذهب ما يصيبهم من الملل من قراءة هذا الموضوع الطويل . كتب هذا النايفة تقریظاً لنفسه وجعله بشكل خطاب مرسل اليه ولم يدع معنى في المديح ولا لفظاً للتقريظ

حتى أودعه فيه و كال لنفسه من ضخم الالقاب ماسولات له به نفسه ثم أمضى الرسالة باسم مستعار وهول الى إحدى الجرائد التي اهتمت لنشر له هذا التقرير فتقاسم الموظف المنوط بالاعلانات عاملان شرف الضمير والخوف من أفلات أجر عظيم وصممنا على نشر تقريره بشكاه دون أقل تغيير فاقسم له حتى اطمأن فؤاده ونقده الاجر وبر مأمور الجريدة بقسمه وأراح ضميره من التبكيت والوخز ونشر الرسالة حرفاً حرفاً ووضع لها عنواناً شائقاً بليغاً لا يزيد على كلمتين أظهرتا خباياها وهما « اعلان مأجور »

ان أنعمنا النظر في قريض شعرائنا وجدنا فيه عيوباً كثيرة ولم ير غير أبيات قليلة في القصيدة تعد من الشعر الجيد . نرى التكلف والصناعة ظاهرين مجسمين والصوغ ضعيفاً والتركيب غير متين يكاد شعرهم يكون خلواً من جليل الابتكار يسطون على المعاني القديمة من أطرافها أو يجعلون عاليها سافلها لا يستملون خيالهم وشعورهم ولا يعرفون ان يصوروا ما يقع تحت أعينهم تصويراً متقناً فان عبروا عن معنى لا يحتاج الى أكثر من شطر نظموه في بيتين أو أكثر ولو وقفوا لكتابته في أقل من بيت أضافوا جملة لاتمام البيت والقافية بمثابة لفظ لا معنى له . نرى القصيدة مفككة السياق غير مرتبة المعاني كلها توب خلق مرقع بمختلف الالوان وان بحثنا عن سبب وقوعهم في هذا العيب الشائن وجدناه راجعاً الى كونهم ينظمون القصيدة دون ترتيب كحاطب ليل ويضمون أمامهم قصيدة قديمة من البحر والقافية التي يريدونها وكلما نظموا بيتاً وقفوا له قافية من قوافي هاته القصيدة وبعد اتمام العدد المرغوب يرتبون القصيدة ويألفها من قصيدة كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها . وكيف ينتظرون من قريض مثل هذا أن يكون فيه خيال وشعور وفكرة مفصلة مرتبة وصوغ متين .

نرى الشباب منا حينما يميل الى الشعر ويبتديء في معالجته يقرأ دواوين البهاء زهير وابن معتوق والحفاجي والشبراوي وابن الفارض وامثالهم وهم ابعد عن الشعر بعد الارض عن السماء ليسوا الا وزانين . يتركون الشعر الجاهلي وفيه آيات

البلاغة البيئات الساحرات وعنوان الفصاحة ونموذج القريض والتراكيب العربية الصحيحة ولا تشوبه كافة ولا تظهر عليه صناعة ومثال لجوامع الكلام كان حروفه من نار وكماته من سحر تستفز الهمم الخامدة وتحمس القلوب الجامدة وترقق الالكباد الغليظة . وقد منى نثرنا العصري بادواء تفوق ادواء الشعر وأصبح الكاتب يحشو الصحيفة تلو الصحيفة بلفظ باطل مزوق بسجعيات باردة سخيفة ويحليه بسجوف من المحسنات البديعية توارى عجزه وبجره في اعين السذج . يضع الكاتب من هؤلاء وقته الثمين ويقطع متواصل فكره في البحث والتنقيب عن سجعيات تافهة يغل نفسه بقيودها ويسد بها المسالك أمام نفحات خياله . يطارد السجع في بلدنا هذا الانسان من المهدي الى الالحد فكانت مرضعه تنومه وتداعبه بالسجعيات قائلة له « يابت ياللي فوق السطوح قولي لي أجبي ولا اروح ، ياللي ماراح باسوس وبو الغيط يا حلاوه على السقيط » يسمع الراقي يسجع ولا سجع الكهان قائلا « يا ملح يا مليح يا جوهر يافصيح ، بخور الفراخ ، يمنع الدواخ وبخور الجاموس ، يمنع الكابوس » يسمع الاطفال اقوانه مغنين في رمضان بمختلف الاغاني المسجعة كقولهم « احذروا العاده ليه وقلاده » الخ فلا ينقطع عن اذنيه رنين السجعيات انى سار ويجد في نفسه منذ صغره ميلا شديدا الى التسجيع يشب معه ويسري في دمه وعروقه .

ان القينا نظره في انشاء اعظم كتابنا وجدنا انه لا يستطيع تجنب اللفظ والثرثرة ويرتب فكرته ويتمخيل الخيال الفخم الراقي ويصوغ القول صوغا عربيا بليغا ويراعي انسجام الجمل ووزنها ويحسن اختيار الالفاظ ويترك السجع الاما جاء عفوا ويستملى شعوره وخياله ويعود نفسه دقة الملاحظة اذ عليها المعول في تصوير الاشياء تصويرا دقيقا وبها يكون الاستدلال والحكم صادقين وان يضرب في اللغة العربية بسهم وافر مالم بطرف صغير من كل علم مطلعا على نظم العرب ونثرهم ينقصنا معشر المصريين الذوق السليم وهو ملاك الانشاء وروح البيان ولا يتأتى نيله الا بالتهذيب الصحيح وترقية الفكر بالعلوم الفلسفية كما ان للفنون الجميلة

نصيباً وافراً في تقويم الاذواق فان هذبت الموسيقى اسماعنا عرفنا الشعر المسكور  
دون ان نعلم شيئاً من العروض وميزنا رنة القافية وانتقينا اجمل الابحر وزنا وان  
احرزنا قسطاً وافراً من التصوير فهمنا معنى الجمال في كل شيء ولم يخطيء تصويرنا  
الفكري وقويت فينا الملاحظة الدقيقة وصدق استدلالنا وحكمنا

اننا نسأم من قراءة الابحاث العقلية والفلسفية ولا نود أن نجهد فكرنا أقل  
اجهاد وبيننا نرى الكتب الفلسفية في كساد نرى الروايات العديدة الفائدة في  
رواج ولا تتعدى مطالعتنا الكتب الادبية السهلة . سرحت ناظري بمنة ويسرة  
على أجد ثانياً لذلك الاستاذ النابغة الذي تفتخر به البلاد في الكتابة فلم أعثر على  
أحد يماثله في فخامة الموضوع وحسن الصوغ وجمال التصوير وشدة التأثير وغزارة  
المعاني مع قلة الالفاظ . يكتب جملة قصيرة ويضمنها من الاجتماعيات أحسنها ومن  
الحكم ألخمها ومن العواطف أشرفها ومن الخيال رائعه ومن الشعر المشور بدائه  
يكتب والصدق رائده والاخلاص مذهبه والتواضع والنفور من حيث الشهرة  
دينه ولولا وثوقي من ذلك لنشرت اسمه .

انني احب الصراحة وأقول الحق ولو كان مرأ عند من تسكتفه العزة أو  
الشهرة الكاذبة وانصح لا كبر كاتب أن ينحونحوه ويتوخى اسلوبه الذي جمع كل  
الحاسن التي سردناها وكان لا يزال يمضي بحرف واحد ( م ) لشدة تواضعه

ان القارىء ليسلم معي بانه لا يوجد في الدنيا من هو اضعف عقلاً من عجوز  
شمطاء منفردة في بادية قفراء فكيف يظن الفرد انه اكتب قومه اذا كان دون  
هذه العجوز مقدرة في التعبير .

مر النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بالبادية فاصابهم الظم فلم يجدوا  
غير بئس حقير من الشعر به عجوز تسمى أم معبد فاستقوها فلم يجدوا عندها ماء  
وطلبوا أن تسمح لهم بحليب عنزها فقالت دونكم العنز فاحلبوها ان كان بها  
ابن وقد جف لبنها من الكبر فمسح النبي صلى الله عليه وسلم ضرعها بيده فدر لبنها

وشرب هو وأصحابه فتفرست فيه العجز ووصفته وصفاً دقيقاً بليغاً اذ قالت رأيت رجلاً ظاهر الوضأة ، ابلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبته تجلة ، ولم تزر به صقلة ، وسياً قسيماً في عينيه دمع وفي اشفاره وطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثانة احور اكحل ازج افرن ان ضحك فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء فهو اجمل الناس وابهاه من بعيد واحلاه واحسنه من قريب حلوا المنطق فصل لا نزر ولا هنر كان منطقه خربزات نظم يتحدرن وربعه لا تشناه من طول ولا تقتمحه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدماً له رفقاء يحفون به ان قال انصتوا لقوله وان أمر تبادروا الى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند . ولو تعمنا في هذه الجملة لوجدناها آية في البلاغة وحسن الصوغ وجزالة المعاني ورقة الوصف وقد جمعت ثمانى وثلاثين صفة منها خمسة وعشرون لوجهه وقامته والباقي لشأله . واختم قولي بابداء شعورى واعجابي نحو فئة عظيمة من اخواننا الاقباط تتبارى في المنظوم والمنثور يزيد عددهم يوماً فيوماً واني اشكر لسعادة الاستاذ وهبي بك الذي بث فيهم الروح وأحسن هديهم وعرفهم بان لغتهم هي التي يتخاطبون بها فتنافسوا في تحصيلها تنافساً يغبطون عليه ويعود عليهم بالثناء الجميل

(تجلة) ضخم البطن . (صقلة) دقة ونحول . (صحل) حدة الصوت مع بحج . (محفود) الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته . (محشود) أي ان أصحابه يخدمونه ويجمعون اليه . (تقتمحه) تتجاوز الى غيره احتقارا . (مفند) لا فائدة من كلامه لكبر اصابة (ازج) دقيق اطراف الحاجبين

## تصوير العواطف والوجداني

مافتىء كثير من الكتاب والشعراء يعنون بالاسلوب واختيار الالفاظ وسرد المترادفات دون أن يهتموا بالتعبير عما يجول في نفوسهم فتراهم لا يستطيعون أن يصوروا حالاتهم النفسية تصويراً صادقاً يجسم لك ما تضطرب به عواطفهم ويجيش في نفوسهم من عنيف العواطف التي تتملك شعور القاريء وتبرز أعصابه حتى لا يحس بما حوله

مثل الانشاء الوجداني كمثل غانية فتانة كفها جها لها مؤنة الحلى والحلال والزويق وان أعوزته متانة الاسلوب وحسن اختيار الالفاظ فهو بجائته هذه أفضل من غيره المنمق الاجوف

ولقد هداني الى الخوض في هذا الموضوع قطعتان تعدان بحق با كورة المثل العليا وبشائر النهضة المباركة والقذوة الحسنة التي يسترشد بها للوصول الى الكمال أولاها «بيت الابر» للاستاذ الجليل والكتاب الوجداني القدير الدكتور عبد الوهاب عزام والثانية «قصة في رسالة» للكاتبة الفاضلة «فتاه الفرات»

أخذ كاتبنا المفضل محاسنه في مكتبته في احدى الليالي المباركة وقد أسدل الليل سكونه وحلق طيف الشعر في غرفته وتجلت له البصيرة فهبت نفسه ثائرة تلي عليه ماخط في أعماق فؤاده باسان فصيح فتن به طيفه المخلق فوق رأسه ثم زاغ بصره في ماحوله عله يجد موضوعاً يطرز عليه تلك النفحات النادرة فوق على بيت الابر فأعجب باخلاصه وشدة أمانته للشمال رغم نوالي القرون والدهور لا يحميد عنه ولا يترزعزع ولو وجهته بعنف وجهة أخرى . وما فتئت تلك الابر المباركة مرشدة للانسان في البر والبحر والهواء . ثم عطف على ابرة مماثلة بين جوامح الانسان ترشده اذا ضل وتهديه اذا غوى اللهم اذا استثنينا من في قلوبهم مرض وعلى أبصارهم غشاوة فقد حاولت أن نهديهم فما وجدت لهم الى الهدى سبيلا

ولا تأخذكم العزة أو تعروكم غضاضة أن تأخذوا أدبكم من فتاة فان كاتب هذه السطور الضعيف يعترف أول الناس بأنه لا يستطيع أن يدرك شأوها في هذا المضمار ولو أسعدني يوماً تلك النفحات لما استطعت أن أكبح جماح الزهو والخيلاء ولقد خالجني الشك بعد قراءة هذه الرسالة في الامضاء فان عبارتها تنم عن لمحة فتاة النيل لافتاة الفرات ويظهر أنها أمضت هذه الامضاء تغاليا في الاختفاء وتضليلا للقارئ . قصت علينا الكاتبة حداثتها بأسلوب فني لا يجاريها فيها مجار وصورت حالها النفسية وعواطف جارها الملتزمة تصويراً دقيقاً صادقاً والفضل في ذلك لجرأتها البريئة وصراحتها الساذجة فأخذت ترخي لنفسها العنان وتستسلم لاهوائها فتتبع خطواتها الضمير الحي وأخذ يناضل مع هذه النزعات الماثرة حتى تغلب عليها وانتصر سلطان العقل الراجح والضمير الحي على الامارة بالسوء ثم هدت جارها الى الصراط السوي وردته الى عشه حيث تنتظره السعادة وشفقت فؤاده من مرض النفور من أولاده وعدم الاهتمام بزوجه الوديعه الصابرة وانتهت القصة بدرس قيم في الاخلاق سادت فيه الفضيلة على الرذيلة

الف ليله وابنه

بحث تاريخي ونقد وتحليل

لا جدال في ان هذا الكتاب يعد أول وأعظم سفر حوى القصص والحكايات الفنية في الشرق والغرب . ولقد غنى به الغربيون وترجموه الى أغلب لغاتهم وما فتمتوا يعتبرونه كنزا عظيما يستنبطون منه روايات قصصية وتمثيلية وغنائية وسينماتوغرافية .

لم يظهر لغاية عصرنا هذا مؤلف هذا الكتاب ولا تاريخ وضعه بالضبط ،

ولم يحاول العلماء المستشرقون البحث عن منشئه الا في القرن التاسع عشر . وأول من طرق هذا البحث المستشرق الفرنسي الشهير ( سلفستر دوساسي ) في ( مجلة العلماء ) سنة ١٨١٧ ، ثم أعقبه يبحث آخر سنة ١٨٢٩ ثم ثالث سنة ١٨٣٣

ولم يكتب بانسكار العناصر الهندية والفارسية فيه ، بل تغالي في غلوائه حتى عد خبر الف ليلة الوارد في مروج الذهب للمسعودي من الاخبار المشكوك فيها قال المسعودي في صفحة ٩٠ جزء رابع طبعة المطبعة الاميرية بباريس « مثل كتاب : هزار افسانه : وتفسير ذلك من الفارسية الى العربية ، ألف خرافة ، والخرافة بالفارسية يقال لها افسانه ، والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وليلة ، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شهر زاد ودينار زاد ومثل كتاب فرزه وسياس وما فيه من اخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب السندباد وغيرها »

وقد خالف المسيو هامر بورجستال المسيو سلفستر دوساسي وأكد صحة قول المسعودي ونشر بحثاً مستفيضاً في ( المجلة الاسيوية ) سنة ١٩١٨ ولقد ظن المستر ( ويليام لين ) الذي ترجم قسماً من الف ليلة أن الكتاب كله تأليف شخص واحد ومنشؤه في المدة الواقعة بين سنة ١٤٧٥ وسنة ١٥٢٥ وذكر هذه الفكرة في المقدمة التي وضعها لترجمته سنة ١٨٣٩ — ١٨٤١

وفي سنة ١٨٨٦ عاد المستشرق الالماني ( جوي ) الى هذا البحث مستشهداً بما جاء في كتاب فهرست ابن النديم الذي فصل الخبر تفصيلاً لا يجعل للشك مجالاً

« قال محمد بن اسحق أول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً وادعها الخرائن وجعل بعض ذلك على السنة الحيوان الفرس الاول ، ثم اغرق في ذلك ملوك الاشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ، ثم زاد ذلك واتسع في أيام ملوك الساسانية ونقلته العرب الى اللغة العربية وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنعوا في معناه ما يشبهه . فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار افسانه

ومعناه الف خرافة . وكان السبب في ذلك أن ملكا من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها شهر زاد فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل مما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها الف ليلة وهو مع ذلك يطوؤها الى ان رزقت منه ولداً أظهرته وأوقفته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها ، وكان للملك قهرمانة يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك وقد قيل ان هذا الكتاب الف للجاني ابنة بهمن وجاءوا فيه بخبر غير هذا .

قال محمد بن اسحق والصحيح ، ان شاء الله ان أول من سمر بالليل الاسكندر و كان له قوم يضحكونه ويخرفونه لا يريد بذلك اللذة وإنما كان يريد الحفظ والحرس واستعمل لذلك بعده الملوك كتاب هزار افسانه ويحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر لان السمر ربما حدث به عدة ليال وقد رأيت به بنامه دفعات وهو في الحقيقة كتاب غث بارد الحديث .

قال محمد بن اسحق ابتداء عبد الله محمد بن عيسى الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من اسماء العرب والعجم والروم وغيرهم وكل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره واحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يحلو بنفسه وكان فاضلا فاجتمع له أربعمئة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأقل وأكثر ، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تنميته ألف سمر ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب أخي الشافعي . وكان قبل ذلك ممن يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم ، جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل ابن هارون وعلي بن داود كاتب زبيدة وغيرهم «

وقد قرأت في آخر كتاب ابن النديم انه فرغ من كتابه في شعبان سنة ٣٧٧

وهذا مما يدلنا على أن الف ليلة كان معروفاً قبل الف سنة ولو كان الميسو سلفستر دوساسي ممن يقدرّون قيمة الكتب القيمة لما فاته الاطلاع على هذا الكتاب الجليل ولما تورط في هذا الشك المحجل .

ثم جرى (مولر) الميسو (جويي) في هذه الفكرة وكتب بدوره بحثاً طليماً عن الف ليلة

مخطوطات الف ليلة الموجودة الآن ، كما حققها الاستاذ ( بروكمان ) ثلاثة أنواع أحدها أسيوي وهو أقدمها وناقص ويشمل الجزء الاول من المجموعة والاثنان الآخران مصريان تامان ، ولكن تاريخهما أحدث من الاول والبون شاسع بين الاسيوية والمصريتين

ومصر ، لسوء حفظها ، مجردة من مخطوطات الف ليلة ولا يوجد شيء منها في دار الكتب . ومن أغرب الغرائب أن النسخة المخطوطة التي طبعت منها الطبعة الاولى بالمطبعة الاميرية سنة ١٢٥٠ لا يوجد لها أثر .

طبع الف ليلة عدة طبعات في مصر وأوروبا والهند وأهم الطبعات المصرية الطبعة الاولى الاميرية سنة ١٢٥٠ هجرية في عهد الخديو محمد علي باشا في مجلدين من القطع الكبير ثم أعيد طبعه في نفس المطبعة في أربعة مجلدات والطبعتان متفقتان بالحرف الواحد ، وقد طبع طبعة ازهرية بالمطبعة العثمانية عدة طبعات وكلها منقولة عن الطبعة الاميرية ومطابقة لها .

والطبعة الهندية مطبوعة سنة ١٨٣٩ وتولى طبعها وتصحيحها المستر (وليم مكناتن) سكرتير انجلترا في الهند وهي منقولة من نسخة مخطوطة كتبت بمصر أحضرها الميجر (تورنر مكان) وهو الذي طبع الشاهنامة للشاعر الفارسي الشهير الفردوسي . وهذه النسخة مطابقة تقريباً للطبعات المصرية ولا تختلف إلا في بعض نقط في الانشاء وهي في أربعة مجلدات

والطبعة الالمانية مضي عليها أكثر من قرن اذ طبعت في سنة ١٨٢٥ بهرسلاد وتولي

طبعها ونصيحتهما ( مكسيميليان هابخت ) مدرس اللغة العربية بالمدرسة الملكية  
برسلاو وهي في اثني عشر جزءاً ومغايرة للطبعات المصرية والهندية وفيها نحو  
الثلث من قصص ألف ليلة والثلثان الباقيان قصص غريبة لا توجد في الطبعات  
الآخرى .

وهذه الطبعة منقولة عن نسخة مخطوطة في عشرة أجزاء مؤرخة سنة ١٧٣١  
واحضرها للطابع احمدي تونسي المسمى م نجار ، وقد سبق ان تقابلا في باريس  
فأوصاه على نسخة من مخطوطات ألف ليلة فمثر على تلك النسخة حين عودته  
الى تونس .

ومن النسخ المغيرة النسخة التي ترجم عنها الى الفرنسية ( جلان ) وهي تخالف  
الجميع ولا سيما الجزء الثالث وهو الاخير به قصص غريبة لا وجود لها في الطبعات  
الآخرى نذكر منها علاء الدين والمصباح المسحور وقصة علي بابا والاربعة اصفا وقد  
رآهما أغلب القراء في السينماتوغراف

ولقد اجمع أغلب المستشرقين على أن طبعة بولاق هي أصح وأدق من  
كل ما سردناه

واشهر التراجم ثلاث ترجمة ( جلان ) سنة ١٧١٥ وقد مضى عليها اكثر من  
قرنين وهي رشيقة الانشاء ولكنها لم يراع فيها المترجم الدقة والامانة وتعريف  
فيها بكل حرية

وقد افترض المسيو ( سلفستردو ساسي ) هذه الترجمة بمقدمة عن ألف ليلة ومنشئه  
ولكنه لم يخبرنا هو ولا المترجم عن منشأ المخطوط الذي ترجم عنه .

وترجمة ( الكابتن بورتون ) الانجليزية وهي مثال للدقة والتحقيق ولجمل  
اللغة الانجليزية لم أكلف نفسى البحث عن نسخة منها لا قارن بينها وبين النسخ  
الآخرى ولا أدري ان كان أصلها مماثلاً للأصل الذي ترجم منه ( جلان ) أم لا ؟  
ولقد ترجم الدكتور ماردروس المصري مولداً ونشأة والمستوطن بباريس

كتاب الف ليلة ترجمة جمعت بين دفتيها الدقة والبلاغة سنة ١٩٠٠ وهي تقع في ستة عشر مجلداً . ثم طبعت طبعة ثانية في ثمانية مجلدات كبيرة مجلدة تجليداً فنياً ومحلة بصور ملونة تمثل الصور المزدان بها بعض المخطوطات الهندية والفارسية الشهيرة وقد اشترك في هاتين الطبعتين مكتبتا «لوفاسور» و«فاسكيل» بباريس

ولقد ترجم المسيو ماردوروس أغلب سور القرآن ترجمت سحبت ذيل النسيان على جميع التراجم القديمة وطبعها مكتبة «فاسكيل» السالفة .

ولقد نقل المسيو ماردوروس ترجمته عن طبعة بولاق وقال بصوره انها أضبط ما وجد من نسخ الف ليلة

نريد أن ننقل بالقاريء الى نظرة نحال فيها الف ليلة علنا نستنبط من بين سطوره شيئاً يفيدنا في هذا البحث العويص ، وسيكون مدار تحليلنا الموضوع من الوجهة الفنية والانشاء وتفسيره الكاتب وجديته ، وهل هو فرد أو أفراد ، والعصر الذي وضعت فيه الترجمة التي بين أيدينا اليوم .

لا مرأ في أن الكاتب كان خصب الخيال غزير المادة ولقد أجاد في وضع الاساس على شكل فني ظريف وهو خبر شهر زاد مع شهر يار وتفتنها في سرد نذيد القصص والحكايات ووقوفها كل ليلة عند نقطة من الحديث هامة حتى استبقاها الملك وقد سبق ذكر ذلك في موضعه

فالمجموع عظيم ولكن التفاصيل فيها عيوب جمة منها الاسراف والمغالاة في المبالغة كقوله ان الرخ يحجب الشمس حينما يطير وبيضته أعظم من القبة ، وقوله عن اغلب ابناء الملوك فما أتم حوله الخامس عشر حتى صار فارساً صنديداً لا يلبث امامه الفرسان الاشداء وكوصفه لقصور الجن بأنها من الذهب والفضة والياقوت والزمرد وكزواج أشخاصه بينات الجن وظهورهن بين الناس وكقوله أن سيف الملوك لما سافر أخذ معه أربعين مركباً وعشرين ألف مملوك اذ لا يعقل أن أربعين مركباً في العصور القديمة تكفي لحمل الامتعة والمئونة وعشرين ألف مملوك ولا يعقل

وجود جيش جرار من المماليك في أي بلاط ! وسرد هذا الخبر في حشد نفسه  
لا يبهز القارىء ولا يدهشه بل يضحكه سخريه

ويلاحظ القارىء أن طريقته في سرد الحوادث مفككة الاوصال لا يربطها  
ترتيب في الزمان ولا في المكان فتراه في قصة الملك شهرمان وولده قمر الزمان  
وحفيديه الاسعد والامجد ان هذين الغلامين لما أمر والدهما وزيره بقتلها عقب  
اتهم والدته كل منهما لابن ضربتها بانه راودها ورفض الوزير قتلها وتركها ليهربا  
وسفرهما من بلد لا آخر دون أن يعلم ابوهما وجدهما من أمرها شيئاً  
ولما اراد ان يختم هذه القصة الطويلة حضر قمر الزمان وعسكره وبعد لحظة  
حضرت الملكة مرجانة وجيشها وبعد اونة حضر الملك الفيور صهره وجنوده  
ثم تلاه الملك شهرمان وعساكره

حضر الجميع في وقت واحد من أقطار مختلفة متناثرة عن بعضها ومن غير  
سابقة علم بهذا المكان .

ومن الحوادث المنكرة التي لا يقبلها العقل هيام حياة النفوس وبدور بابي  
زوجهما . ولو اقتصر على واحدة لقلنا شذوذ محتمل الوقوع وهذا مما يدل على تجرده  
من كل ذوق سليم .

ومما ينتقد عليه تشابه بعض القصص ببعضها وتكرار الحوادث فيها مثل قصص  
حسن البصري وسيف الملوك وحاسب كريم الدين إذ نرى في كل منها أن بطل  
القصة لم يسمع النصح وفتح باب القصر الذي حفر من فتحه ثم رأى البستان الجميل  
وبركة الماء والطيور التي حطت في البستان وخلعت ريشها وظهرت منه فتيات  
فاتنات وهيام كل بطل بأجل الفتيات وهن من بنات ملوك الجن ومواطنهن وراء  
جبال قاف ومجازفة المحبين باقتحام الاهوال والسير بين طوائف الجن المختلفة وخبر  
اليهودي الذي كان يضع الحسن البصري وسيف الملوك في جلد بغل ويخيط عليه  
ثم يأتي الرخ فيحمله ويضعه في قمة جبل الماس ثم يشق الجلد بسكين ويخرج منه

ويقذف الماس لليهودى وغير ذلك مما هو مكرر بنصه في القصص الثلاث .  
ومن هناته ومستهجناته وصفه دخول ابطال قصصه بزواجهم بشكل فاحش  
مخجل كرا . الحشاشين في اقذر المواخير  
ومن أقبح وأبرد حكاياته اثنتان بجانب بعضهما احدهما امرأة ولعت بقرد  
والثانية أحبت دبا وهما من الخيال السمج الوقح ولولا ضيق المقام لاتينا بشيء  
كثير من هذه الملاحظات التي لا تخفى على كل من له شيء من الذوق في الفن  
القصصى .

انشاء الف ليلة غث حقير وفيه جانب عظيم من التعبيرات والالفاظ العامية  
والسجعات الباردة التي يرصا رصا في كل موضع بالحرف الواحد وهي تكاد تماثل  
سجعات ( صندوق الدنيا ) وكذلك شعره فان أغلبه من الشعر الموزون الخلى من  
المعنى والجمال وسنعود اليه حينما نصور نفسية الكاتب وشخصيته

ان الف ليلة اصله فارسى وكان صغير الحجم لا يشمل غير القسم الفارسى والهندي  
والصيني لان الاقسام الاخرى العربية والمصرية وغيرها اضيفت متأخرة وهذا  
رأى كثير من المستشرقين ويثبته تاريخ الحوادث

ولقد ورد في القسم المصري ذكر الفرمان السلطاني وأبي طبقى والجامكية ومصر  
القديمة وبولاق وباب الشعرية وباب الحرق (الذي أبدل الآن بالخلق) وباب الفتوح  
وهذا مما يدل على أن القسم المصري حديث لا يتعدى زمن المماليك

سلمنا بان واضح هذا الكتاب افراد وان القسم الاول وضع قبل الف سنة  
بكثير لان ابن النديم حينما تكلم عنه منذ الف سنة لم يقف على اسم واضعه ولا  
على التاريخ الذى كتب فيه ، وهذا مما يدل ايضا على انه كتب قبل زمن ابن  
النديم بزمن بعيد . فاقاريء يدهش حينما يرى ان الكتاب من دفته الى دفته  
مكتوب بقلم واحد وأسلوب واحد وان القسم القديم نفسه محشو بشعر سخيف  
حديث العهد .

ولكنني ارجح ان الترجمة وضحت في زمن المماليك واشترك فيها اثنان تركي  
يجيد الفارسية وضعيف في العربية وكانت مهمته الترجمة : والثاني مصري فقيه  
ومهمته التعميق والتزويق بتلك المسجعات السخيفة والاشعار المردولة وتصنيف  
القسم العربي الشامل لآخبار الرشيد وغيره والقسم المصري

وغير خاف أن عصر المماليك كانت تتخبط فيه مصر في دياجير الجهل  
والأنحطاط وفساد الاخلاق، وربما كان انشاء اليف لينة يعد في زمانه من رائعيان  
العصر ولا يبعد أيضاً أن واضعه كان يعتبره قومه من الذين يشار اليهم بالبنان في  
ميدان التنظيم والنشر .

ويظهر أن هذا الفقيه درس في الازهر بضع سنين ثم انقطع للادب وتفرغ  
للكتابة والشعر وقرأ بعض الكتب الغثة المسجعة والدواوين السخيفة كالبهاء  
زهير والوأواء الدمشقي وابن سهل ومن شاكلهم وحفظ العروض لتعليم الوزن  
وقرأ جانباً من الكتب الخرافية المردولة مثل خريدة العجائب وبدائع الزهور  
وعدها من كتب المواعظ والحكم الدينية السخيفة التي يبرأ منها الدين والتي  
يحفظها الشباحون والطفيليون ليتشددوا بها في مجالس العامة

وقد استدلت على أنه فقيه بل من فقهاء المقابر من محاوراته العلمية في قصة  
تودد الجارية وهي من أرذل ماسمع .

سألها العلماء : ما ربك وما نبيك وما أمامك وما قبلتك فأجابت الله ربي ومحمد  
(صلعم) نبي والقرآن أمامي والكعبة قبلي الخ . ولا يخفى على القارىء أن هذا  
القول يلقيه فقهاء المقابر للاموات وقت دفنهم . وفي قصص أخرى يقول صلي  
ركعتي الاستخارة وفي قصة علاء الدين أبي الشامات يقول أنهم اتخذوه مستحلاً  
لبنت أحد الاغنياء

ومن بروده وسماجته سؤال العلماء لتودد الجارية وهم في حضرة الرشيد أسئلة  
تمثل ما جاء في رجوع الشيخ الى صباه !

وتلك الكلمة فيها الكفاية للاطلاع على مبلغ معلومات منق الف ليلة  
وقد بقي علينا أن نأتي بصورة تمثل نفسيته

هذا الرجل على شاكلة ( تارتوف ) أو الشيخ متلوف على رأي عثمان بك  
جلال ، شيخ معر بد فاجر مستهتر مجرد من الذوق والادب ومكلم الاخلاق  
وهو من الفئة الذين يهرولون وراء فتوى كاذبة لرجل طلق امرأته ستين مرة أو  
عقد زواج جديد مع وجود المرأة على ذمة الزوج الاول ، والذين يتطفلون في  
المآتم والافراح فيكون واعظاً ان كان المجلس يبحث في الوعظ وشاعراً في  
الافراح يرص القصيدة ويخطب الخطبة المتهمة العروسين وتارة في مواخير الحشيش  
وطوراً في الحانات ينادم ويضحك الشبان المعربدين الوارثين وترى جيوبه محشوة  
باسحقاق العنبر والمنزول يبيعها للمعربدين بعد ما يسهب في منافعها وخواصها

كل هذه الصفات تقرأها طي الف ليلة حتى نسخ المنزل تراها في الصحيفة  
الاولى من قصة علاء الدين ابي الشامات وقبل تركيبها بضعة سطور تجد حواراً  
بين والد علاء الدين وزوجه من أقبح ما سمع ، وفيه من أخبار النساء والولدان  
ما يدل دلالة صريحة على ان هذا الرجل كان حشاشاً كبيراً

ولولا الاطالة لسردت شيئاً كثيراً من المواقف التي تصور هذا الكاتب  
وما على المستزيد الا ان يطالع الكتاب كله ليري فيه أضعاف أضعاف ما ذكرناه  
واظن أن النسخ الاسيوية القديمة ليست بهذه القحة ولا هذا البرود وتلك السماجة  
هذا ما وصل اليه جهد استطاعتي وعسى أن لا يضمن الاستاذان الكيران  
صاحباً السعادة احمد زكي باشا واحمد تيمور باشا بموافاة القراء بمعلوماتهما عن هذا  
الكتاب توصلاً للحقيقة وخدمة للعلم

## رايبر رائات تاهور

حاولت أن أجد بين الاحياء صورة تماثل هذا الفيلسوف العظيم والشاعر  
العبقري فلم أوفق فشجنت الذاكرة وأرهفت اليراع واستنجدت بظيف الشعر  
فهمس بعد قليل في أذني : عبثاً تؤمل أن تظفر بأمنيتك بين الاحياء ودونك  
صورة صادقة خلدها الفن وهي تمثال موسى عليه السلام من صنع المثال العظيم  
ميكيل أنج

ان كانت عندك أيها القارىء هذه الصورة في دائرة معارف او كتاب في  
الفن . فافتح كتابك وتأمل معي فيها وانظر الى الهيبة والعظمة اللتين يملكان عليك  
مشارك والعين البراقة والنظرة الحادة المهيبة التي على عليك ارادتها دون أن تمتعض  
أو تستنكف أو يأخذك الزهو والكبرياء وشعره المتدلى على أكتافه ولحيته البيضاء  
المسترسلة الى صدره كلبد الضياغم

شاهدته حينما زار مصر بالمصادفة في الطريق وهو راكب عربة وقد وقع نظره  
على دون قصد فراعته تلك الطلعة المهيبة والجلال النادر وتلك النظرات الحادة  
وقد خيل الى انها اخترمت احشائي ووصلت الى سويداء قلبي فقرأت ماخط فيه  
من سر مكنون وقد تضاءلت أمامي وقتئذ جميع الشخصيات البارزة وأيقنت بعدما  
قرأت نحو خمسة عشر مجلداً من مؤلفاته التي ترجمت الى الفرنسية أنه عطار الشعر  
الذي لا يدرك له غبار ، ولا يجاريه فيه مجار .

ومن مزياده النادرة التي لم يبلغ شأوها غيره من الشعراء الاقدمين والمعاصرين  
الركة الفتانه والرشاقه النادرة الساحرة وسلامة الذوق المتناهية والعواطف المتأججة  
والمعاني العظيمة العميقة التي جمعت بين الشعر والفلسفة فزادت قوة على قوة .  
وقريضة الخالي من التكلف والذي لا يشاهد فيه أثر للصناعة والاجهاد

وحينما ترجم ديوانه « بستاني الحب » الى الفرنسية وظهر في عالم المطبوعات

أخذت منه نسخة ولم أتمكن من قراءتها في أول يوم ، وفي الغد اتنابنى مغمص الكايتين واشتد على حتى جعلني أئن وأتولى كالطير المذبوح . ولما سكنت قليلا شدة الألم أخذت هذا الديوان وأنا راقد ولم آت على آخر القصيدة الثانية حتى انتقلت الى عالم آخر ونسيت الألم وفتحت عيناى واشتدت عضلات جفوني بعد ارتخائها وتقيت أعصابى بعد خمودها ، وعلوت عن كل شىء ولم أقطع هذه اللذة النادرة التى سكنت آلامى بشىء آخر من طعام أو شراب أو دواء وما غربت الشمس حتى أتمت قراءة ما بين دفتى الديوان وأنا مدثر فى فراشى

إذا أمعنا النظر فى شعر كبير وهو أحد زعماء الصوفية فى الهند فى القرن الخامس عشر وجدنا بينه وبين شعر تاجور شبا كبيرا اذ كلاهما يبحث عن الخالق ويتغزل فيه وهذا ما يدلنا على تأثر تاجور من كبير . ولكن الفرق بينهما ان تاجور أرق بكثير من كبير وقصائده أطول ، ومعانيه أعمق وأخفم ، وأماما للفائدة نسرده كلمة عن كبير وبعض مقطوعات من نظمه لنقارن بينها وبين شعر تاجور وقد نقل تاجور شعر كبير من البنغالية الى الانجليزية بنفسه وهذا يدل على ولعه بقريض هذا الشاعر و إعجابه به .

ولد كبير من أبوين مسلمين بمدينة بينارس حوالى سنة ١٤٤٠ وانضم منذ صغره الى تلاميذ الناسك الهندوكى الشهير راماندا . وكان هذا الأخير متبحرا فى العلوم الدينية وعاش فى عصر تأثر فيه الشعر الوجداني والفلسفة العميقة بكبار الصوفية من الفرس تأثراً عظيماً فى الفكرة الدينية بالهند وقد أمل أن يوفق بين التصوف الاسلامي والبرهمني المتواتر

وبعد كبير من عظماء المصلحين الدينيين وله حزب باق الى الان يبلغ المليون وفضلا عن ذلك فقد بلغ فى القريض مكانة لم يسبقه اليها غيره من أسلافه وشعره حافل بجميع أنواع العواطف من أدقها الى أشدها وتعد معانيه من السهل الممتنع الخالى من التعقيد والتكلف

نراه فى نظمه لم يفرق بين العقائد البرهمية والدين الاسلامي ، بل كان قريضا

يتناول الاثنين وكان فضلاً عن تصوفه وشهرته في القريض موسيقياً ماهراً  
لم ينقطع للتفكير وامانة الجسم والعزلة والتأملات بل كان حائكاً يعيش من  
صناعته . والغريب أن جميع الاساطير أجمعت على أنه كان أمياً رغماً مما بلغه من  
أعلى شأو في القريض . وكان متزوجاً ورزق بأولاد وكان يحقر النفس والعزلة  
والزهد والتعسف وتجنب الحب والابتعاد عن السرور والجمال المنتشر في العالم من  
الوحدة الانهائية .

أما من جهة العقيدة فلانستطيع أن نعتبره مسالماً ولا هندوكياً لأنه كان ملحداً  
وكان يمتنع العقائد الدينية . وجميع الاوساط الدينية كانت تعدّه رجلاً خطيراً . والاله  
الذي كان يبحث عنه لم يكن في الهياكل ولا في المساجد وكان يعتقد انه موجود  
بجانب كل من ينشده

كان نفوذ الكهان والبراهمة عظيماً في بيناريس فاضطهدوا كبراً وقيل لهم  
أرادوا اغواءه فأرسلوا اليه بغياً حسناً فلم تنل منه نيلاً بل هداها حتى تابت وأصبحت  
طاهرة صالحة

أتى عليه عام ١٥١٨ وهو هرم سقيم ضعيف الذراعين فتوفي في هذا التاريخ  
بمدينة مجهر على مقربة من جورا كنور

ومن الاساطير الالذيذة التي قيلت عن وفاته أنه لما مات تخاصم تلاميذه المسلمون  
والهندوكيون على جثته فأراد الاولون أن يدفنه وأراد الآخرون أن يحرقوه فظهر  
لهم كبير وقال . . « انزعوا الاكفان وانظروا الى ماتحتها فأطاعوا ووجدوا تحتها  
باقة من الازهار النضرة فاقسموها بينهم ودفن المسلمون نصيبهم في مجهر وأخذ  
الهندوكيون نصيبهم وأحرقوه في بيناريس  
وهاكم خمس مقطوعات من شعر كبير :

١ -

أين تبحث عني يا خادمي ؟ أنظر ترني على كذب منك ! لست في الهيكل

ولا في المسجد ولا في محراب الحرم المكي ولا في مقام آلهة الهند . ما أنا  
في المذاهب ولا في الحفلات الدينية ولا في التنسك وتقشفه وزهده  
ان كنت تبحث عنى حقاً فستراني قريباً وستأتي الساعة التي تحظى فيها بمقابلتي  
ويقول كبير : « أيها الولي ، ان الله هو نفس كل من يتنفس من الاحياء

— ١١ —

كنت فيما مضى ألعب مع رفاقي ليل نهار ولكن الخوف يساورني الآن  
قصر سيدي شاهق يناطح السحاب وقلبي يخفق من الهلع ان حاولت الصعود  
اليه بيد أنه لا ينبغي لي أن أكون هياباً أن أردت التمتع بحبه . يجب أن يرتبط قلبي  
بأعز حبيب وأن أزعج تقابي وأجمع بين كياني وذاته . وستكون عيناي مقرأ  
لمصابيح الحب

ويقول كبير : « سماع أيتها الحبيبة ، أنه يفهم من بحبه فان لم يضنك حب المحبوب  
فلا فائدة من تزيين جسمك وتجميل أجفانك بالكحل »

— ١٢ —

خبريني أيتها البعجة عن تاريخك القديم ومن أي البلاد أتيت ؟ لاي شاطيء  
تطيرين ؟ أين تستريحين أيتها البعجة وعم تبحثين ؟ استيقظي أيتها البعجة في هذا  
الصباح وانهمضي لتتبعيني . انها لبلاد لا يدخلها الشك ولا الحزن والكتابة ولا  
يتسرب اليها الخوف من المنون . هناك ترى الغاب وقد جلاه الربيع بازهاره ويقول  
عرفه الشذى : « أنا هو » وتحمله ريح الصبا .

وهناك تغوص نحلة القلب في قاع الزهرة ولا تريد غير هذه المسرة .

— ٢٧ —

ان رحمة سيدي الحق هي التي علمتني ما خفي ولقد تعامت منه أن أسير بغير  
قدمين وان انظر بلا عينين وأن اسمع من غير اذنين وأن اشرب بدون شفنتين  
وان أطير بغير جناحين .

وفي البلاد التي لا تنعم بشمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار قد احببت وتأملت  
لقد تذوقت حلاوة الرحيق دون اكل وقد ارتويت بغير ماء  
ان السرور المتقاسم هو أعظم المسرات  
أمام من نستطيع أن نعبر عنه ؟  
ويقول كبير « سيدي أعظم من العوالم وما أعظم ثروة تلميذه »

- ٣٥ -

في هذه الشجرة طير يرقص في فرح الحياة ولا يستطيع احد ان يعرف مقره  
أو يعيد مرد أغنيته  
هل رأيت موضع الظل الكثيف الذي يسقط من فروع الشجرة المتكاثفة ،  
فهنالك عشه اذ يجيء في المساء ويطير في الصباح واني لا أعرف له كنهها ولا يتيسر  
لاحد أن ينبئني عن هذا الطائر الذي يغرد في نفسي ، وما ريشه بملون ولا غير  
ملون ، وليس له شكل ولا حد ، وهو يستقر في ظلال الحب  
أنه ينام في باطن من لا يدركه العقل الدائم الذي لانهاية له ، ولا يعلم أحد  
متي يطير ولا متى يعود ويقول كبير : « أيها الاخ الصالح الورع ! ان هذا السر  
عميق فدع الحكماء يبحثون عن مقر هذا الطائر »

لنعد بالقراء الى تاجور والحديث ذو شعجون : ولد المترجم في عام ١٨٦٠  
بكلكتا وقد منحه مجمع ستوكهلم العلمي جائزة (نوبل) في الآداب في ١٣ نوفمبر  
سنة ١٩١٣ وقال أن شعره يشمل جميع مطامح النفس . وهو عريق في النسب من  
أسرة بنغالية تضم كثيراً من عظماء الرجال وقد نال جده الامير « دوراكانات  
تاجور » شرف المشول أمام الملكة فكتوريا واشتهر والده المهرشي (أي الحكيم)  
دبندرانات تاجور بانه مفكر ديني

والمترجم نفسه معروف بتأملاته وتصوفه اذ يشاهد كل يوم غارقاً مدة ساعتين  
في بحار عميقة من التأملات وهذا لا يمنعه من تكريس نشاط منتظم لتهديب كثير  
من النفوس اذ أسس بمدينة بوليبور بجوار كلكتا مدرسة يديرها في الهواء الطلق

يعد فيها أكثر من مائتي طالب وهو وطني عظيم درس المدنية الانكليزية وآدابها ومشهور في انكلترا أكثر منه في فرنسا وقد حضر مؤتمر الاديان بباريس سنة ١٩١٣

عرف الناس هذا الشاعر منذ ربيعه الثامن عشر اذ اخرج لهم رواية تمثيلية موسيقية ثم أعقبها برواية قصصية وقد ذاع شعره في جميع أقطار الهند حتى أصبح بعد زعيم شعراء الهند قاطبة وأصبحوا يؤرخون به عصرًا جديدًا في الآداب الهندية يسمونه (الرابندراناتي)

وقد برع في الموسيقى كما برع في الشعر وألف ألحانًا يدل شكل نغماتها على تعبيرات عالية ولحن قصائد تلحنيًا يدل على غزارة المادة ودقة الشكل وترجم بنفسه ديوانه المسمى (القربان الشعري) من البنغالية الى الانجليزية . وكتب له الشاعر الارلندي (يتس) مقدمة قال فيها « ان بيتًا من قريض رابندرانات لينسى آلام الدنيا »

يعد المترجم من الشعراء المتصوفين ذوي النظم الجلى المعبر عن عفيف العواطف والآلام وما فتى يتطلب نجلى الخالق ويشعر بوجوده في جميع العالم ولو انه هندوكى صميم لكنه لا يغفل وهو ثمل بنشوة التأملات والخيالات عن الاتصال بالانس وشغفه بالطبيعة

انه يتهلل لجمال الطبيعة وقد جلاها النور وكستها أزهار الربيع بشائق حلاها ويشجيه تغريد الطير فوق الدوح والجمائل وببسم لقوس قزح ويفتنه جمال الزهر ويشمله ارجه العبق ويصغي بفرح الى خرير الامواج ومداعبتها للسفن الماخرة وقد عبر عن هذا الشغف في كثير من المواقف كقوله في عرض قريضه « قد دعيت الى عيد الدنيا وبورك لي في حياتي » وهذا ما يدل على أنه بعيد عن التشاؤم العظيم الذي اتصف به المفكرون من الهندوكيين

انه لا يخشى الموت ويرغب في الخلود الذي يجمعه مع الله ولكنه يحب الحياة وجمال الدنيا

يري شاعرنا يتنهّل فرحاً أمام منظر الحياة العامة ولكنه يري الحياة في العمل والاجهاد ويرى في الموت الدعة والسكون فهو يطمح الى النعيم المقيم ليتفانى في التقرب من الله . اذ يقول :

« لقد تمكنت من الوصول الى ضفاف الابدية التي لا يخفى فيها شيء . انغمس حياتي المخوفة في هذا القاموس ، أغرها وسط هذا التمام حتى أشعر في ذاك العالم الكامل بتلك الملاطفة التي فقدتها في الحياة الدنيا »

وهذا التمام والكمال بابه الموت الذي لا يخشاه تاجور اذ يعتبر ان في المنون تمام الحياة والمسلك الموصل للقاء ربه وان الموت والحياة هما وجهان لعملة واحدة فان أحب أحدهما فلم لا يحب الآخر . ومن أبلغ ابتكاراته الشائقة السهلة قوله . « بين الطفل حينما تنزع أمه ثديها الايمن من فمه مع أنها لا تلبث أن تناوله الايسر الذي يجد فيه عزاءه وسلوانه »

طرق تاجور أغلب نواحي الادب من فلسفة وشعر وروايات قصصية وتمثيلية وأقاصيص وحكايات وقطع فكاهية وغيرها ولقد اجاد كل الاجادة في كل هذه الانواع

ان أمعنا النظر في روايات تاجور الاولى التي ظهرت من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٩٠ وجدنا فيها تأثيراً ظاهراً من الكاتب البنغالي الكبير ( بنكيم

شندراساتارجي ) الذي نشرت كتبه سنة ١٨٩٤

ولكنه تحرر من هذا التأثير في سلسلة الحكايات التي نشرها من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٩٠٠ وكان يصور فيها حياة الريفيين والاسر المتوسطة البنغالية .

ثم ظهرت بعد ذلك رواياته الاجتماعية العظيمة :

حزن العيون      سنة ١٩٠٥ — سنة ١٩٠٤

جورا      سنة ١٩١٠ — سنة ١٩٠٨

البيت والعالم      سنة ١٩١٤ — سنة ١٩١٣

الاربعة الاصوات      سنة ١٩١٥ — سنة ١٩١٤

واما كتاباته الفكاهية فلم تترجم لغاية الآن من البنغالية ويعد تاجور أعظم كاتب فكاهي في الهند

وأعظم رواياته واكبرها ( جورا ) وهي صورة غنية وجريئة اغضبت كثيراً من الاحزاب لتهكمه الشيطاني اللطيف الذي يشوق القارىء لاكتشاف بطل الرواية وزعيم الوطنيين وهو من دم ارلندي وقد التقطته أسرة من الهنودوكيين الطيبين .

وتلى هذه الرواية في الشهرة رواية البيت والعالم وهي من حيث البلاغة والعواطف والركة والرشاقة تقرب من الشعر كثيراً

وقد قال عنه (رومان رولان في عرض كلامه : لقد تفرد مؤلف (البجعة) باختلاج الطبيعة العنيفة الذي يغمر به حديثه فيسمع تحت كلام المحدث الرقيق غناء الروح بدون كلام وهو يختلج تحت الحجاب وما هو إلا موسيقي السكون .

ولنكتف بهذه الكلمة لنعرض للقراء نماذج من ديوانه ( القربان الشعري )

و ( بستاني الحب ) وهما أشهر دواوينه

القربان الشعري

— ٥ —

أسألك ان عن علي ان استريح بجانبك لحظة أتم فيها ما شرعت فيه من الاعمال . حرمت من رؤية وجهك الكريم فاصبح فؤادي لا يعرف للراحة معنى ولا أمداً وظل اجتهدى شتاء دائماً في مفازة النصب المترامية الاطراف . اقبل الصيف اليوم الى كوتي هو وأنيده وهروا النحل الى الرياض المزهرة ليرتشف ثغور نوارها .

اقبلت ساعة الدعة الهنيئة لا تشد معك وجهاً لوجه ولا نذر واكرس لك حياتي في صمت هذا الفراغ العظيم

— ٦ —

أقطف هذه الزهرة الضئيلة وعجل بأخذها لئلا تدبل وتتناثر فوق التراب .

وان لم يكن لها محل في باقمتك فشرفها بلمس يدك واجنبا قاني اخشى ان لا يتم  
اليوم قبل أن يخالجنني الشك ويفوتني وقت الاهداء .  
خذ هذه الزهرة لنفسك وان تكن كامدة اللون حمية العرف ، اقتطفها فقد  
آن الوقت

- ١٢ -

ان الزمن الذى يتطلبه رحيل لطويل والطريق بعيدة . لقد خرجت راكباً  
عجلة اشعة النور الاولى وقطعت رحلتي خلال وحدة الدنيا تاركاً أثري فوق  
نجوم عدة . ان أبعد ظعن هو الذى يقربني اليك وان ترجيع الصوت وتنويعه هو  
يوصل الى انسجام الاصوات التام  
ويلزم الراحل أن يطرق جميع الابواب قبل أن يصل الى بابك كما ينبغي له أن  
يضل خلال جميع العوالم الظاهرة ليصل في النهاية الى تابوت العهد  
لقد تركت عيني تضلان في بعيد الفجاء قبل أن أقفلهما وأقول : هأنت هنا  
وهذا السؤال وذاك الانتظار يندوبان في عبرات الف من الانهار وينعمران  
الدنيا تحت لجج هذه الحقيقة أنا

- ٢١ -

أما حان الوقت لاطلق عنان سفينتي ؟ تنهار الساعات الدنفة فوق العراء —  
فوا أسفاه !  
جاء الربيع بأزهاره ونواره ثم ولى تاركاً أزهاراً حقيرة ذابلة بيننا أنا منتظر  
مستبطل .  
هاجت الامواج بعيداً عن الضفاف وتساقطت الاوراق المصفرة في  
الدرب الظليل  
ليت شعري ما الذي غاب عنك وتفكر فيه ؟ أما شعرت باختلاج يتخلل الهواء  
مع اللحن القصي الذى يصعد ثم يهرب وراء الشاطئ الآخر

- ٢٧ -

أيها النور ! أين ذاك النور ؟ نعشت واسعدت بنار الرغبة المتوهجة .  
ها هو المصباح ولكنه لا يحتاج كالشمعة — هناك مصبرك يا قلبي ؟ وان  
المنون لخير لك

ان البؤس يطرق بابك ومهمته أن سيدك يقظ وضرب لك موعداً للحب  
خلال جنح الظلام  
السما متلبدة بالغمام وما فتىء المطر منهلاً ولكني لا أدري ماذا يجيش في  
نفسى ولا أدرك له معنى

ان لمعان البرق الفجائي جلب الى عيني ظلاماً حالماً وان فؤادي ليبحث وسط  
هذه الحفادس عن السبيل الموصلة الى الالحان التي تدعوني  
أيها النور ! أين ذاك النور ؟ نعشت وسعدت بنار الرغبة المتوهجة  
يقصف الرعد وتهب الريح مزججة خلال الفضاء والليل معتم ( كالاردواز ) فلا  
ترك الساعات تمر في الظلام وأنعش مصباح الحب بحياتك

- ٥٧ -

أيها النور ! أي ضوئي الذي يملأ الدنيا يامن هولمة العيون وهناءة القلوب  
يرقص النور وسط حياتي ! أيها المحبوب العزيز ! ان هواي يرن من وقع ضربة  
النور . تنفتح السماوات وتهب الرياح وجاب ضحك الارض  
خلق الفراش فوق خضم النور الذي أحبه ونجر الضوء من رؤوس العجج  
زبنقا وباسميننا

أيها النور العزيز ! انقش السحب باصباغك العسجدية لتنتثر منها الجواهر الشائقة  
انتشر الفرح من ورقة لاخرى يا هواي وسادت الهناءة العميمة  
طغى نهر السماء فغمر ضفافه وظلت أمواج الفرح خارجه

- ٨٢ -

الهي ! لا نهاية للزمن الذي بين يديك ولا أحد هناك ليعد دقائقك . تذكر

الايام والليالي وتتفتح الاعمار ثم تذبل كالازهار وتعرف أنت كيف تنتظر  
تتعاقب قرونك لقم زهرة ضئيلة من ازهار الحقول ، لا زمن لنا نضيعه اذ  
ينقصنا الوقت كما انه يلزمنا أن نتحمل المشاق في سبيل حظوظنا . اننا مساكين ولا  
يتسنى لنا أن نتأخر

وهكذا يمر الزمن بينا اهجره لجميع الشاكين الذين يريدون أن يستردوه .  
وحينئذ يبقى محرابك خاليا من القرابين عاطلا  
وعند انتهاء النهار تساورني العجالة خشية أن لا تكون الابواب موصدة وفضلا  
عن هذا اري أن الوقت لم يفتني بعد

البيستاني

١ —

الخادم — أيتها المملكة رحمة بخادمك  
المملكة — لقد انفض الاجتماع وانصرف اتباعي . ولم أتيت في هذه الساعة  
المتأخرة ؟

الخادم — تحين ساعتي حينما تمر ساعات الآخرين ، خبريني أي عمل بقي لا أخرجك من  
المملكة — ماذا تؤمل بعد فوات الوقت .

الخادم — اجعليني بستانيا لحديقة أزهارك .

المملكة — ما هذا الجنون ؟

الخادم — اتى أرفض أي عمل آخر . وسأطرح رماحي وسيوفى في التراب ،  
لا ترسليني الى أى بلاط ملكي بعيد . ولا تكلفيني بفتوحات جديدة . بل اجعليني  
بستانيا لحديقة أزهارك

المملكة — وماذا يكون عمالك ؟

الخادم — سيكون عملي قاصراً على أوقات فراغك وسأرعى الكلاً بعنايتي  
حتى تستمر نضرتي في الدرب الذي تسيرين فيه في الصباح حيث تتمنى الازهار  
الموت وتتعطش لان يموت تحت قدميك مباركة القدم التي سحقتهما .

وساؤرجيحك بين أغصان (السبتيرنا) بينما يطلع القمر مبكراً في السماء محاولاً  
أن يقبل طيلسانك من خلال أوراق الاشجار  
وسأملأ السراج الذي يشتعل بجانب سريرك بالزيت العطر، وسأزين كرسيك  
بالصندل والزعفران .

الملكة — أى جزاء تبتغي ؟

الخادم — أن تسمح لي أن أمسك بين يدي بيديك الغضبتين المماثلتين  
لازرار النيلوفر وأن أطوى حول ذراعيك عقود الازهار ، وسأخضب قدميك  
بعصارة أزهار (الاشوكا) الحمراء وسأقتطف بقبلة ما علق عليهما من الغبار .  
الملكة — لقد قبلت توسلاتك ياخادمي وستكون بستانى حديقة أزهارى .

منتخبات من البهتانى

- ٢ -

أيتها الشاعر ! اقرب المساء ، واشتعل رأسك شيئاً  
أتسمع وأنت غارق في تأملات عزلتك رسالة ما وراء الوجود ؟  
قال الشاعر : هاهو المساء ، اتى مصغ : فلربما نادى أحد من القرية رغماً من  
هذه الساعة المتأخرة

اتى ساهر : وعاشقان يبحث أحدهما عن الآخر . فهلا يقودهما قلباهما؟ وهلا  
يتقابل قلبان ضالان لعاشقين في شرح الشباب ، وان عيونهم البراقة لتتشد وهي  
ممسولة حباً منسجماً يقطع السكوت ويتكلم بدلا عنهما  
من ينسج لهما غنائهما المؤثر الشجى اذا داومت الجلوس على شاطئ الحياة  
أشاهد الموت وما وراء الوجود ؟

لقد اختفى نجم المساء الاول . وطفقت نار آتون الاموات نجو ببطء بعد  
سعيها المتوهج على مقربة من الغدير الصامت ، وكان يسمع من فناء المنزل المقفر  
في ضوء القمر السكامد عواء أبناء آوى ، واذا مر ظاعن وقد ضل عن مأواه ضاللاً  
بعيداً ثم أقبل ليشهد الليل وينصت وهو منكس الرأس الى نشيد الظلمات فمن

يكون هنا ليسر اليه أسرار الحياة اذا أنا أقفلت بابي وأخليت نفسي من كل قيد  
يربط البشر بعضهم ببعض ؟

لا يهمني أن أشتعل الرأس شيباً فاني مازلت فتياً مثل أصغر أهل القرية وهرما  
مثل أكبر رجل فيها

البعض لهم سمات بسيطة لطيفة والآخرون تلمع أعينهم من المسكر والخبث  
وهؤلاء لهم عبرات تنفجر في ضوء النهار والآخرون لهم دموع تختفي في  
الظلمات . جميعهم محتاجون الي وليس عندي من الوقت ما يسمح لي بالتأمل في  
الحياة القادمة

اتي في كل سن فلا يهمني أن يشتعل الرأس شيباً

— ٧ —

أماه ، سيمر الامير الشاب ببابنا فكيف أستطيع العمل في هذا الصباح ؟  
لم تنظرين الي نظرة الدهش يا أماه ؟  
أنى متيقنة أنه لا يلتفت الى كوتي ، واعلم أنه سيختفي عن الانظار بعد لحظة  
عين وستقبل زفراء نايه القضي وحدها لتموت في أذني  
سيمر الامير الشاب أمام بابنا وأريد أن البس أخر ما عندي لهذه اللحظة  
أماه ، لقد مر الامير الشاب أمام بابنا وكانت أشعة الشمس تتلألأ فوق مركبته  
لقد سفرت ونزعت من جيدي عقد الياقوت ورميته تحت قدميه  
لم تنظرين الي يا أماه نظرة الاستغراب ؟

انني أعلم أنه لم يلتقط عقدي وأعرف أنه قد سحق تحت عجلات مركبته بعد  
ماترك بقعة حمراء فوق التراب ولم يفكر أحد أنه كان هديتي ولا لمن أهدي  
ولكن الامير الشاب قد مر أمام بابنا وقد نثرت في طريقه جواهر قلبي

— ١٥ —

أعدو كظلي المسك وقد نمل من شدي عطره فظل يجري في ظلام الغاب ،  
وكانت ليلة من ليالي أيار رقد هب النسيم من الجنوب . ضللت الطريق ونهت

وظللت أبحث عما لا أستطيع أن أجده وأعثر على مالا أبحث عنه  
وصعدت من قلبي صورة رغائبي فرأيتها ترقص أمام عيني  
لقد طار الجمال المتوهج وسولت لي نفسي أن أمسك به ففر وضلت الطريق  
انتي أبحث عما لا أستطيع أن أجده وأعثر على مالا أبحث عنه

- ٢٨ -

ان فظرك لحائر حزين يحاول أن يقف على ما يدور بخلد  
ان القمر يريد أيضاً أن يخرق اليم  
انك تعلمين أسرار حياتي ولم أخف عنك شيئاً ، فلم تجهلين كل شيء ؟  
لو كانت حياتي حجراً أميناً لسحقته مائة قطعة وعملت من هذه القطع عقداً  
أقلد به جيدك

ولو لم تكن حياتي إلا زهرة صغيرة فأنني أقتطفها من ساقها لازين بها شعرك ،  
ولكنها أيتها الحبيبة قلب وأين توجد أطرافه ؟ انك تجهلين حدود هذه المملكة  
بيد انك ملكتها

ولو لم يكن قلبي إلا لذة لرأيتك يزهر ابتساماً سعيداً ولاخترفته في لحظة  
ولو لم يكن إلا ألماً لذاب وتحول الى عبرات رائقة ينعكس فيها بصمت أسرار  
ولكنه هيام باحبيبتى العزيزة . لذاته وأتعا به لا تحدد وفقره وغناه دائماً  
انه لا أقرب اليك من حياتك ولكن هيات أن تعرفيه حق المعرفة .

- ٢٩ -

تكلمي أيتها الحبيبة اعمدي الى الكلمات التي تترمين بها  
الليل مظلم وقد غابت النجوم في السحب والرياح تقتهد خلال الاوراق  
سأحل شعري وستغمرني عباتي الزرقاء بلبيلها وسأضم رأسك الى صدري  
وهناك في هذه العزلة اللطيفة أناجي فؤادك وسأغض عيني وأنا مصغ دون أن انظر  
الى وجهك

وحينما ينتهي كلامك نبقى سكوتا في اطمئنان ودعة . والاشجار وحدها  
تهمس بنجواها في حنادس الظلمات  
سيكمد لون الليل وسيولد النهار ونحن ننظر في عيني بعضنا البعض وسنتم  
طريقينا المختلفتين  
تكلمي أيتها الحبيبة وأعيدى لي الكلمات التي تترمين بها .

— ٣٦ —

عمم قائلا : ارفعي ناظريك يا حبيبتني  
فزجرته مجيبة . اذهب لشأنك ! ولكنه لم يبرح مكانه .  
جلس أمامي وأخذ يدي بين يديه فقلت له دعني وشأني ! ولكنه لم يذهب  
قرب وجهه من وجهي فنظرت اليه قائلا . واخجله ! ولكنه لم يبد  
أية حركة .  
مست شفتاه خدي فارتعدت وقلت . لقد غلوت في جراتك ! ولكنه  
لم ينجعل

وضع زهرة في شعري فقلت له هيهات هيهات لما تبغي ! ولكنه لم يغضب  
أخذ عقد الزهر من عنقي ثم ذهب . بكيت وسألت قلبي : هلا يعود !

— ٦٣ —

هل انت مضطر لمواصلة سفرك الآن أيها السائح  
الليل ساكن وقد ارحى الظلام سدوله على الغاب  
تنالاً المصابيح فوق شرفتنا والازهار نضرة ولم تكمد تستيقظ عيون الشباب  
هل ازف وقت رحيلك ؟ هل انت مضطر لمواصلة سفرك الآن أيها السائح ؟  
لم نخط قدميك باذرنا متوسلين والابواب مفتوحة ، وجوادك مسرج ينتظرك  
بجانب السياج  
لم تسول لنا النفس ان نحجزك الا باغانينا وقد حاولت انظارنا وحدها ان  
تؤخر سفرك

أيها الراحل اننا عاجزون عن ان نبقيك بجانبنا اذ ليس لنا غير عبراتنا  
أية نار مقدسة تلمع في عينيك ؟ وأية حى اضطراب تجرى في دمك ؟ وأي  
نداء من الظلمات يحرضك ؟

ما الذى قرأته في صفحة نجوم السماء من عزائم السحر الهائلة حتى يتسرب  
الليل خفية الى فؤادك وهو الرسول الصامت الغريب ؟  
وان كنت تحتقر الاجتماعات المتهائلة وترغب ان تخلص الى الدعة والسكون أيها  
القلب المتعب فانتا نطفيء مصابيحنا ونسكت كناراتنا  
وسنجلس هادئين ساكنين في الليل تحت حفيف اوراق الاشجار وسيرمي  
القمر اشعته الضئيلة على كوتك  
أيها السائح أى شيطان من شياطين الارق ساطه عليك قلب الليل حتى مسك؟  
أقاصيص تاجور

نبغ تاجور في الاقاصيص حتى أصبح يضارع أكبر الكتاب في هذا النوع  
مثل «دوديه وجي دو موباسان» ان لم يفهما ، ولقد جمع في كتاباته بين رشيق  
الاسلوب وظريف النكات والفكاهات وبلاغة التعبير وسمو الافكار وفخامة  
المغزى الاجتماعي والادبي

انه يهتم كل الاهتمام بما أوتي من بلاغة وشعر وفلسفة بالمرأة الهندية ولا سيما  
الايامى إذ هن أتعس وأشقى نساء العالم ، لانه لايجوز لهن أن يتزوجن ثانية وليس  
لهن بيت ولا ملك .

وقد خصص إحدى رواياته المسماة « الاصدقاء » للمرأة اذ عليها يدور محور  
الرواية وسيرى القراء في إحدى الاقصوصتين اللتين اخترناهما وعنوانها « جارتى  
الجميلة » كيف صور الارملة وكيف رفعها الى أعلى ذروة واسغ عليها من آيات  
الجمال والرشاقة بأسلوب ساحر وقدرة نادرة

جارتى الجميلة

ان الشعور الذي نفختني به الارملة الفتية التي كانت متوطنة بجواري ما كان

الأشهر اجلال واحترام وهذا ما كنت أؤكد له لأصحابي وأعيده لهم حتى ان صديقي الحميم (نابان) كان يجهل حقيقة حالتي النفسية كنت أشعر بشيء من الكبرياء لأنني استطعت ان أحفظ أهوائي نقية طاهرة بان دفتها في سويداء قلبي

كانت جارتني أشبه بزهرة (السفالي) بللها قطر الندى ثم سقطت قبل الاوان . كانت متناهية في الطهر والنقاء وضياء الجمال فلذلك ما كانت تليق للزواج بل كانت حرة بان تكرر للقاء الخالق .

عاودني هواي العنيف كسيل جارف دوى من شاحق بدلا من أن يستكن ويحمد وطفق يبحث له عن مخرج يشقه

فلذلك بذلت الجهد في التعبير عن تأثري وعواطفني بالقريض ولكن خانني القلم ورفض ان يدنس حبي

شاءت المصادفات في الوقت نفسه ان مني صديقي ( نابان ) بهوس القريض اذ فاجأه بعنف كززال الارض

ولما كانت هذه هي النوبة الاولى التي أصابت هذا الشاب المسكين لم يجد عنده استعداداً لمعالجة النظم والقوافي ولم يستطع أن يثبت امام هذه الصدمة وخضع لهذا السحر خضوع الارمل لزوجته الثانية . وفكرنا بان في الاستعانة بي لاغائته وعالج الموضوع القديم الابدي الذي يظن دائماً جديداً وهو اهداء قصائده لحبيبتة فسألته بعد ما صفعته بلطف على كتفه . « من تكون اذن أيها البطل؟ »

فاجابني مبتسماً : « انني لا اعرفها »

وقد وجب على ان اعترف بانني وجدت سلوانا عظيماً لمحيثي اعون صديقي وكنت أشبه بدجاجة افروخت بيضة بطة واستنفدت كل هواي المتأجج خادمة لنزعات (نابان) الشعرية وتفتحت نظمه الرث واشعلت معانيه حتى أصبح أغلب كل قصيدة من قصائده من عملي الخاص

فصاح (نابان) وقد تملكه الدهش : هذا بالضبط ما كنت أريده وما لا يستطيع

أن أعبر عنه . وكيف توصلت إليها الشيطان للتعبير عن جميع هذه العواطف اللطيفة؟ فأجبتة اجابة شاعر. « يكفي لذلك خيالي وانك لا تجهل أن الحقيقة عاممة وان الخيال وحده ينجز الفصاحة والحقيقة هي الصخرة التي تنف سيل العواطف ولكن الخيال يعرف كيف يشق له في هذه الصفاة دربا يمر منه »

تلعثم نابان المسكين من الحيرة وأجاب : « نعم نعم لقد فهمت » ثم تتم بعد ان فكر لحظة « نعم نعم لقد صدق ظنك »

وقد بينت فيما سرده أن حبي كان به عاطفة اجلال واحترام تمنعني عن التعبير عنه بالفاظ . ولما أصبح نابان بمثابة ستر لي لم أجد عائقا أمامي لنزعات قلبي وتأجيج لهيب صادق من هذه القصائد التي نظمت بتفويض من صديقي قال ( نابان ) في آونة كان فيها مطمئن البال مرهف الذهن « ان هذا القريض مما جادت به قريحتك فدعني أنشره باسمك »

— يا للحاقة ! أنه يخصك يا صديقي العزيز ولم يتجاوز عملي غير التنقيح وبهذه الوسيلة أعتقد شيئا فشيئا حتى صدق ما قلته ولا أنكر ان شعوري كان اقرب الى شعور الفلكي الذي يقلب طرفيه في السماء اذ طفقت أوجه ناظري مثله صوب كوة بيت جارني . ولقد وافقت نظرتي المختلصة جزاءها اللطيف من مشاهدة من كانت تتطلع اليها وكان أقل شعاع يصدر من هذا الضوء النقي يهديء ويظهر في لحظة ما كان يكمه تأثري مما يعكر أو يشين

وفي ذات يوم تملكني الدهش فهل أستطيع أن اصدق عيني ؟ اذ هاجت بعد ظهر يوم حار من أيام الصيف ريح الشمال الغربية وهي عنيفة لا نظام لها وظهرت مهددة تبعثها سحب مكفهرة تكاثفت في الافق فنهضت جارني الجميلة فحدق في هذا الجو المضيء الغريب المزعج وتقلب ناظريها في هذا الفضاء المقفر .

وفي هذا التعبير البعيد المنبعث من عينيها اللامعتين السوداوين قد استنبطت عالما عظما من الانتظار اليأس ! فيالبركان نأثر تحت سكون الاشعة المتلألئة من هذا السكوك ! واأسفاه ان هذا النظر المشبع بآماني غير محدودة ، ومن يخيل انه

يحاول أن يطير خلال السحب بعنفوان الطير وخفته وما كان في الحقيقة ليمحس  
عن السماء بل كأنه يمحس له عن ملجأ لبعض القلوب الانسانية  
ولما قرأت الاهواء المهمة المتصاعدة من هذه النظرات كظمت عواطفى بكل  
جهد واصبحت لا يقنعني أن اصحح رديء القريض وطمعت نفسى الى  
الظهور باعمال عظيمة جليلة وصممت في النهاية أن اكرس نفسى لتشجيع الزواج  
الثاني للارامل ولا اكتفى بنشر افكارى هذه بالكلام والقلم بل بنفوذ المال أيضاً  
وقد ناقشني نابان في هذه الفكرة قائلاً :

« ان المزوجة الدائمة تشمل في نفسها فكرة طهر وسلام لهما ورواء وديعه  
تمثل الاماكن الصامته التي ينيرها باشعته المحتضرة ضوء القمر الضئيل في ليلته  
الحادية عشرة . وهلا يكفى الزواج الثاني لتدمير هذا الجمال الرباني ؟ ويجب أن  
أعترف بان هذا الشكل من سرعة التأثير كثيراً ماضياً قفنى . وفي أيام القحط كان  
رجل سمين ضخم يشدق بمسائل الغذاء بلهجة احتقار وازدراء ناصحاً من يموت  
جوعاً بان يتغذى باريج الزهر وغناء الطير فماذا تقول في رجل مثل هذا ؟ فسبقته  
بالجواب بعنف : « اصح لي يا نابان فقد تكون البيوت المتهمة للفنان شيئاً يثير اعجابه  
واسكن المنازل لم تشيد لاسباب الجمال ويجب أن تستمر عامرة بأهلها وتدوم فيها  
يد الاصلاح والعناية دون اهتمام بسرعة تأثير الفنانين

ومنذ هنيهة كنت تحبذ الترميل وتجعله شيئاً خيالياً ومثلاً أعلا واسكن يلزمك  
أن تفهم أن تحت هذا الترميل يختبئ احساس القلب الانساني الذي يئن ويصعد  
الزفرات من الالم والرغبة .

كنت واثقاً بأنى سأقنع نابان بصعوبة فأفعمت مناقشتى بالاهواء والعواطف  
ثم دهشت حينما لمحت نابان وهو يزفر زفرة ذاهل في أمانيه وانتهى الامر به بان  
وافقنى على آرائى بعد حديثي القصير ، ورأيت أن أستغنى عن النتيجة المفحمة التي  
كنت أريد أن القيها عليه !

مضى على حوارنا أسبوع فاقبل نابان ليراني وينبتي بانني اذا شددت أزره  
يكون في طبيعة الحركة بان يبني على أرملة  
طرت فرحاً وعانت نابان بحنو عنيف ووعده بان أمده بما يلزمه من الفتود  
الكافية لمشروعه ثم سررد لي وقائعه  
ولقد علمت أن المرأة التي أحبها نابان لم تكن شيئاً خيالياً وأنه فتن أيضاً من  
زمن بأرملة دون أن يفضى بسرّه لاي انسان  
ولقد وقعت المجلات التي نشرت قصائد نابان — وبالأصح قصائدي — في  
يد الحسناء ولم يكن الشعر عديم الجدوى  
وقد وضح لي نابان خبره بالتفصيل وقال لي أنه سولت له نفسه لا بعد شأو  
حتى أنه لم يبحث عما اذا كانت الارملة تجيد القواء وأرسل المجلات لآخي الحبيبة  
وأخفى اسم المرسل وكان ذلك منه استرسالاً لهوائه دون أمل  
وحيثما يضع العابد عقود الزهر فوق أقدام ربة فليس من شأنه أن يعرف أنها  
كانت تعلم أو تجهل قربانه أو كانت تقبله أو ترفضه  
وقد أفهمني نابان أنه ما كان يتبع شيئاً محدوداً ويبحث عن أخي الارملة  
وتوصل لان يتعرف به وكل ذى صلة بالمحبوبة يملك نفعا خاصاً للعاشق  
ثم اعتقب ذلك خبر مرض الاخ الذي طال وانتهى بالزيارة الاولى . وحيثما  
حضر صاحبنا تناولت المناقشة بالطبع قصائده ولم ينتج من ذلك اقتصار الجدل  
على الموضوع الذي خرج منه  
وفي اليوم الجديد الذي اقتنع فيه نابان يراهمني استجمع كل قواه لخطبة الارملة  
ولقد رفضت في أول الامر ولما استعان ببلاغتي واسعدتها دمعتان من عينيه سلمت  
الحسناء دون قيد ولا شرط . ولم ينقص الآن الا مبلغ من المال يستعين به ولى  
أمرها لقضاء ما يلزم

— فقلت لنابان : « ان ثروتى رهن اشارتك »

— فاجاب نابان : « ولكنني مضطر لان اعترف اليك بانه ستمر بضعة شهور

قبل أن اتوصل لتهمة أبي والحصول منه على نفقة . وطالما كان أمر النفقة معلقا  
فماذا نعمل لنعيش ؟

فحررت له حواله بما يلزمه من المال وقلت له خبرني الآن عن اسمها ولا  
تعتبرني مزاحا . واني اقسم لك اننى لا انظم شيئا عنها ولو فرضنا وكتبت شيئا  
من الشعر فتميقن اننى لا ارسله لاختيها بل أوجهه اليك وحدك

— فأجاب نابان : لا تكن غيبا فاني ما أخفيت عنك اسمها خشية من مزاحمتك  
والحقيقة أن فكرة الركون الى طرق غير مألوفة أثارت اضطرابها . والآن وقد تم  
كل شيء كما تشتهي وتتمنى فقد برح الخفاء وما هي إلا جارتك المتوطنة في  
المنزل رقم ١٩

فثار قلبي كمرجل من نحاس يوشك أن ينفجر واكتفيت بان قلت له « الم  
تبد اعتراضا على زوج ثان ؟ »

— فقال نابان مبتسما : ليس هذا وقته الآن .

— اذن فالفضل في هذا الانقلاب الغريب راجع الى القصائد وحدها

— فأجاب نابان : « هلا كانت قصائدي رديئة لهذا الحد ؟ »

— فاقسمت له كذبا

وليسكن على من تقع تبعة هذا الخنث ؟ عليه أم على نفسى ؟ أم على الحكمة الالهية  
وهذا لا يهمني فقد حلقت رغما من هذه الاعتبارات

### على ضفاف الكمنج

ان كنت تحب العصور السالفة فاجلس بنا فوق درجة سلم الشاطيء هذه  
وأعر أذنك لتلاطم اللجج

اننا نقرب من شهر ايلول وقد بلغ النهر غاية فيضانه ولم يبق من درجات سلم  
الشاطيء غير أربع تظهر من سطح الماء .

بلغ البساط السائل حافة الشواطىء فى المواضع المنخفضة وقد نمت هناك خوائل  
( الكاشو ) المتكاثفة محتمة بظلال المنجة وقد كون التيار العنيف في هذا المكان

زاوية وكشف عن ثلاثة اكوام من آجر طال عليه العهد في ألما كنه . وقد رست  
سفن الصيد وربطت في جندوع (البابلامس) وطلعت توارجها الامواج وقت الصباح  
وكانت المقصبة العظيمة التي كست الكثيب تجتذب اشعة الشمس حتى ازهرت  
قبل ان تدرك

وكانت السفن تمخر عباب النهر المشمس وهي منتفخة القلوع والكاهن البرهي  
يحمل آنيته المقدسة ويتهيأ الاستحمام ، وقد أقبلت النساء مثنى وثلاث يطلبن الماء  
واعتادت (كزم) أن تظهر في هذه الساعة على درجاب السلم لتستحم ولكن لم  
أرها في الصباح وقد أقبلت (يوبان وسوارنو) تنساء لان عن صديقتهما قائلين: «يظهر  
أنها أخذت الى دار زوجها في موطن يبعد عن هذا النهر وعماز بغرابة سكانه  
وتفاوت منازلها واختلاف طرقه» ثم عفت رسوم كرم من ذا كرتى : مر العام  
والنساء اللاتي يأتين للاستحمام لا يذكرنها إلا قليلا . وفي مساء يوم انتفضت من  
التأثر اذ عرفت قدمين طالما شاهدتهما ولكن والأسفاه قد أصبحتا عاطلتين من  
الخلخال وفقدتا رنقهما الموسيقية .

ترملت الفتاة وقيل أن زوجها دعى الى بلد بعيد وأنها لم تره إلا مرة أو اثنتين  
ثم حمل البريد نعيه ففقدته وهي في ربيعها الثامن عشر واحت من جبينها علامة  
الزواج الحمراء وتجردت ذراعها من أساورها ثم ذهبت الى بيت أهلها على ضفة  
الكنج ولم تجد غير قليل من صويحبائها القديمت وقد تزوجت «يوبان وسوارنو»  
ثم سافرت ولم تبق غير «سرات» التي ثبت أنها ستزوج للمرة الثانية في شهر ديسمبر  
وفي وقت هطول الامطار وازدياد مياه الكنج كان جمال «كزم» يزدهي  
يوما فيوما حتى اشرق ولكن ثيابها السوداء ووجهها الكثيب وحالتها الهائلة قد  
ضربت بحجاب على نظرة شبابها وأخفته كما يحجب الضباب نظر الناس

وقد مر على هذا العهد عشر سنين دون أن يلحظ أحد نمو «كزم» وفي  
صبيحة يوم بعد هذه الاعوام الطويلة وفي نفس هذا المناخ من اواخر شهر ايلول  
حضر كاهن فتي عظيم رائق اللون من جهة لاتعلم لياتجي ، لمعبد (سيفا) أمام دارى

وانتشر خبره بسرعة في نفس القرية فتركت النساء جزارهن وذهبن ليعجبن  
القديس . ازدادت الجماعات يوماً عن يوم وذاعت شهرة الكاهن بسرعة بين  
النساء

وكان الكاهن يقرأ تارة (الهاجبات) وطوراً يشرح كتاب (جيتا) أو يعظ  
في المعبد مستقيماً مواعظه من الكتب المقدسة وكان البعض يستمد نصائحه  
والآخر سحره أو طبه

مرت الشهور وأقبل نيسان وجاء أوان كسوف الشمس وكثر المستحمون  
في الكنج وأنشئت سوق تحت خنايل (البابلام) وشوهد بين الحجاج القادمين  
لتحية الكاهن سرب من نساء القرية التي تزوجت فيها « كزم »

كان الكاهن في صباح يوم جالساً على إحدى درجات سلم الشاطيء وهو  
يدير سبخته في يده وكان ضمن الحجاج امرأة تشير الى صاحباتها قائلة « ان هذا  
الكاهن هو زوج صاحبتنا كزم » ثم أزاحت التي بجانبها قناعها قليلاً قائلة : « انه  
هو بذاته وهو أصغر أولاد أسرة « شياترجو » التي تقطن قرينتنا » وقالت ثالثة  
وهي تنظم قناعها : أن جبينه كجبينه وأنفه كافه وعينه كعينيه » وقالت أخرى  
دون أن تلقى نظرة على الكاهن وقد حركت جرمها في الماء وهي تنهد : « وأستغاه  
ان هذا الفتى لن يعود أبداً وواحسرتاه على كزم ! »

ولاحظت أخرى قائلة . « انه لم يكن طويل اللاحية مثله » وقالت غيرها :  
« لم يكن هزيلاً مثله » وقالت أخرى : « يظهر انه كان اصغر سناً » واستمرت المناقشة  
بهذا الشكل ثم انقطعت

وفي ليلة تم البدر أقبلت « كزم » وجلست على مقربة من الماء فوق الدرجة  
العليا من سلم الشاطيء فوق ظلالها على وكنا وحدنا على حافة موضع الاستحمام وقد  
صاح حولنا الجندب وسكنت نواقيس المعبد وخفتت اصوات الامواج عن ذي  
قبل متبهة الاختفاء في الخنايل التي لا يحققها النظر من الضفة المقابلة كذكرى  
الصوت ولعلت اشعة القمر فوق مياه الكنج السوداء ومالت في اتجاه منبع النهر

ظلال خيالية هائلة على السياج والخائل كما مالت على باب المعبد وحوض الماء والنخيل. وكانت الخفافيش تتأرجح فوق أغصان « الشكيم » بينما ينتشر على مقربة من المنازل عواء أبناء آوى ثم لا يلبث أن يستحوذ عليه السكون

خرج الكاهن من المعبد بخطوات متثاقلة ونزل بعض درجات من مكان الاستحمام فلحظ امرأة وحدها وتبهاً اللابتعاد حينما رفعت كزم رأسها وادارتها فنزح قناعها وضاء القمر وجهها

حلفت بومة فوق رأسها ثم صاحت فافشعرت ولما اطمأن بالها نظمت قناعها ثم وقفت وقفة احترام وخشوع أمام الكاهن فبارك عليها ثم قال لها من أنت فاجابته ان اسمي كزم وفي هذه الليلة لم يتبادلا كلاما غير هذا ثم سارت ببطء الى منزلها وكان على مقربة من هذا المكان ولكن الكاهن لبث مكانه فوق السلم دون حراك ساعات طوالا وفي النهاية حينما غرب القمر وسقط ظل الكاهن أمامه هب ودخل المعبد

ومن هذه الآونة رأيت كزم آتية كل يوم ومائلة بين يديه باجلال وخشوع وكانت تجلس في ركن لتستمع منه شرح الكتب المقدسة وكان يدعوها اليه بعد الانتهاء من صلاة الصباح ويحادثها في مسائل الدين ولكنها ما كانت تستطيع ان تفهم كل ما يقوله بل كانت تصغي اليه بكل دقة وكانت تساعد في خدمة المعبد وتسارع في العبادة وتقتطف الازهار لثزين بها « بوجا » وتحمل الماء من الكنجج لغسل ارض المعبد

أصبح الشتاء على وشك الرحيل واستمر الهواء بارداً. وفي بعض الاحيان قبيل المساء يهب نسيم الربيع الحار فجأة من الجنوب وتنفارق السماء شكلها الشتوى و كان يسمع من جديد صوت المزامير والموسيقى من القرية بعد السكوت الطويل وسرح الملاحون سفنهم ماخوة الماء وكانوا يقفون التعجيف ليفشدوا أغالي « كريشنا » وقصارى القول كان كل شيء يبشر بمظاهر الربيع واقباله

وفي هذه الاثناء لم أشاهد « كزم » وقد اختفت من أيام ولم تظهر في المبد  
ولا في مكان الاستحمام ولا أمام الكاهن

ولقد جهات مامر وقتئذ وبعد قليل التقى الاثنان فوق سلم الشاطيء

سألته « كزم » وقد نكست رأسها غاضة طرفها . . هل دعوتني ياسيدي ؟

— نعم . لم انقطعت ولاي سبب أهملت منذ أيام خدمة أربابك؟ فالترمت الصمت

— خبريني عن فكرتك دون أن تسكتني شيئاً . ثم أدارت وجهها قليلا

وأجابت : « انني خاطئة ياسيدي وقد أهملت واجب العبادة » فاجابها الكاهن :

« انني أعلم يا « كزم » أن نفسك قريسة الاضطراب والحيرة » فأخذتها هزة خفيفة

ثم كشفت وجهها وجلست تحت قدمي الكاهن وأهمرت عبراتها كالوابل فتقهقر

الكاهن قليلا ثم قال لها : « أنبئني عما يجول في فؤادك أرشدك سبيل السلام »

فاجابت بلهجة ذات عقيدة ثابتة وكلمات منقطعة : « ان سمحت تكلمت ولكنني

اخشى ألا أجيد التعبير بوضوح وانك بلا ريب ياسيدي قد حزرت كل شيء .

أنني أحببت انسانا حبا يقرب من العبادة وكنت أحله واحترمه ولقد فاض قلبي

بالسعادة والهناء حينما انقطعت لاتمام هذه الشعائر .

ولقد رأيت في منامي معبود نفسي جالسا في بستان قابضا بشدة بيدسراه على

يمناى متممالي في أذني بكلمات ملؤها الحب . ولم أجد غرابة في هذا المنظر . زال

الحلم واستمر تأثيره وفي الغد حينما وقعت عيناي عليه ظهر لي بحالة غير التي كنت

اعلمها فيه واستمرت صورة الرؤيا في مطاردتي واستحوذ على الرعب وسوات لي

نفسي الهرب الى مكان قصي ولكن الصورة ما فتئت مرسمة في ذهني ومن هذا

الوقت لم تعرف نفسي السلام واصبح كل شيء من نفسي غامضا مبهما

وبينما هي تمسح الدموع من عينيها شاهدت الكاهن يدق حجر السلم برجله

اليمني بعنف وحينما انتهت من حديثها سأها

— حدثيني عن رأيته في حلمك فاجابت اجابة توسل ويدها مضمومتان :

« لا أستطيع »

فألح عليها قائلاً : « يجب عليك ان تعترفي لي بكل شيء » ثم لوت يديها وقالت له : « أتريد ذلك ؟ » فأجاب : « هذا واجب عليك » فصاحت قائلة : « ما كان الا انت يا سيدي » وهوت على الحجر تصعد الزفرات . ولما عادت الى وعيها واستطاعت الجلوس أجابها الكاهن برفق وصوت عذب : « سأبارح هذه المواطن الليلة ولن ترينني عوض واعلمي اننى كاهن ولا أخص هذا العالم ويجب عليك ان تنسيننى » فأجابت بصوت خافت : « سيتم ما تريد يا سيدي ثم قال لها الكاهن : ( استودعك الله ) ثم انحنى كزعم دون ان تنبس ببنت شفة ونفضت غبار قدميه ومسحت به رأسها ثم غادر القرية هذا الرجل الصالح

طلع القمر واعتم الليل فسمعت ارتطام الامواج وهاجت الرياح العنيفة في الظلمات كأنها تريد أن تطرد الكواكب من سمائها

#### الحساب الساعى

هذا النابغة الذي سأحدثك عنه كان ثاني النيرين وأحد الفرقيدين في عصره اذ لم يكن لهما ثالث يجاريهما في حلبة القريض ، او يدانيهما في مضمار الادب . ولقد خان الحظ شاعرنا في عصرنا هذا حتى أصبح نسياً منسياً لدى الجمهور ولو انه معروف بين الخاصة من الطبقة الراقية في الادب . ولقد جفت عليه المطابع المصرية اذ لم تنشر ديوانه ، وطبعته مطبعة الجوائب بالاسكندرية مع مجموعة كبيرة أصبحت نادرة جداً .

خدم الحظ البهاء زهير فطبع ديوانه في أوروبا ومصر عدة طبعات بيع بعضها بقرشين حتى انتشر وحفظ منه الفقهاء والمثدودون والمغنون كثيراً وغنوه في الحفلات حتى شاع وملاً الاصقاع مع انه لا يذكر بجانب شاعرنا المترجم به

وكان ثاني النيرين العالم العلامة والشاعر المجيد الذي ضرب بسهم في مختلف العلوم والفنون الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر . وقد ارحل عن مصر

وقت هجوم الفرنسيين عليها وتجهول بين ربوع الشام واشقودره ، ولما آب من رحلته مازج المترجم به وخالطه ، ورافقه وواقفه ، فكانا كثيراً ما يبيتان معا ويقطعان الليل باحاديث أرق من نسيم السحر ، وكثيراً ما كانا يتنادمان في دار صديقههما الحميم الوفي الشيخ الجبرتي ويطرحان التكلف ثم يتعاجزان أطراف الكلام فيجولان في كل فن جولة ، وكانت تجرى بينهما منادات أرق من زهر الرياض ، وافتك بالعقول من الحدق المراض ، وهما حينئذ فريدا عصرهما ، ووحيدا مصرهما لم يعززا بثالث في ذلك الوقت

كان والد المترجم به نجاراً ولما راجت صناعته ففتح مخزناً لبيع الاخشاب بجانب تمكية الكاشني بالقرب من باب زويلة ، وارسل ابنه الى الكتاب فحفظ القرآن ، ثم طمحت نفسه الى طلب العلم فذهب الى الازهر ولازم حضور السيد على المقدسي وغيره من أفاضل الوقت فأنجب في فقه الشافعية والمعقول بقدر الحاجة ، وشغف بمطالعة الادب والتاريخ والتصوف حتى أصبح نادرة عصره في المحاضرات والمحاورات واستحضر المناسبات

ولدمائة أخلاقه ، ولطف سجاياه ، وكرم شمائله ، وخفة روحه صحبه كثير من أرباب المظاهر والرؤساء والكتاب والامراء وكبار التجار يقول لنا الجبرتي ان شاعرنا السيد الشريف أبا الحسن اسماعيل بن سعد ابن اسماعيل الوهي الحسيني الشافعي كانت له قوة استحضر في ابداء المناسبات حسبما تقتضيه حال المجلس ، فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور ويأسر له بلطف سمره ومنادته الجذابة الخلافة

ولما دخل الفرنسيون مصر عين المترجم به محرراً لتاريخ حوادث الديوان وقرر له الجنرال جاك منو في كل شهر سبعة آلاف نصف فضة

علق المترجم به شاباً من رؤساء كتاب الفرنسيين وكان جميل الصورة لطيف الطبع عالماً ببعض العلوم العربية ويحفظ كثيراً من الشعر ، فلتلك المجانسة في الميول مال كل منهما الى الآخر حتى كان لا يقدر احدهما على مفارقة صاحبه ، فكان

المترجم به تارة يذهب الى داره وطورا يزوره هو ويقع بينهما من لطيف المحاورة ما يمتعجب منه ، وهو الذي نفح الشاعر بهذه النفحات العظيمة والغزل الفائق ولم يزل المترجم به على حالته ورقته ولطافته مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة والولع بمعالي الامور والتكسب وكثرة الانفاق ، وسكنى الدور الواسعة وكان له صديق يسمى أحمد العطار بباب الفتوح توفى فتزوج شاعرا امرأته وهي نصف ، وأقام معها نحو ثلاثين سنة ولها ولد صغير من زوجها المتوفى فتبناه ورباه ورفهه بالملابس وأشفق عليه اشفاق والد بولده ، ولما ترعرع زوجه وأقام له مهرجانا فخما ، وبعد سنة من زواجه مرض اشهرا انفق فيها كثير من المال عليه ، ثم قضى الغلام نجه فجزع عليه جزعا شديدا وأقام له مأتما عظيما ، واختارت أمه دفنه بجامع الكردي بالحسينية ورتبت له رواتب وقراء واتخذت مسكنا ملاصقا لقبره اقامت به نحو الثلاثين سنة ، وهي مداومة على عمل الشريك والكعك بالعجمية والسكر وطبخ الاطعمة المقرئين والزائرين كل جمعة على الدوام ، وشاعرا نا طوع امرها في كل ما طلبته ، وكان كل ما وصل اليه من مال او كسب ينفقه عليها وعلى أقاربها وخدمها لا لذة له في ذلك حسية ولا معنوية . لانها في ذاتها عجوز شوهاء وهو نحيف ضعيف الحركة جداء ومرض بحصر البول مع الحرقه والتألم وطال عليه حتى لزم الفراش أياما ، ثم توفى في يوم السبت ثاني الحجة سنة ١٢٣٠ بمزانه الذي استأجره بدرب قرمز ، وصلى عليه في الازهر في مشهد حافل ودفن عند ابنه المذكور بجامع الكردي .

وقد اهتم الشيخ حسن العطار بجمع ديوان الخشاب في حياته سنة ١٢٢٧ لا عجا به الشديد برفته وبلاغته وسمو خياله ، أي قبل موته بثلاث سنين ، ويؤيد ذلك التاريخ الذي وضعه ناسخ الديوان محمد صالح الفضالي الواقعي المصري إذ انتهى من نسخه في يوم الاحد ١١ شوال سنة ١٢٢٧ . وقد عاش المترجم بعد جمع ديوانه ثلاث سنين ، ولا يبعد انه نظم فيها شيئا ليس بالقليل ، ولانه لم يترك عقباً امتدت يد الشتات الى نظمه الاخير .

لانعرف بالضبط التاريخ الذي بدأ فيه بمعالجة القريض وأقدم تاريخ في ديوانه سنة ١٢٠١ يؤرخ به ميلاد ابن أبي الانوار السادات ، ومن ذلك يعلم انه مكث يقرض الشعر أكثر من ثلاثين سنة

طرق الشاعر عدة أنواع من الشعر وهي الغزل والخزياب والمدح والثناء والتهاني. والوصف والموشحات والادوار . وان القينا نظرة عامة في شعره وجدناه صادق الوصف منسجم السياق رشيق الأسلوب يحسن اختيار الالفاظ ، موسيقى الاوزان ، خفيف الروح فخم التراكيب ، مسائل المعاني متصلها ، ولم نر في جميع ديوانه شيئاً من الهجو ، وهذا مما يدل على سمو أخلاقه .

ولغزله المكانة الاولى ولا سيما ماقاله في صديقه الفرنسي الذي سبق الكلام عنه ، فانه يتأجج بعنيف العواطف والصراحة في القول ورقة التعبير ورشاقة الوصف . ومن أرق قوله فيه :

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| أدرها على زهر الكواكب والزهر | وأشراق ضوء البدر في صفحة النهر |
| وهات على نغم المثاني فعاطني  | على خدك المحمر حمراء كالجر     |
| وموهلج الكأس من ذهب الطلا    | وخضب بناني من سنا الراح بالثر  |
| وهاك عقوداً من لآلي حبابها   | فم الكأس عنها قد تبسم بالبشر   |
| الى أن قال في آخر القصيدة .  |                                |

|                             |                                 |
|-----------------------------|---------------------------------|
| وفوق سنا ذاك الجبين غياهب   | من الشعر تبدو دونهما طلعة البدر |
| ولما وقفنا للوداع عشية      | وأمسى بروحي حين جد السرى يسري   |
| تباكي لتوديعي فابدى شقائقنا | مكالة من لؤلؤ الطل بالقطار      |
| وقال فيه أيضا :             |                                 |

|                                |                             |
|--------------------------------|-----------------------------|
| علقت لؤلؤي الثغر باسمه         | فيه خلعت عناري بل حلا نسكي  |
| ملكته الروح طوعاً ثم قلت له    | متى ازديارك لي أفديك من ملك |
| فقال لي وحميا الراح قد عقلت    | لسانه وهو يثنى الجيد من ضحك |
| اذغرا الفجر جيش الليل وأنهمزمت | منه عساكر ذاك الاسود الحلاك |

فجاءني وجبين الصبح مشرقة عليه من شفق آثار معترك  
في حلة من اديم الليل رصعها بمثل انجمه في قبة الفلك  
فقلت بدمراً به حفت نجوم دجى في حندس من ظلام الليل مختبك  
وافى وولى بعقل غير مختبل من الشراب وستر غير منتهك  
ومن أروع ما قال فيه موشحه الذي عارض فيه موشح الشيخ حسن العطار  
الذي مطلعته :

أما فؤادى فعنك ما انتقلا فلم تخيرت في الهوى بدلا (فاعجب)  
وهذا الموشح الذى يسيل رقة ورشاقة خمس ومرفل قال رحمه الله :  
يهتز كالغصن ماس معتدلا اطالع بدمراً عليه قد سدلا (غريب)

ريم يعيد الاسود بالدمعج

يسطو بسيف الاحاظ في المهج

يزهو لعيني بظهور بهج

فكيف أبغى بحبه بدلا وليس لى عنه جار أو عدلا (مهرب)

وضاح نور الجبين اباجه

وردي خد زها توهجه

اليه شوقي يزيد لاعجه

فلمست أصفى لعاذل عدلا وعنه والله لا أتوب ولا (أرغب)

الى شهى الرضاب واللعس

يزرى غصون الرياض بالميس

يختطف الالب خطف مختلس

نويل الحضر يفتني أسلا من رام يوما اليه أن يصلا (بحجب)

قطع قلبي بحبه اربا

وصد عني فلم أنل أربا

أواه أواه منه واحربا !

أصلي فؤادي نحوه وقلا وذبت وجداً به أولى قتلا (فاعجب)  
مجوهر الشجر يلفظ الدررا  
يدمي فؤادي ونحوه نظرا  
علم عيني البكاء والسهرا  
فأنهل دمي كالويل وأنهملا بالدم خدي عند ما هطلا (خضب)  
مولاي رفقا بصبك الدنف  
قد كنت اقضي عليك من أسف  
تلاف روعي فقد دنا تلفي  
من ريقك العذب أروني نهلا وهات كأسى وطف بها ثملا (واشرب)  
راحا سناها يضيء كاللهب  
تبسم عن رطب لؤلؤ الحب  
عطر مازح تغرك الشنب  
بين رياض ومسمع غزلا على المشائي اذا شدا رملا (اطرب)  
والورق من حسن صوتها الغرد  
تميل فضب الرياض بالميد  
وتوج الدوح لؤلؤ البرد  
تاجاً من الدر نظمه كمالا فكن من اللهو سالكا سبلا (وادأب)  
ومن درر نظمه خويته :

ادر السلاف على صدى الالحان ودع العذول بجهله يالحاني  
واستجل بكر الراح في ظل الربى بين الرياض تزف والعيدان  
شمس لها من فوق خد مديرها شفق الصباح اذا بدا الفجران  
نور ولكن من سنا لألائها في الحد نار فؤادها الوهان  
نار لها في وجنتيه وكفه لهب به اعشوا الى النيران  
من كف معتدل القوام كانه قمر يلوح على غصين البان

نشوان من سكر الشباب يهزه      من خمر فيه وراحه سكران  
ومنهف ماء الحياء بوجهه      يزرى بهي شقائق النعمان  
الى أن قال :

ليث العرين له تلفت جوذر      يفثر عن در على مرجان  
متلاي، تحت الشعور جبينه      كحسامه في غيب الميدان  
عربي لفظ اعجمي المنتمي      هندي لحظ صائل بمان  
غصب النجوم فصاغهن اسنة      وفيه نظمها عمود جمان  
والقصيدة طويلة والجزء الغزلي فيها يرجع الى صديقه الفرنسي . ومن الطف  
قوله قصيدته التي يمدح بها السادات

وصلتك واضحة العجين المسفر      من بعد طول تمنع وتستر  
قامت فخالست ازديارك قومها      وتربصت سحرا هجوع السمر  
وانت ترنج كالغصين اماله      نفس الصبا وتجر فضل المثر  
هيفاء ينجل لحظها وقوامها      يبض الصفاح وكل لدن اسمر  
ما انس لا أنسى ليالي وصلها      بين الرياض وحسن نغم المزه  
الى أن قال :

من سادة ورثوا النبي وجاهدوا      في دينه حق الجهاد الاكبر  
من خير بيت من ذؤابة هاشم      من معشر أكرم به من معشر  
والقصيدة طويلة .

ومن أروع شعره قصيدة فقد مسودتها وراجعها فيها الشيخ حسن العطار فذكر  
له منها أحد عشر بيتاً من وسطها ونسى الشاعر مطلعها وآخرها

ولرب ليل قد أبيت بجنجه      أطوى هضاب فدافد ووهاد  
بأغر أجرد ضامر لكنه      جلد العزائم عند كل جلاد  
متعود وطء الاسنة في الوغي      متجشما في الروع هول طراد  
ظن السيوف جداولاً وعوامل      المران أغصان النقا المياد

الى ان قال

مقلدا عوض السيوف عزائي متسر بلا بدل الدروع فؤادى  
حتى بلغت أخت الساحة والندى وابن السراة السادة الاجواد  
لقد فات الجبرتي أن يخبرنا عن ارتباط شاعرنا بعصر المماليك قبل دخول  
الفرنسيين وفرة الاربع السنين التي تولى الحكم فيها ولاية الاتراك والعصر الذي  
عاشه في عهد ساكن العجنان محمد علي باشا  
المترجم به من النثر بعض مراسلات وتقاريط مسجعة كمادة أهل عصره  
رحمه الله رحمة واسعة وألهم المصريين تخليد ذكره واعلاء شأنه .

### الاميرة نازلي فاضل

أصبحت أيها القصر الشامخ قاعاً صفصفاً وقد خيمت عليك الوحشة  
والسكابة وكنمت أنفاس نسيم صباك بعد ما كان مروحا فوقك يعبث بافنان  
ايك احتضنك واطلك

أكد الحزن عنادل كانت تصدح متلهة فوق الاغصان لا تفارقها اذ كانت  
تجد أمامها أقواتها في كوى القصر فتطعم منها وهي آمنة مطمئنة وربة القصر تنظر  
اليها وهي مفترية الثغر مستبشرة تماثل الزهرة في جمالها ورشاقها  
ما أقسى فؤادك أيها المنون وما أغلظ بكبك أما راعتك هذه المحاسن الفتانة  
والمواهب النادرة والذكاء الغريب؟ ألم تأخذك الشفقة والرحمة على مئات من بائسات  
وأيتام لم يكن لهم عائل غيرها ؟

لم ير الشرق سيدة تضارعها جمالا وكالا وافنة وذكاء ورقة وكرما وعلمها بأحوال  
الممالك وسياستها وعاداتها تحسن أغلب اللغات الافرنجية

ابنة ذاك الامير العجليل مصطفى باشا فاضل وهو أول من سعي وراء الدستور  
قبل مدحت باشا بعدة سنين و كان من وزراء السلطان عبد المجيد وقد نفى في باريس



الاميرة نازلي فاضل

بسبب بحته وراء الحرية . وقد أنبتتها نباتاً حسناً وكلف المعلمين الاكفاء بتربيتها وتهذيبها منذ صغرها فدرست العربية والتركية والفارسية والفرنسية والانجليزية والاطليانية والالمانية والبيانو والاشغال اليدوية تزوجت من صغرها من خليل باشا شريف اخي علي باشا شريف وقد خدم زوجها الدولة العلية فكان وزيرا للنافعة وسفيرا لها في لندرة وفيينا وباريس وبرلين وكانت تعيش معه في هذه العواصم وهي موضع الاعجاب والاحلال عند الغربيين لجمالها وتربيتها وآدابها السامية وفصاحة لسانها

ولقد دهش البرنس بسمارك من مواهبها النادرة . ومما يؤثر عن المركيز  
سالمبوري أنه حينما أرسل الى الاستانة السيد دروموند ولف أوصاه بان لا يعمل  
شيئاً بخصوص مصر قبل استشارة الاميرة نازلي فاضل .

كان السلطان عبد الحميد يجلها ويحترمها ويعطيها من الحرية في القول والحكم  
أمامه في محادثته ما لو نطق به أعظم عظيم لكان جزاؤه النفي  
وكان يمنحها كل شهر مائة وخمسين جنيهًا لما لها من المكانة عنده ولسابق  
خدمات أبيها وزوجها للدولة العلية

كانت تميل كل الميل الى محادثة كبار العقول وعظماء الامة ومنافستهم في  
الاحوال الاجتماعية والسياسية كما أنه ما من كاتب من كبار كتّاب الغربيين والسياسيين  
ومشاهيرهم وأمرائهم يعرج على مصر إلا ويقابلها ويستمد رأيها

يرى الداخل في بهوها الذي رتب على أجمل شكل وأحسن نسق أن جدرانها  
تسكاد تستره صور عظماء الدولة ومشاهير الرجال وكثير من الاسرة الخديوية  
وشائق الصور الزيتية اليدوية والاثاث الثمين وقد وضع على أجمل ذوق والنباتات  
الجميلة وقد زادته بهاء ورونقا وكان لها غرام عظيم بالازهار وكانت مدام ايجيرت  
ترسل لها كل يوم جميل الازهار واندرها فترتبه في الآنية البديعة الصنع حتى بلغ من  
فرط شغفها بها أنها حينما تستيقظ في الصباح تهزول اليها وتغير ماء آنيةها وترمي ما ذبل  
من الازهار ولا تدع واحدة من أتباعها تمد يدها اليها . وكانت تحب الموسيقى وتعد  
من أهر الموقوفات على البيانو

زارها المسيو دوجير فيل الكاتب الشهير في اوائل سنة ١٩٠٥ ليستمد بسديد  
آرائها ويستطلع فكرها لتكون نموذجاً في كتابه عن المرأة المصرية . وكان في  
حضرتهما المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وابن أخيها الامير حيدر  
باشا فاضل وهو أعظم شاعر في اللغة الفرنسية بمصر . وقد نشر كثيراً من شعره  
في ( الجورنال دو كير ) وألقى بعضاً من قصائده في نادى المدارس العليا

بهت الكاتب حينما رأى هذا النظام البديع وتلك الصور والاثاث الفاخر

والذوق السليم الذي نسقها والاربع للنمش الذي يتضوع من الازهار المبتوثة  
فوق المناضد والكوى . زاد دهشه حينما سمع منها قولاً فصيحاً والقاء يسحر السامع  
وذكاه متناهيها وآداباً سامية

دار بينهما الحديث على كثير من الامور وعظماء الرجال والتربية والاحوال  
الحاضرة وجاء في الحديث ذكر اليابان فتكلمت عنها الاميرة واسهبت في وصفها  
ورجالها حتى قال عنها الكاتب الشهير انها تعرفها أحسن منى . وقد قالت في عرض  
كلامها لو كان عندنا رجل مثل اوياما الذي اجله كل الاجلال لما وصلنا الى هذا  
الحد . وانتقل الحديث الى الموسيقى وغيرها والتعليم فقالت الاميرة كل الناس  
من كبير وحقير يتهافت على التعليم ولو أصبح الكل ذوى ألقاب وشهادات  
فان يمجّد الناس لهم خدما واتباعا فخير للفتى ان يتبع صناعة ابيه ويورثها منه ولولا  
ضيق المكان لسردنا المحادثة بنصها وفصها

توفى زوجها من أعوام طوال وعاشت بعده اكثر من عشرين سنة دون ان  
تزوج ثم سافقتها المقادير الى الاقتران بالسيد خليل بوحاجب من موظفي الحكومة  
التونسية وابن الشيخ سالم بوحاجب مفتى ديارها وشيخ جامع الزيتونة وهو  
مدرسة اسلامية

لم ترزق بعقب لا من زوجها الاول ولا الثاني الى أن توفيت وهي في العقد  
السادس ولم تقهر السنون لها جمالا . وقد كانت مثالا للبر ومواساة البائسين وكانت  
تنفق كل شهر مائتي جنيه لنحو مائة أسرة أخنى عليها الدهر والبعض منهم كان ينتمي  
لابيها او والديها وقصارى القول انها كانت فخر نساء الشرق وموضع اعجاب الغرب  
اللهم ارحم أم المحسنين واسكنها ارفع مكان من فراديس الجنان مع المتقين  
الابرار والصالحين الاخيار

## انشرح هانم شوقي

لم تكبد ترقاً عبراتنا وتسكن زفراننا على باحثة البادية حتى داهمنا مصاب اليم  
بموت كاتبه من فضليات المفكرات اللاتي كرسن حياتهن لترقية عالمنا النسائي  
والاخذ بناصر أمهات رزغن طويلا تحت كل كل الجهل وتخبطن في غياهب  
الجزعيلات والثرهات فقضين بالتمس والشقاء على انفسهن واولادهن وبهولتهن  
اختطفت المنية يوم الاثنين ٢٨ اكتوبر سنة ١٩١٨ السيدة انشرح هانم شوقي  
وهي في ريعان شبابها اذ لم تتجاوز السابعة والعشرين بعد ما عانت آلام المرض  
شهوراً طويلاً وقاست نكد الزمان وعناده احوالاً

أنبتها والدها المرحوم مصطفى بك شوقي وكان مستشاراً في محكمة الاستئناف  
نباتاً حسناً وهذب نفسها تهذيباً راقياً فأنتمت دراستها في مدرسة ( الراعي الصالح )  
الفرنسية

توفى والدها وهي صغيرة ولما بلغت العشرين زوجها أخوتها رجلاً جاهلاً غير  
كفو لها فلم تطق أن تعاشره أكثر من بضعة شهور رزقت منه في أثناءها غلاماً  
يبلغ الآن السادسة تلوح عليه مخائل ذكاه أمه  
فاجأتها المنية ولم تنل من دهرها أملاً من آمالها التي كانت تحيش في نفسها  
الكيرة

انقطعت للعلم بعد التخلص من بعلمها فكانت تقضي نصف النهار في دار  
الكتب السلطانية والنصف الآخر في بيتها للكتابة والتأليف

لم تكن كاتراهما من الكتابات مقتصرة على البحث السطحي في المسائيات  
بل كانت ملمة بجانب عظيم من الفلسفة وعلم النفس والاجتماع والتاريخ والتاريخ  
الطبيعي والآداب الغربية وكانت كاتبة قديرة مجيدة في اللغة الفرنسية وقد صنف  
خمس مؤلفات باللغة الفرنسية وهي: ١- رقص الاموات - مطبوع - ٢- روح الانسان  
هو مقدار من كرباء ومغناطيس الطبيعة المكتشفة - ٣- وحدة الدين واللغة والمنشأ

٤- تولد المركبات من الاختلاط أو النمو التدريجي للطبيعة - ٥ - مدة وجود روح الانسان وتأثير استدعاء الارواح والتنويم المغناطيسى  
ومن محاسن الفقيده أنها لم تر فى حياتها متبرجة أو متعطرة أو لابسة زياً يخالف الآداب بل كانت كالزاهده وكانت تقول لمن يعترض عليها من صديقاتها مامعناه:  
احمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله  
الافتى يحمل غنى ثقله

حاولت المبكية ان تنشىء مجلة تنشر فيها مبادئها وافكارها ولم تترك وسيلة حتى علمتها ولكن لم يسمح لها  
ان من يلقى نظرة على كتابها رقص الاموات يراه منظوياً على ادب جم وعواطف من نار وخيالات سامية وشعور نبيل يئن ويشفق لآلام الانسانية  
وانا نسرد للقراء جزءاً من نتيجة الكتاب ليكونوا على بينة مما وضعناه :  
«أيها النبل المحبوب ! يا من هو سميرى فى آلامى وسلوانى فى وحدتى اننى  
أجد صدى روحى حينما أنصت الى صوتك ، تنفخنى أحياناً نغمات لجعك الشجية  
بالسعادة والامل . ويخيل الى وقت اضطراب أمواجك الهائجة المزبدة وتكسرهما  
على الشواطىء انها تبكى ماضياً لن يعود الى الابد أو انها تحتج على مظالم الناس  
واستبدادهم

ليت شعري أنتسب هذه المظالم الى الانسان ام الى الحروب ؟  
أيها المستقبل الغامض الذى لا يسبر له غور !  
الى أى حظ تقودنا ؟ ترى تلك أيام حداد دائم . أو انك لتنتقم من هذه  
الاعوام القاسية تريد ان تحقق صورته التى تموج فى فكرنا ؟  
نستودعك ربا عادلاً يحزى همتك بالرحمة والرضوان وينيلك اضعاف ما أملت  
فى الدنيا من فسيح الجنان وان أمتك لن تنسى شاباً ذهب ضحية الاخلاص  
ولم يكافأ فى دنياه بلحظة من الهناء تنسيه آلامه أو تنيله بعض آماله

## نابغة شرفي مجهول

زرت ذات ليلة صديقاً من الزملاء فتبادلنا الحديث ثم تنقلنا في السمر فقال لي في عرض حديثه أنك لسعيد الحظ بهذه الزيارة إذ سيفد علينا بعد قليل أستاذي في البيان وهو نابغة شرقي مجهول ثابر على العمل بما أوتيته من حول وطول دون أن يطنطن أو يعلن عن نفسه بأساليب حب الشهرة الكاذبة المهروفة وستبتهج حينما تنجلي لك حقيقةته ويشنف سمعك بآيات سحره ونفحات خياله الفتانة

وبعد قليل طرق الباب فهرع رب البيت للملاقة الطارق فوقفت وعنتي مشرب نحو الباب فشاهدت رجلاً طويل القامة نحيلاً أسمر اللون قد وخطه الشيب يتوقد الفن من عينيه، وديع هادى، متواضع لا تمر الانانية على لسانه اكبرت الرجل واقعم فؤادي هيبة ووقاراً وطفقت انفرس فيه لاقرأ ما ارتسم على وجهه من مخائل النجاة ودلائل النبوغ وتهلل قلبي فرحاً وابتهاجاً اذ تحققت بعض أمانى وعثرت على حين غفلة على شيء مما كنت انشده فلا احده

وبعد التعارف وتبادل التحيات تجاذبنا أطراف الحديث ثم تفضل علينا ووقع لنا بعض قطع من تأليفه مثل النشيد الوطني العثماني وسنفصل للقراء خبره عند موضعه وقطعة أخرى أسمها (خمس عشرة تنويعاً على لحن مصري) وهذه القطعة عبارة عن المذهب في أغنية (حود من هنا تعال عندنا) وقد نسج عليه خمسة عشر تنويعاً مع ما استدعيه من الحاميات (والارموني) بشكل فني تعجب به الاذنان الشرقية والغربية وذوق سليم ورشاقة ساحرة فغرقت في هذه الآونة في لجة من الملهيات غمرت نفسي وجمالي وجعلتني كالذاهل من عجائب حلم من الاحلام اللذيذة التي لم تتحقق ثم رجونا منه ان يتكرم بتوقيع شيء من الموسيقى الغربية فوقع (الفالز كروماتيك) لجو دار الموسيقى الفرنسي وهو من القطع السريعة العويصة واعقبه (بسونات) البدر ليلة تمه لبتوفن فاطر بنا وأشجانا بفنه ورشاقة توقيعيه

شاب صفائي وبشرى شيء من الكدر والخجل من نفسي اذ صدر بجنى

( الموسيقى الشرقية ماضيها وحاضرها ونموها في المستقبل ) والذي طبعته جماعة اصدقاء الموسيقى بالاسكندرية خلواً من هذا النابغة فقلت لنفسي لقد علمت شيئاً وغابت عنك أشياء وماذا يقول القراء الذين يعرفون هذا النابغة ولي بعض العذر إذا جهلته لان قومنا لم يرغبوا أن يقدروه حق قدره ويساعدوه على انمام مشروعاته النافعة وينتفعوا بعلمه ويستعينوا به على ترقية موسيقانا الشرقية

طمحت نفسي لصداقة هذا النابغة فدعوته لتشريني بمنزلي حتى أجراً على زيارته وأطمع في استماع مؤلفاته ومشاهدة اختراعاته التي سمعت عنها أخيراً ثم ضرب لي موعداً لزيارته بمنزله وفي هذه الاثناء زفت الينا الجرائد خبر انعام الحكومة الفرنسية على نابغتنا هذا بوسام التعليم العام من درجة (أوفسييه) اعترافاً بفضلته في الموسيقى وقد سبق أن أنعمت عليه من بضع سنين بوسام الاكاديمي الفرنسية من درجة أوفسييه

تهللت لهذا النبأ وعظم الرجل في عيني وطققت اعد الموعد بالساعات لا تملئ بمشاهدته واستماع شائق مؤلفاته وبدائع نفحاته وأبتهج بالاصغاء لتاريخ حياته الفنية

ذهبت مع صديقي في الليلة التي حددها لنا فقلنا بالبشر والايانس وبعد تبادل التحية وتناول الشاي رجوت منه أن يشرف أسمعنا بشيء من مؤلفاته فذهب الى غرفة مجاورة ثم أقبل يحمل كراسات ضخمة هاجت تطلعي فحملت اليها حينما وضعها بين يدي وتفرست في عنوانها فاذا هي ( كنعان جوبانلري ) أى رعاة كنعان ثم قرأت تحت العنوان أوبه ره — اوج برده أي أوبرا ذات ثلاثة فصول فزاد دهشي وابتهاجي واجلالى لذاته وتصورت انني في حضرة فاجنر أوبتهوفن ثم تشجعت والتمست منه ان يسمعنا فاتحتها الموسيقية وقطعة من موسيقاها الساغونية وأخرى من أغانيها وأناشيدها ورقصها فوقها وكلنا آذان صاغية فما أحلى ماسمعناه وما أحسن ماخوت من بدائع الفن ورشاقة الاسلوب ورفيق العواطف وحاملي الاناشيد

ولقد أثار في نفسي أماني أخرى وهي ان ارى هذه الاوبرا تمثل امامي واسمع  
الحانها من اوركستر كبير تام

ثم قدم لي نسخة من متن الاوبرا فاذا به مما جادت به قريحة الكاتبة التركية  
العظيمة ( خالدة اديب ) وزيرة المعارف التركية السابقة فغبطته على عطف وحفاوة  
كاتبة الشرق الكبرى ومؤلفة ( قيص من نار ) والموضوع يشمل قصة سيدنا  
يوسف عليه السلام مع اخوته وعزيز مصر وامراته

رجوت من نابغتنا ان يحدثني عن تاريخ حياته الفنية وتأليفه ومشروعاته فقام  
وأحضر لي عدة شهادات من جميع اساتذة الكونسرفتوار وفي طليعتهم المسيو لافينيالك  
مدير الكونسرفتوار بباريس وكان من أعظم المعجبين به وقد اهداه صورته  
الفوتوغرافية ثم انبري يحدثنا عما طلبناه

ولد في عام ١٨٧٦ وسافر الى باريس لأول مرة في سنة ١٨٩٢ ثم انتظم في  
سلك طلبة الكونسرفتوار سنة ١٨٩٣ فتلقى علم الارموني على المسيو لافينيالك  
كبير اساتذة الكونسرفتوار وفن الاركستر على المسيو فيدالوفن التأليف والتلحين  
على المسيو لوتوفو والغناء على المسيو جيروديه والمسيو اوجيز والبيانو على المسيو  
رونان وتاريخ الموسيقى على المسيو بورجوا دو كودريه والارغن على المسيو جيمار  
ولقد مكث في المعهد الموسيقي لغاية سنة ١٩٠٢ حتى انتخبته كنيسة سانت  
ايسبري موقعا للارغن واستمر في هذه الوظيفة حتى عام ١٩١٠ اذ قدم استقالته  
وسافر الى الاستانة ليقدم نشيده الوطني العثماني الى مجلس المبعوثان فصادق عليه  
بأغلبية الاصوات واعطوا له صورة من محضر الجلسة بتوقيع الاعضاء وأرسل اليه  
جلالة السلطان محمد رشاد خطاب تهنئة واستدعاه رئيس مجلس المبعوثان احمد رضا  
بك وهناك باسم جميع أعضاء المجلس وفي هذه السنة نفسها أقامت البحرية التركية  
احتفالا فخما لمساعدة الاسطول العثماني حضره أكثر من ستة آلاف من طلبة  
المدارس والقوى البرية والبحرية في الاستانة فانشدت كل هذه الجوع النشيد  
الوطني الذي لحنه نابغتنا وكانت أصواتهم المصحوبة بالموسيقىات البرية والبحرية

تشق الجوارح كالعقد القاصف وقد قدر المشاهدون بنحو ثلاثين ألفاً ونشر هذا النشيد في سنة ١٩١٠ بملحق الانسيكلوبيدي لاروس الشهري عند الكلام على كلمة (تركيا)

ذهب الاستاذ الى سوريا سنة ١٩١١ وأسس بها دار الموسيقى وقد خصص لها محل (بلييل) الشهير بباريس جائزة سنوية وهي بيانو من صنعه تمنح الى أنجب التلاميذ الذي يحوز قصب السبق في مضمار الامتحان وفي عام ١٩١٧ طلبت أستاذنا حكومة الاستانة لانشاء مدرسة موسيقية في وزارة البحرية

وفي سنة ١٩١٩ ذهب الاستاذ الى باريس لبحث مع مدير مصنع (بلييل) في مسألة تركيب السلم الموسيقي وانشاء آلة للاصوات الشرقية وكان من رأي المسيو جوستاف ابيون مدير المصنع أن تربط ثلاثة بيانوات بمعزف (توش) واحد بواسطة الاسلاك الكهربائية لدرس الاصوات الزائدة

وفي عام ١٩٢٠ رجع الى سوريا وطلق يفكر في اختراع آلة تعطي الاصوات الشرقية حتى اوجدها وجعل يدخل فيها من التحسينات كل ما يخطر بباله وفي سنة ١٩٢٢ ذهب الى باريس واخذ معه هذه الآلة فعمل مثلها آلة اخرى تدار بالكهرباء بواسطة انايب هوائيه ومنافخ من السكوتشوك ولكن اصواتها لم تحرز من النقاء والضبط ما أحرزته الآلة التي صنعها في سوريا.

ثم انشأ يفكر في صنع بيانو مناسب للاصوات الشرقية يشمل المقامات الكاملة والانصاف والارباع فتوصل باجتهاده الى تنفيذ فكرته بشكل افضل من الانواع التي ظهرت اخيراً بمصر اذ جعل فوق التوش السوداء توشا جوزي اللون بارزاً قليلاً عن الاسود للارباع مطارقها الوترية موضوعة في صف واحد فوق المطارق المعتادة بمسافة ولكن ظهرت عقبة صغيرة وهي ضبط الاصوات وستدال قريباً لان العمال الافرنج لم تعود اذاهم بعد على الاصوات الشرقية وارباعها

في نفس هذا العام ارسل له الجنرال جورو خطاب مهنئة لايجاد البيانو الشرقي وبعث اليه المجلس النيابي خطاباً مماثلاً

طرق نابغتنا عدة أنواع من التأليف الموسيقية ونجح فيها وبهر وأهم مؤلفاته  
الآتية

النشيد الوطني العثماني ، ٣٠ لحناً وتنويعاً شرقياً ، ١٢ ترتيباً دينياً من الصولو  
طبعت بباريس ، نشيد موسي ، ترتيباً ، فالز للكونسير ، جافوت من مقام الري مينور ،  
رعاة كنعان اوييرا تركية ذات ثلاثة فصول كتبت موضوعها الكاتبة التركية الكبيرة  
خالدة أديب هانم

لنعد الى وصف الآلة التي اخترعها أستاذنا وهي عبارة عن صندوق بشكل  
المكتب الأمريكي بجانبها الايمن محرك يدار بالرجل فيدير عجلة بها سير يدير  
ترسا صغيراً من الخشب له ثلاثة مضارب متحركة بشكل ابي رياح وهذه المضارب  
مغطاة باللبد وعلى سطح الآلة وتر من السلك واحد وبجانب الوتر اكتافان من  
التوش مثل البيانو وحيماء يقع عليها تعفك الوتر بمقصات من الحديد وتخرج اصواتاً  
نقية مضبوطة والارباع لها توش ثالث فوق السود ونائثة عنها ولقد اتفق الاستاذ  
اكثر من خمسة آلاف من الجنهات على هذه الآلة واختارها والاخرى التي تدور بالكهرباء  
ليس نابغتنا من الاغنياء ولكن شغفه بالفن وتفانيه في خدمة الموسيقى الشرقية  
جعلاه يضحى كل ما أوتي من مال ونشب دون تردد

ولا شك في ان القاريء فرغ منه الصبر وزاد به الشوق لمعرفة اسم هذا  
النابغة ولكني اردت ان استدرج بعض القراء الذين لا يقرأون الا العناوين أو  
بضعة سطور من راس الموضوع ولا يقدرّون الابحاث قدرها فليفخر الشرق بنابعته  
الاستاذ وديع صبرا وليوله الزعامة من النهوض بموسيقاه ولتطأ له الرؤوس اجلالاً  
وليقل القراء معي المتمشدين والجامدين المحافظين على القديم : اطرق كرى ان  
النعامة في القرى

## الروايات التمثيلية

برليوز

رواية تمثيلية جديدة ذات اربعة فصول وتسعة عشر منظرا

للكاتب الشهير شارل ميريه

مثلت لأول مرة بمسرح بورت سان مرتان في ٢٢ يناير سنة ١٩٢٧

بزغ ( الرومانتيسم ) في أفق فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر على يد ثلاثة من كبار الزعماء فتملك فكتور هوجو دولة الشعر وهكتور برليوز دولة الموسيقى وأوجين دولاكروا دولة التصوير وقد جعل التاريخ برليوز مساوياً تقريباً لفكتور هوجو في الشهرة وما زال ليومنا هذا صاحب التاج والصولجان للموسيقى الفرنسية ، ولقد عبر عنه بعض النقاد بأنه ( الرومانتيسم ) المجسم وصوره آخر بأنه ( روسو ) المستميتس الذي يقوده الهام عنيف صوب المذركات الموسيقية ، وكان عنده الخيال أقوى من روح النقد وحماسة الخيال الشعري أجود من السيادة الفنية

ترى في برليوز أن الفن والرجل ليسا الا وحدة لا تتجزأ ، لا تختلف ولا تتنافر اذ كانت حياته النفسية في اشتعال وتوهج وخياله معذباً وحساسيته مرهفة ، وكانت له مزية خاصة اذ يشعر ويتألم في الموسيقى ، له ذوق يميل دائماً للعظمة وفؤاد عميق قلق مضطرب يعرف منتهى الحنان وأقصى الشقاء ولقد ذاقته نفسه الامر بن بصبر جميل وشمم عظيم

ومن مميزات برليوز أنه أنشأ فن توزيع الموسيقى على الآلات ونظم له قواعد وأصولاً وقد وضع فيه كتاباً عظيماً سماه « كتاب الفن العصري لتوزيع الموسيقى على الآلات »

وقد ذاعت شهرة برليوز في النقد و كان من أقدر كتاب عصره وما فتئت مؤلفاته في النقد والتحليل تشهد له بالفضل الخالد . وكان يحرر في عدة جرائد منها « جازيت موزيكال » و « جورنال دي ديبا » وغيرها وكان ظريف الاسلوب خفيف الروح ، وتقع مؤلفاته في عشرة مجلدات تقريباً منها رسائله ومذكراته و « خلال الغناء » و « الموسيقى والموسيقيون » و « ليالي الاوركستر » و « سخفاء الموسيقى » وغيرها

كان لبرليوز كثير من الاصدقاء وأغلبهم من نوابغ عصره مثل فكتور هوجو والكونت الفريد دو فيني وليرت وشوبان وباجانيني وايميل وانتوني ديشان ولوجوفيه وبريزو وأوجين سو وغيرهم . وكان له اعداء يمتقونه مثل كيرويني وكان مديراً لكونسرفتوار باريس وكان يتصنع له صداقة ملؤها الاثوم والخسة وفيتيس الذي كان وقتئذ مدرساً بالكونسرفتوار ثم عين في سنة ١٨٣٢ مديراً للكونسرفتوار ببروكسيل ورئيساً لكنيسة ملك بلجيكا لم يكن أقل عداء له من كيرويني

لا ينكر أحد ان فيتيس كان عالماً نحويّاً في الموسيقى ولكنه لم يفلح في التلحين رغمًا من كثرة مؤلفاته من أوبرات وقطع متنوعة وقد قضى على جميع مؤلفاته في وقتها . ولو أن هذا الرجل كان بلجيكيًا لكنه تلقى دروسه الموسيقية في كونسرفتوار باريس وحاول ان ينال جائزة روما الاولى فلم يفلح اذ دخل في المسابقة سنة ١٨٠٦ فأخذ الجائزة الثانية من الدرجة الثانية وفي سنة ١٩٠٧ أعاد الكرة فلم يفلح أيضا وأخذ نفس الجائزة أي الثانية من الدرجة الثانية

أما برليوز فانه أخذ سنة ١٨٢٨ الجائزة الثانية من الدرجة الاولى ولكنه دخل في مسابقة سنة ١٨٣٠ فنال جائزة روما الاولى التي تعطي الحق لحاملها في أخذ مرتب مدى أربعة أعوام كما انه يعطي مصاريف السفر الى روما ذهابا وايابا . أكل الحسد صدر فيتيس اذ رأى برليوز سائرا في سبيل الرقي والشهرة بخطوات واسعات فأخذ يحمل عليه حملات عنيفة ملؤها الحقد والعين حتى انه انتقد السانفوني

«فانتاسميك» في جريدة الطان بعنوان يدل على سخافته وهو: «ليس برليوز موسيقى» ولكن هذا الهراء قوبل بالسخرية من أغلب القراء بعد ما سحرتهم القطعة بنغماتها الشجية وتعبيرها البليغ

ومن المدهش انه حضر الحفلة الاولى التي وقعت فيها السانفوني فافتن وطاقق يصفق بكل قوته حتى انساه الشجو حسدا وضعنا طالمنا مهشاه في فؤاده والذي ثبت لنا ذلك خطاب برليوز لوالده وقد أرسله اليه في ٦ ديسمبر سنة ١٨٣٠ أي في اليوم التالي للحفلة التي وقعت فيها السانفوني اذ قال في عرض خطابه :

« ان بيكسيس وسبونتييني وميرير وفيتيس كانوا يصفقون بكل عنف كالهائجين وصاح سبونتييني عندما سمع « الذهاب الى العذاب » وهي من ضمن السانفوني المذكورة : « لا يستطيع ان يعمل أحد مثل هذه القطعة الا اذا كان في منتهى القدرة فان هذا شيء خارق للعادة » ثم عانقني بيكسيس بعد الانتهاء هو وخمسون غيره، ولقد اكرهني ليزت الشير على تناول الغداء معه ولم يترك تعبيراً للثناء والاطراء الا غمرني به

نذكر على سبيل التفككة حكما من احكام فيتيس يدل على منتهى السخافة والغباوة اذ قال في كتابه «تراجم الموسيقيين» عن جان سباستيان باخ انه اعظم الموسيقيين الالمان على الاطلاق ثم قال في موضع آخر حينما تكلم عن مميزاته « له ارموني جريئة لكنها ليست دائما صحيحة » فكيف به يرفعه الى اعلى عليين ثم يخفضه الى اسفل سافلين وكيف يكون اعظم موسيقيي الالمان ويلحن في الارموني !

الحديث ذو شجون ولو استرسلنا في سخافات فيتيس لخرجنا عن الموضوع ولكن سكوتنا امام هذه المسألة الدقيقة يترك القارئ في شيء من الشك والريب فائما للفائدة نقول كلمة مختصرة تصور لنا حقيقة باخ وتحلل لنا نفسيته مضي على باخ اكثر من قرنين تطورت فيهما الموسيقى والاذواق والنقد

فبذلك تغيرت أكثر الاحكام القديمة وظهر خطؤها جلياً  
لا يختلف اثنان في ان باخ يعد أعظم علماء الموسيقى في المانيا بل في جميع  
أقطار العالم وكان في عصره يقدرون الموسيقيين بدرجة تعظمهم في العلم وأصوله  
وقواعده ، واسكن أصبحت هذه المزية لا قيمة لها الآن في عصرنا الحاضر  
يتطلب عصرنا الحاضر ان يكون الموسيقي شاعراً مبدعاً بمعنى الكلمة يعبر  
عن عواطفه ومشاعره بأصوات ويصف ويصور ما حوله من جمال الطبيعة تصويراً  
صادقاً ويكفيه من القواعد ما يعصمه من الخطأ في التلحين  
عاش باخ طول حياته موظفاً عند بعض امراء الالمان وكان همه ان يكون  
قدوة حسنة للموظفين وان يحافظ على وظيفته بالمواظبة وارضاء رؤسائه وكان يلحن  
قطعا من موسيقى الخرف أو القطع الدينية ، ولم يتحدث نفسه ان يكتب شيئاً للجمهور  
أو يسافر ويفتقر كغيره من الموسيقيين لتسعه الاسفار بشئ من النفحات الشعرية  
ولم يتعجب حتى الذهاب الى غابات المانيا البديعة القريبة منه ليرى فيها آيات الجمال  
من أشجار باسقة وخمائل ملتفة وطيور مفردة وياائل راتحة  
لم يحب قط طول حياته ولم ينسكب بغداحة وكان ضحماً قوي البنية رزق  
عشرين ولداً وبناتاً منهم عشرة من زوجه الاولى وعشرة من الثانية ولم يعرف شيئاً  
من الآلام ومتاعب النفس ولم يعصه الفقر بناه ، ينام ملء جفنيه على جنب واحد .  
وقد أجمع الثقات من النقاد العصريين على ان باخ لم يكن مفكراً في موسيقاه قبل  
كل شيء ، كمن خلف من بعده من كبار الموسيقيين مثل بيتهوفن وفاجنر وبرليوز  
لم يعبر في موسيقاه عن مسراته وهمومه والامة في حياته الخاصة ولذلك كان الرجل  
لا يمتاز عن غيره اذا أخرجنا منه الفن حتى شبهه أحد النقاد الظرفاء بكاهن القرية  
لنرجع الى شاتنا كما يقول الفرنسيون ونعود الى برليوز ونذكر شيئاً من  
مؤلفاته وعدتها ٢٨ (أوبوس) مؤلف من فاتحات وسانفوني وقطع دينية وأناشيد  
واوبرات غيرها ونكتفي بذكر صفوة مؤلفاته الخالدة مثل «رومييو وجوليت»  
وهي سانفوني دراماتيكي كبيرة وبها (كور) و (سولو) للغناء و (برولوج) بشكل

( كور ) وقد اثنى عليها ( فاجنر ) ثناء عظيماً وانتقد منها بعض مواضع قال انها ليست في مستوى القطعة . وقال عنها كاميل سان صانس الشهيرة « انها أرقى ما كتبه برليوز ولم يترك تعبيراً في الاطراء الا ذكره »

وهي في الحقيقة معجزة فنية تلهب بالعوطف والنفحات الشعرية وابلغ التعبيرات الصادقة الصادرة من أعماق النفس وهذه الموهبة لم يبلغ اعظم شأو فيها غير بيتهوفن وبرليوز وان فاجنر نفسه لم يلحق غبار برليوز من هذه الوجهة ، ولا ننكر ان فاجنر صاحب مذهب عظيم ، وانه رقى التمثيل الغنائي ونهض بفن الاوركستراسيون وعمل انقلاباً عظيماً في الموسيقى

كلنا نعرف باجانيني وهو عطار د الكنجة وملحن قدير لم يأت قبله ولا بعده من استطاع تقليده ومن قال عنه ليزت : « من المستحيل ان يخلف باجانيني أحد اذ كل من حاول ذلك . ولو أوتي جميع الوسائل المؤهلة فانه يفتضح أمره ويظهر بمظهر المقلد الكاذب » وكان باجانيني هذا حاضراً في إحدى حفلات برليوز الموسيقية وبعد الانتهاء ربح امام برليوز وقال له « انك اعظم من بيتهوفن » ثم اهداه بمبلغ ٢٥٠٠٠ فرنك

« وطفولة المسيح » وهي من أعظم مؤلفاته الدينية « وخلود فوست في العذاب » وقد مثلت كثيراً بالاورا المصرية و « أهل طرواده » ولم تمثل بمصر مع انها من المعجزات و « السانفوني فانتاستيك » وهي من أروع ما أخرجته الموسيقى الفرنسية وهو الذي هذب نشيد المرسلين والنشيد المجري ووضع لهما الاوركستراسيون الحاضر

وقد عين مديراً لمكتبة الكونسرفتوار وانتخب عضواً في المجمع العلمي الموسيقى ومنح وسام اللجيون دونور من درجة اوفيسييه ونال عدة اوسمة من الممالك الكبيرة وكان ميلاده في سنة ١٨٠٣ ووفاته سنة ١٨٦٩ ولشكته بهذه الكلمة والرواية فيها الكفاية لتاريخ حياة برليوز

## الرواية

لا مراء في ان شارل ميريه مؤلف « الاله » و « الدوار » و « الاميرجان » و « الاغواء » و « سرير العرس » يعد من أقدر كتاب المسارح الفرنسيين وهو يعرف جيداً كيف تتركب الرواية التمثيلية ويعرف كيف ينفذ الى قلوب الجمهور ويهيمن عليهم وقد وهب نفحات نادرة في فن المسرح ومناظره اللائقة به ابتداءً روايته في عام ١٨٢٧ وكان برليوز في ذلك الوقت طالباً في الكونسرفتوار وعمره اربع وعشرون سنة واختتمها في سنة ١٨٢٩ بموت برليوز فتكون المدة التي تدور فيها الرواية اثنين واربعين سنة وانما اقدرة نادرة ان يسرد لك في بضع ساعات حياة نصف قرن تقريباً تشعبت فيه الحوادث وتطورت فيه الاحوال وتغير فيه الزمان واظهر لك كل طور في جوه الطبيعي دون أن تشعر بتفككك في اجزاء الرواية أو تناقض تشمئز منه . ولقد وضع لنا حياة برليوز وكفاحه مع البؤس ونضاله مع معاصريه الذين ما فتئوا يتحدونه في كل فرصة حسداً وبغياً وهرولة الدائمة حول خيال الحب ومن المناظر التي تلفت النظر وتستهيوي النفوس، منظر القصر الملكي (اللوفر) سنة ١٨٣٠ والمكونسرفتوار سنة ١٨٣٥ وقهوة كاردينال وقد اظهرت تلك المناظر نوايف الكتاب والروائيين والموسيقين مثل بلزاك واسكندر دوماس وتيوفيل جوتييه والفونس كاروجانان وفاجنر وليزت وادولف ادان

ومن ظرفه وسلامة ذوقه ان ربط العصر الماضي بالحاضر اذ نشاهد برليوز وهو على سرير الموت محاطاً بسان صانس ورير وقد مات الاول منذ بضع سنين والثاني سنة ١٩٠٩ وكان عضواً في المجمع العلمي الموسيقي مع سان صانس ومما زاد في طلاوة الرواية ان اوركستر بادولو الشهير وقع بين فصول الرواية نخبة عظيمة من مؤلفات برليوز حتى نحس الجمهور من السرور والاعجاب وكانت الحفلة غاية في البهجة والرواء

## الفصل الاول

نشاهد حينما يرفع الستار في الفصل الاول غرفة برليوز سنة ١٨٢٧ بالمنزل رقم ٩٦ بشارع ريشليو وكانت حجرة بها بعض أثاث قديم وسرير وبيانو ومائدة مكسدة باوراق الموسيقى وبجانبها مصباح وفي ركن آخر ( كومود ) وعليه قيثارة ويشاهد أمام المدفأ كانون وبعض آنية للطبخ . وكل ما في الغرفة غير مرتب ولا منظم كمادة أغلب الطلاب وكان الوقت بعد الظهيرة . وقبل فتح الستار تعزف الموسيقى جزءاً من القطعة الكنائسية المسماة ( سان روك )

وكان يقطن مع برليوز في غرفة ثانية في نفس المسكن الطالب شار بونيل وكان يدرس الصيدلة وهو صديق برليوز ومن البلد التي ولد فيها . وقد حضر دورتيج المحرر في جريدة « لا كوتيديين » وصديق برليوز لزيارته فلم يجده فانتظر قليلاً فحضر شار بونيل قبل برليوز وجلس يحادث ضيف صديقه واخبره في سياق الحديث ان الدكتور برليوز أراد أن يكون ابنه طبيباً وأرسله الى مدرسة الطب ولكنه لم يستطع ان يستمر في مادة لا يميل اليها ، وعكف على دراسة الموسيقى ، ودخل الكونسرفتوار . ولما تقدم لجائزة روما لأول مرة رفضت اللجنة أن تمنحها له لأنهم كانوا يعبدون القديم ويكرهون كل حديث فلذلك حرّمه أبوه من المرتب الذي كان يعيش به فاضطر أن يعطي دروساً موسيقية بفرنك واحد للدرس ليستطيع أن يعيش وما كان هذا البؤس ليثني عزيمته أو يقل من شجاعته فاستمر بصبره المعهود ونضاله حتى تغلب على جميع الصعاب فقال له دورتيج :

— اني أريد أن اكتب عنه مقالة في « الكوتيديين » وقد أخبرني رفيقه في الكونسرفتوار المسيو مونفور بأنه يكتب او يبرأ اسمها « القضية الاحرار » فدهش من قوله وقال له ان برليوز قد اعتراه في هذه الايام قلق واضطراب كبير كان يريد أن ينفجر وقد حصل له هذا الانقلاب ليلة أن شاهد الممثلة الارلندية التي تمثل مع الجوق الانكليزي بمسرح الاوديون

دورتيج — هي هاريت سمتسون ويقال انها خليلته  
شاربونيل — خليلته ؟ ... انها لا تعرفه ولم تخاطبه قط ، وغاية الامر انه رآها

ومن تلك اللحظة وهو في شيء من الذهول والارتباك ، وطفق يحجوب المدينة كالمجنون ثم سكن هذه الدار لأنها مواجهة للمنزل الذي تسكنه هذه الممثلة ونافذته مطلة على نافذتها وقد تمر عليه ساعات وهو مترقب في النافذة ويرسل إليها رسائل خالية من المعنى واني أخشى أن يصيبه مس

دورتيج — اواه

شاربونيل — انه لا يشتغل ابداً . . . وقد تحدثت عن القضاة الاحرار؟ ..  
واسفاه . . . اتعرف كيف يقضي وقته في غيبيتي ؟ ... انه يقطع وقته في الغناء وقد سمعته عدة مرات قبل الدخول الى الغرفة يغني قطعاً من اغاني الفودفيل السخيفة ! . فجاء برليوز المعجب بجاولك وفيير ! .. ثم فتش في أوراقه وأخرج منها عدة قطع اراها لدورتيج

دورتيج — ولكنها قطع من الاناشيد ( كور )

شاربونيل — صه فقد اقبل

دخل برليوز وجلس على كرسي مسنداً رأسه الى يده دون ان يشاهد شاربونيل ودورتيج ، ثم لمح امامه موسيقى القطع السابقة وطفق يغني ويعمل اشارات التمثيل ، ثم اكفهر وجهه وقال ان هذا سيجعلك غيباً سخيفاً . . . وفي هذا الوقت كان شاربونيل ودورتيج صامتين منصتين لغنائه واشاراته ولما انتهى اقبلا على اطراف اصابع ارجلها وقدم دورتيج قائلاً : انه محرر في «الكوتديين» فصافحه برليوز

برليوز — هل سمعت غنائى ؟ .. أما قلت في نفسك انه معتوه

ثم وقف برليوز على كرسي واطل من النافذة ليرى الطريق . . . وفي هذه الاثناء قال شاربونيل

— منذ ما شاهد هملت أصبح . .

برليوز — ( وهو على الكرسي ) انحسبني أيها الفتى مجنوناً ؟ . من هو المجنون ؟ .  
هو رجل تختلف طريقة نظره واحساسه عن سائر الناس . ثم نزل عن الكرسي وامسك بيدي دورتيج قائلاً :

— لست مجنوناً وأما أنا فمس بائس !.. فتأثر دورتيج ثم قال :  
حاشا يامسيو برليوز

برليوز — لقد نسي شاربونيل أن يقدمني إليك ولكنه يجهل ذلك . اتى  
هكتور برليوز منشداً « كوريست » في مسرح النوفوتيه ، فدهش الرجلان عند سماعه  
برليوز — ولكن ما العمل ويلزمى أن أعيش وقد عملت مسابقة في النوفوتيه  
لكوريست وكان يزاحمني نساج وحداد . وكان المسرح محتاجاً لمنشد له صوت  
« باس » وصوتي باريتون ولكنى فزت عليهما ولي خمسون فونكاً في الشهر . ثم  
أخذ يقهقه وغنى قطعة من الفودفيل وكان شاربونيل ودورتيج يبتسمان في أول  
الامر ثم اغرقا في الضحك فلما رأها برليوز على تلك الحال كف فجأة عن الغناء  
ثم قال :

— هل رأيتا هاريت سمتسون فى هملت ؟ هل رأيتماها وفي ( اوفيلي ) ؟..  
لقد صغفني شكسبير حينما سقط على فجأة هو وهاريت !.. وفي ذلك المساء عرفت  
العظمة الحقيقية والجمال الحق والحقيقة الروائية وفي نفس هذا المساء عرفت الحب !  
انها لم ترني ولم خاطبها ولكنى أحبها ! اذكر هذا يامسيو دورتيج وانشره وقل  
انها ستكون لى زوجا !

شاربونيل — انت احق

برليوز — ستكون عقيلتى وأنا موقن بذلك وأشعر به !..

ثم دخل عليهم مونفور ووحيا دورتيج ثم دار الحديث بينهم على غرام برليوز  
وبعد لحظة غنى برليوز وهو بجانب النافذة قطعه المسماة « مرثية » واصطحبه على  
البيانو مونفور ثم سكت فجأة اذ لمح من النافذة هاريت سمتسون  
برليوز — هي هي !... وهذه العربة التي وقفت لاجلها ( ثم هرول الى

عباءته ولبسها وبحث عن قبعة فلم يجدها )

شاربونيل — هل نويت الخروج

برليوز — نعم

شاربونيل — والغداء  
برليوز — لا أشعر بجوع  
مونفور وشاربونيل — هكتور! ..  
« وأراد أن يسد الطريق أمامه »  
برليوز — « وقد كاد يطرحهما أرضاً » مكانكما !  
دورتيج — يامسيو برليوز ! ...  
برليوز — معذرة ... اتى ... هي ...  
استودعكما الله » ثم خرج حاسر الرأس كالمعتوه ووقف الرجال الثلاثة هنيهة  
يشبهونه بنظرهم وهم ياهتون .

شاربونيل لدورتيج وهذا كما ترى ! ...  
تقابل في يوم آخر دورتيج وبرليوز ومونفور في قهوة كاردينال ودار بينهما  
الحديث :

مونفور — روسيني ...  
برليوز — ( وقد قاطعه ) فيجاروبوي ! .. أحبته ! .. يتهمكم على أويرا  
حلاق اشبيلية

مونفور — يزعم روسيني أن موسيقي فيير تحدث له مغصا  
برليوز — ( يضرب المائدة بقبضة يده ) آه ! . اني أريد أن أقعده على خازوق  
من حديد مصهور ! . ان الروسيين لبغضهم لجلوك وسبوتيني قد تمادوا في طغيانهم  
حتى قالوا ان الموسيقى لا قصد منها غير تشنيف الآذان وهي عاجزة عن التعبير عن  
العواطف والآلام ! .. ( فظهرت على مونفور ودورتيج بواذر الغيظ والاشمئزاز )  
يا لهم من مجرمين ( يتكلم بصوت خافت بلهجة الأمر ) يجب أن ينسف المسرح  
الايطالي بمن فيه من الروسيين في احدى ليالي التمثيل !

مونفور لدورتيج — وماذا حصل المقالة التي تريد نشرها في (الكوتيديين)؟  
دورتيج — ان ميشو يخشى عاقبة نشرها

مونفور لبرليوز - ان هذه المقالة تصيرهم لك أعداء  
برليوز - ليس لي الا أعداء ! .. وجميع أعضاء الجمع العالمي الموسيقي مثل  
كيرويني وباير وبوالديو وكاتل أغنياء اذ علموا ان ( الكائنات ) التي كتبتها  
أخيراً لا يمكن توقيعها وقد قال لي يوماً بروتون : يا صديقي لا يوجد شيء جديد  
في الموسيقى »

مونفور - انه مصاب بالقرص  
دورتيج - ومن عباد الاوهام العتيقة  
برليوز - اتعرف ماذا أجاب كروتزر حينما أوصاه على لوسويور « ليس  
عندنا وقت لفحص التلحين الجديد وماذا يصير ماآلنا اذا ساعدنا هؤلاء الشبان ! »  
ثم قام برليوز قائلًا كم الساعة ؟ .

دورتيج - الساعة الثانية  
برليوز - سأذهب الى مسرح الاوبرا كوميك لآمرن الموسيقيين على تحضير  
فاتحتي الموسيقية « فافري » وستكون الحفلة في اليوم الخامس من ديسمبر لمساعدة  
هوييه وستشارك في هذه الحفلة هاريت سمتسون وتمثل فصلين من روميو وجولييت  
لآخر مرة بياريس »

دورتيج - هلا نلت منها موعداً أو استقبلتك ؟  
برليوز - كلا ! .. انى اكتب اليها دون ان ترد علي .. وقد حظرت على  
خادمها أن تستلم شيئاً من خطاباتي وعلى كل حال سأراها في الحفلة ثم انصرف  
الجميع ووعد دورتيج ان يحضر الحفلة

ننتقل بالقارىء الى مسرح الاوبرا كوميك لنشاهد تحضير الحفلة التي سبق  
السلام عليها ففري الممثلين الانكليز مع هاريت سمتسون يتمرنون على تحضير  
الحفلة وترى برليوز مع مونفور ودورتيج على مقربة منهم ، ولما تموت جوليت  
ويرفعها روميو بين ذراعيه يصيح برليوز : ماتت ! .. هل هي التي ماتت ! ..  
وكان يريد ان يرتقي عليها فمنعه مونفور ودورتيج ، ثم حصل هرج بين الممثلين

واوماً «أبوت» الذي كان يمثل دور روميو إلى برليوز وقال : انه مجنون.. ثم قال مونفور لبرليوز ماذا دهاك ! قال له دورتيج ألم تشهد تمثيل روميو وجولييت ؟ فأجابه برليوز حينما رأيتها بثيابها العادية ظننت انه أغنى عليها وماتت وبعد لحظة ذهب نحو هارييت وقال لها :

— مدموازيل هارييت سمتسون ا.. اني .. فتقهقوت مذعورة وقالت له : هل توجه الى الخطاب من هذا الشاب ؟

برليوز — أنا هكتور برليوز ا.. وقد كتبت اليك مراراً ! . وانك تعرفيني هارييت — ( وهي متقهقرة ) لا لا !.. اني لا أريد أن أعرفك ودعني بسلام !

برليوز — أنبئني أين تقابليني وتسمعين حديثي

هارييت — كلا كلا ا.. أغرب إنها القبيح !

برليوز — حذار أيتها الأنسة :

هارييت — أغثوني ! أغثوني !

ثم اقبل منظم المسرح وأبوت الممثل وابتعدا برليوز بعنف وقال الاخير مشيراً الى برليوز اطردوه

ثم أخذ يتهم منه صاحبا بعد هذا الخذلان وبعد قليل اتجه صوب الموسيقين وابتدأوا يوقعون فاتحته « فافرلى » فابدى لهم بعض ملاحظات

ثم اقبل اليه المستر ترفر وقال له انني متعهد تمثيل مس هارييت سمتسون وهي تقول انها ستسافر مع والدتها الى امستردام وترجو منك ان تتركها بسلام اذا كنت حقيقة تحبها فاضطرب من هذا الخبر وشحب لونه. فاقبل اليه صاحبا وقال له مونفور: است في حالتك العادية ويجب عليك بعد انتهاء مسابقة المجمع الملكي أن تسافر وتذهب الى بلدك لتغيير الهواء والاستراحة

ملاحظه — لقد صور الكاتب المقابلة الاولى لبرليوز بهذا الشكل. السميج الرذول حتى جعله أضحوكة بين الجميع مع أن الحقيقة التاريخية تخالف ذلك ولو

كان المؤلف قرأ رسائل برليوز لعثر على خطاب يصور لنا المقابلة الاولى بكل احتشام وأدب وظرف وكان موقفهما مما يضرب به الامثال في التأثير والعطف وهذه الرسالة كانت موجهة الى السيو . ا . دوبرو في ٥ يناير سنة ١٨٣٣ قال في عرض خطابه .

« حضرت هاريت سمنسون الى حفاتي جاهلة انني سأقود الموسيقى وقد سمعت الفاتحة التي هي موضوعها وسببها الاصل فبكت وقد شاهدت بسببها نجاحي الباهر ونفذ هذا الى فؤادها مباشرة ودلنتني على ذلك حماسها بعد الحفلة وقد قدموني اليها فاصغمت الى ودمعها ينحدر من مآقها وقد سردت عليها مثل عطيل جميع التقلبات التي اننا بقيت من يوم ماشغفت فسالنتي الصفيح عنها لما سببت له من آلام ومتاعب كانت تجهلها حق الجهل وأخيراً في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٣٠ في حضرة أختها سمعت منها هاته الكلمات :

« انني أحبك يا برليوز » ومن هذا الوقت انحصرت جهودى في اطفاء بر كان رأسى لاني خيل الى اني فقدت صوابي . انها تمنى ولها قلب كقلب جوليت أو هي أوفيلي ، واذ لم أستطع مشاهدتها كنت أكتب لها كل يوم ثلاث رسائل وكانت تكتب الي بالانجليزية وأرد عليها بالفرنسية . وهذا مايدل على وجود العدل في السماء مع انى كنت لأعتقد بوجوده . واني مدين في ذلك لغنى وفكري وأما سانفونيتي العزيزة فاني أريد أن أضعها فوق مذبح ثم أحرق لها المطور .

وهذه سانفونيتي هي « حوادث حياة فني » وهي تشمل « الفانتاستيك » وماحقها « العودة الى الحياة » مع تنقيح واضافات من ( كور ) و ( سولي ) أي أناشيد وقطع يغنيها فرد أو يوقعها فرد على آلة واحدة

بعد أن تمت المسابقة الاولى وأخذ الجائزة الثانية من الدرجة الاولى ذهب الى ميلان ( فرنسا ) في سبتمبر سنة ١٨٢٨ وهي بلد عائلته وقد قابل هناك أخته ومدموازيل ايسكيل صديقة طفولته وقد أخبرته أخته ( نانسي ) أن أباه ممرجداً حينما انتشر خبر نياله الجائزة الثانية وقد عزم على الاستمرار على اعطائه مرتبه ، ثم أقيمت

ايسيتيل وجلست هنيهة مع برليوز وصارا يتجاذبان ذكريات الطفولة الحلوة وأخبرته في آخر الامر أنها خطبت منذ عامين فكان لهذا الخبر وقع اليم في نفسه

نقلت بالقارىء الى قصر اللوفر في سنة ١٨٣٠ والتاسع والعشرين من يولييه وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر في أبان الثورة اذ هجم الثوار على قصر اللوفر بعد ما أصالوه ناراً حامية وكانت باريس تموج بالجموع المحتشدة من فلاحين وجمود وعمال وطلبة والجميع ينشدون الاناشيد الحماسية والثورية وقد اصطدم وقت الزحام بالمصادفة دورتيج مع برليوز فسأله عما فعل في المسابقة لجائزة روما فقال له لقد نجحت وأتممت «الكائنات» «حريق سردينال» وحينما كنت في المجمع المالي أثناء المسابقة رأيت الحرب منتشرة في اللوفر وقد نجوت بنفسى بأعجوبة فهناه دورتيج وأخبره بان اللوفر قد وقع في أيدي الثوار

وبينما هما سائران اذ سمع برليوز جمعا يغنى نشيد «مور» من تأليف برليوز فاسكت المنشدين وقال لهم ليست السرعة بهذا الشكل فسكتوا ونظر رئيس المحتشدين الى برليوز شزرا وقال له

— وماذا يعنيك ؟

برليوز — أني أقول ان هذه السرعة ليست بسرعة القطعة

الرئيس — هل أنت موسيقى ؟

لدورتيج — (هو يضحك) من ؟ هو ؟ أنه ... فاسكتته برليوز

الحرس الوطني — « موجهها خطابه الى المنشدين ومشيراً الى «برليوز» اتبعوا ما يقوله لكم هذا الشاب

برليوز — « يغنى أولا القطعة ثم يضرب الوزن » أنشدوا معي أيها الرفاق !

ثم قال أحد الجنود وهو يحمل العلم الفرنسي أنشدوا المرسيز

الجميع — هيا أنشدوا المرسيز

الجندي — مشيراً الى (برليوز) هيا أيها الصغير واصعد على الكرسي واضرب الوزن

برليوز — (يصعد على الكرسي) المرسيز ثم يقول لدورتيج ( ستري التهذيب  
الذي سأدخله على المرسيز (ثم قال للجمهور) انشدوا معي أيها الوطنيون ولينشد كل  
من له صوت وقلب ودم يجري في شرايينه ثم يعني  
هلموا أبناء الوطن ! .

### الفصل الثاني

ننتقل الى نزل ( كونجربه ) حيث تقيم هاريت في غرفة مؤثثة باثاث ليس  
بالفاخر في اغسطس سنة ١٨٣٣ وكانت مستلقاة على كرسي طويل (شيزلونج) وقد  
أصيبت رجلها بكسر وكانت معها أمها وأختها تتمشيان في الغرفة وتحدثان معها  
بلهجة الآمر الخائق وتقودان برليوز لو حضر اليها فكانت الام تقول انها مادامت  
على قيد الحياة فلا يستطيع برليوز ان يضع قدميه في غرفتهن . وقالت الاخت لو  
كنت مفتولة الذراعين لقدفت به من النافذة فاجابتهما ان منعهما يأتي ولا يهاب  
شيئاً فلما احتدم الجدل دار الحوار بينهما .

والدتها — هل تحبينه ؟

هاريت — انكما تضايقاني اكثر منه !..

والدتها — هل سبك أحد طول حياتك ؟..

أختها — ولقد أهمك في هذه السانفوني الممقوتة في الحفلة التي شاهدتها وكنت  
وقتئذ مضغة في الافواه ووصفك بهذه الاوصاف ... أوفيلي ، البنت الخليعة ! ...  
المرأة الساقطة !... وكانت الجوع يرمقونك بانظارهم وهم ضاحكون ! حتى كدت  
تختنقين من الخجل في ذاك اليوم

أمها — وبعد الحفلة بثمانية أيام تريدن مقابله وأنت أنت التي كنت تحتقرينه  
منذ ست سنين . وقصاري القول ماذا يريد منك

هاريت — يريد أن يتزوج مني

أمها — ولكنني أرفض زواجه

أختها — وكذلك أهله يرفضون !

أمها — انه فقير ولا يملك غير مائتي فرنك في الشهر وهي مرتبه عن جائز قروما  
 هاريت — واني مدينة بأربعة عشر الف فرنك ..!  
 أختها — اتعرفين مع كم من النساء لعب نفس هذا الدور  
 هاريت — هذا لا يهمني

وبينما هن في جداولهن العنيف اذ حملت اليهن الخادم رسالة وقبل ان تقعد هاريت  
 أخذت أمها الخطاب وقالت هذا خطه وفتحته فقالت لها هاريت اني امنهك عن  
 الاطلاع عليه فلم تلتفت اليها وطفقت تقرأ هذه السطور: « اذا كنت لا تريدن موتي  
 ولو بدافع الرحمة لاني لا أستطيع ان أقول بدافع الحب . . . انبتيني متى اراك . اني  
 اسألك الصفح وأنا راكع بك واني انتظر جوابك كما انتظر الحكم من القاضي »  
 فضحكت امها بتهمك وقالت للخادم من احضر هذا الخطاب ، فقالت شاب اشقر  
 فقالت اختها هو هو اثم قالت الام للخادم قولي له ان مس سمسون لا يستطيع ان نقابل  
 فاحتجت هاريت على والدتها وصرفت امها الخادم بإشارة ثم سمع صوت برليوز  
 صائحا هائجا « هل هي هنا .. سأراها ! .. اذهبي الى الشيطان » ! . ثم فتح الباب  
 ودخل برليوز وهو هائج وقال لامها واختها : « انكما لا تستطيعان ان تمنعاني من  
 مشاهدتهما ، اغربا من اممي والا اقتلكما » وهجم عليهما ففرتا مذعورتين ودخل  
 على هاريت وارتمى على قدميها

برليوز — هاريت ! .. يامن هي هواي وآلاحي في الحياة ..

هاريت — ان أهواءك لتفقدك كالجنون

برليوز — نعم جنت من الفرح .. اقرئي رسالة ابى فانه وافق على زواجنا  
 يا هاريت ! يا عيلى ! .. ( وحينما جلس أحتمك برجل هاريت دون قصد )  
 هاريت — آه يا هكتور .. قد آلمت رجلي

برليوز — ماذا ! .. أما طرت فرحا من هذا النبا ؟

هاريت — انك ترعبنى مثل المرة الاولى التي رأيتك فيها في حفلة مساعدة

هوييه من ست سنين

برايوز — أربك ؟ . اذا استطعت أن تفهمي درجة حبي لارتيميت بين ذراعي  
هاريميت — ولكن لم تصيح وتعلن ذلك في كل مكان ؟ . ولقد أصبحنا أضحوكة  
الشارع .. وأصبحنا مضغطة الافواه اذلا يتحدث الناس في جرائدهم ومقاهيهم ومسارحهم  
الا بعبك الجهنمي ! .

برايوز — بل هو المجد ! .  
هاريميت — انك تقسم انك سموت وقد اثرت بذلك سخرية أصدقائك  
وقد شاهدت أوجين سو ولوجوفيه وجول جانان يضحكون منك فسكن مابك  
وفكر قليلا ..

برايوز — فيم أفكر ؟  
هاريميت — في حالي السيئة ! .. انني مثقلة الديون ومريضة ..  
برايوز — ان هجرتك السماء والارض فاني سأستمر على حبي وأكون خاضعاً  
للهمى مثل رومييو أمام جوليت  
هاريميت — (تمد اليه يدها وهي متأثرة) هكتور ! ..

برايوز — متى تنزوج ؟ ..  
هاريميت — امهلني حتى أفكر  
برايوز — خبريني عن الميعاد .. ثم قعد ثانياة فلمس رجلها )  
هاريميت — آه ! رجل ! ..  
برايوز — (ينهض غاضباً) وأنا فؤادي يؤلني ؟ .. وان هذا الالم العنيف لم  
ينهش فؤاد أحد بهذه الدرجة ! .. وانت التي لا تحييني

هاريميت — لا ياهكتور ولكنتي مترددة  
برايوز — (وهو هائج) انك مترددة ! .. ولكنتي لا أتردد ! .. لقد انتهت  
الالم ! وانتهت الحياة ! (ثم أخرج من جيبه زجاجة وشرب مافيها فاقضت عليه  
هاريميت وانزعتهما من يده)  
هاريميت — (وقد كادت تبجن) ماذا فعلت ؟ . أي هكتور ! ... (ثم نظرت

الى الورقة الملتصقة بالزجاجة) أفيون ! .. آه يارباه ! .. انك تريد الانتحار ! ..  
هكتور ! .. (ثم وقع على الارض مغشياً عليه) أفق ! .. انني أحبك .. يالك من مجنون  
انني أحبك ! .. يجب أن نعيش لمؤلفاتك الخالدة ومجدك العظيم ! ..

برليوز — (يحرك رأسه) بل لاجلك ياهاريت

هاريت — وا أسفاه ! انك تشتريني بـ ١٠ غال .. وآلام قاسية .. لقد  
فاتني الوقت ! .. واني متعبة جداً

برليوز — هاريت

هاريت — سأعمل كل ماتريده

برليوز — (يعانقها) أنت لي وحدي ! ..

\* \* \*

ننتقل بالقاريء الى ضاحية مونمارتر في سبتمبر سنة ١٨٣٤ وهناك نرى بيت  
برليوز الصغير وبه حديقة جميلة ونشاهد برليوز مع زوجته هاريت يتنعمان بالحب  
ويتناجيان في أسرار هواهما وقد رزقا غلاماً اسمه لويس . وقد لبى ليزت ودورتيج  
دعوة الغداء وأخذوا يتسامرون وقت الطعام بأطيب السمر ولما شاهد صديقه  
اشتغال باله بطفله في كل آونة قال ليزت لدورتيج سرّاً — أصبح النسر أسيراً  
في حظيرة الدجاج

\* \* \*

وفي ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٣٩ أقام برليوز حفلة كبيرة في الكونسرفتوار لتوقيع  
سالفوني «روميو وجوليت» وقد غص البهو بالامراء وعظماء الرجال

دورتيج — هذا نصر مبین ! .. فقد حضر الامير دو مال والامير مونا نسييه  
(وكان يتكلم بصوت منخفض فأقبل الفونس كار وهو محاط بجمع من الناس)

الفونس كار — أتريدون معرفة رأيي في موسيقى برليوز ؟ .. ان موسيقى  
برليوز الخالية من الاغاني ليست بالموسيقى التي أحبها . وموسيقاه هي نتيجة تقدير  
غير صحيح فانه يريد أن يصور بالموسيقى كما يصور الكلام ! وليس في ذلك نجاح

إنما هو تأخر وتقهقر أحد الموسيقيين - ان الفضل في شهرة برليوز راجع للاصدقاء  
وكما أن برليوز ملحن ونقاد فلذلك نرى جميع أصدقائه من الصحفيين يتملقون اليه  
أدولف ادم - شهرة مبنية على ادعاء وقبح ولا تتركز على عمل مستحسن  
دورتيج - أدولف آدم مؤلف أوبرا «البيت السويسري»

بلزاك - ان هذا لمن أعجب العجب ! انني أبحث عن برليوز . ها هو ! .  
(ثم يظهر برليوز على اليمين وأصدقائه ملتفون حوله ويسمع التصفيق الحاد والصياح  
«مرحى مرحى» ثم يعانق بلزاك برليوز)

اسكندر دوماس الكبير - لقد أحرزت مجداً كبيراً ! .

برليوز - أهلاً بعزيزي دوماس

دوماس - ما أرق وأعظم ماسمعناه ! انك لعظيم مثل شكسبير !

تيموفيل جوتييه - أعانقك يا برليوز

برليوز - أهلاً بعزيزي تيمو ! .

تيموفيل جوتييه - (متجهاً نحو جول جانان) عم صباحاً يا جانان . هل أنت

مبتهج مسرور ؟

جول جانان - ان رأيي لم يتغير قط في برليوز انني أحبه وأعجب به

أيما اعجاب !

لوجوفيه - (موجهاً القول لبرليوز) انني أنا وجميع أصدقائك متهللون بعد هذا

الفوز العظيم ! ولقد عبرت لزوجك اللطيفة عن شعوري العميق نحوك

برليوز - انك صديق مخلص . هل رأيت زوجي ؟

لوجوفيه - رأيتها هي وطفلها ذا الشعر العسجدي المماثل لشعر أبيه ... كم يبلغ

من العمر !

برليوز - خمس سنين

ماري ريتشو - ( وهي فتاة جميلة إسبانية وقد اقتربت من برليوز ووجهت

القول لدورتيج ) قدمني من فضلك الى الميسو برليوز  
دورتيج - أقدم لك مدموازيل ماري ريتشو المغنية الشهيرة  
ماري ريتشو - آه أيها الاستاذ الكبير... لقد هجعت قلوبنا وأثرت في رؤوسنا  
وان مؤلفك هذا المتأجج متوهج مؤثر عظيم .. ( ثم أخذت يده وقبلتها ) اني أقبل  
هذه اليد التي سطرت هذه الموسيقى الخالدة  
برليوز - « فينحني شاكراً » هل تغنين يا مدموازيل !  
ماري ريتشو - اني أتلقى الغناء على الميسو بنديرالى ( ثم تقدم والديها ) أقدم  
لك مدام سوتيرا دوفيلاس والدي  
مدام سوتيرا - لقد فتننا أيها الاستاذ ...  
ماري ريتشو - ان والدي اسبانية ولكن أبي كان فرنسيا وضابطا في الجيش  
آه لو تفضلت أيها الاستاذ بمقابلي واستماعي ... اني اكون سعيدة اذا كنت  
بجانبك ... ( ثم هاجته بنظراتها )  
برليوز - « وهو مضطرب » بكل ارتياح أيتها الأنسة ... تفضلي بمقابلي  
في جريدة الديبا أو في مكتبة الكونسرفاتوار  
ماري وأما - شكراً لك أيها الاستاذ العظيم !  
ماري ريتشو - اني مسرورة جداً ... اني اقبلك ! « ثم قبلته وخرجت  
مسرعة مع والديها »  
برليوز - « مخاطباً دورتيج » انها جميلة .. وفتاة!  
وقد دخلت هاريت هي وابنها منذ هنيئة من الجهة اليسرى وكانت ممسكة  
بيد ابنها  
دورتيج - « يلمحها فينحني برليوز بصوت خافت » زوجك !  
هاريت - « وقد شحب لونها واكفر وجهها » من هذه الفتاة  
برليوز - من ؟  
هاريت - التي قبلتك

برليوز - لا اعرف ... وهل هذا كل ما عندك لتفأتميني به بعد هذا اليوم العظيم المشهور ؟

هاريت - ان المعجبات بك قد عبرن لك عن كل ما يخالج قلوبهن

برليوز - « بصوت تعالوه الشفقة » هاريت ! ...

هاريت - اواه ! انني اخشع من الخجل . لقد حضرت كتائب خيالاتك

حتى هذه الفتاة التي اجترأت على تقييلها امامي ! ...

برليوز - لقد شردت عن الموضوع ..

هاريت - لقد تحرشت بي بعينها وهي ضاحكة !

برليوز - ( وقد خاف ان يسمعها احد ) ارجو منك ان تكفي ! ..

هاريت (وقد سحبت ولدها وهي هائجة هيالويس فاننا نضايق اباك ! . ثم

خرجت مع ابنها )

دورتيج - « وقد لمح الماريشال دولوبو ووراءه ضابطان ياوران » الماريشال

دولوبو « ثم حصلت حركة كبيرة في المجموع وطفقوا يتهايمسون » الماريشال  
الماريشال «

الماريشال - « مادايده لبرليوز » آه يامسيو برليوز انني اهنتك !

برليوز - « وهو متحن تعظيما » اشكر لك يا جناب الماريشال !

الماريشال .. « بحماسة » عظيم جداً ... ان ما احبه على الاخص في مؤلفك

هي .. « ثم يفكر هنيهة » هي الطبول .. « ثم يصافح برليوز ويخرج »

دورتيج - « وهو باسم » هذا فخم ..

برليوز - « وهو يهز رأسه » وأسفاه ! .. « وفي هذه الاثناء يدخل ملاحظ

الحفلات ويعطي لبرليوز ورقة فيشكر له وينظر فيها » هل رأيت يا دورتيج ، هذا

نجاح باهر عظيم ..

أتعرف ما الذي أكسبه من دخل روميو وجولييت اذا أقت ثلاث حفلات غير

هذه ؟ . . الف ومائة فراك

دورتيج — «وقد رفع ذراعيه» اكتب اذن شيئا من الفن الجدي

برليوز — ان الفنانين لا يحق لهم ان يهيشوا

### الفصل الثالث

كانت هاريت بعد زواجها تساورها الغيرة على زوجها وتظن به الظنون فكان ذلك مدعاة لاستمرار المشاحنة بينهما وسوء الظن به وطفقت تدمن في الخور حتى ساءت صحتها وتجهم وجهها وفقدت جمالها بعد ثمانية اعوام من زواجها فاصبحت معاشرتها لا تطاق واضطر برليوز أن يخادن ماري ريتشو خفية ويصطحبها في اسفاره وبلغ من شراسة هاريت انها كانت تذهب الى زوجها في مكتبة الكونسرفتوار وتضايقه بمشاحنتها الصارخة

وفي ذات يوم ذهبت اليه ماري ريتشو وكانت بالمصادفة هاريت وابنها هناك فاضطرم الشجار بينهما بشكل مريع

ومن كثرة اذمان هاريت على الخمر اصابها شلل واحتقان في الدماغ فكانت تتكلم بصعوبة ثم عانت المرض والالام اعواما طويلا الى ان ماتت في ٣ مارس سنة ١٨٥٤

وفي شهر يونيه سنة ١٨٥٥ دعا الميسيو سانتون العازف على الكمنجة الفرنسي الشهير وكان مقما بلندرة برليوز وفاجنر فلبيا دعوته وكان بجانب سانتون صحفي يكتب مذكرات أثناء حديثه

سانتون — انه لمن العجب العجيب ان أكون بلندرة وأنا من تولوز وان يكون على مائدتي اكبر موسيقي فرنسا برليوز واكبر موسيقي المانيا فاجنر الصحفي ... الاثنان المتنافسان

سانتون ... وسيقود كل منهما اوركسترا ... ويالوقع هذا الخبر اذا نشر في التيمس ...

الصحفي — هل يعرف بعضهما بعضا ؟

سانتون — تمام المعرفة

الصحفي — وهل هما عدوان متباغضان ؟

سانتون — ولكنهما يخفيان في قرارة نفسيهما اعجاب كل منهما بالآخر !  
وسأفاجئهما ببعضهما

الصحفي — وكيف ذلك ؟

سانتون — بكل سهولة ... ولكن ما العمل مع مدام برليوز ...

الصحفي — هارييت سمتسون

سانتون — كلا .. فقد ماتت منذ سنة ونصف ولكن برليوز تزوج ثانية  
من مغنية شهيرة تدعى ماري ريتشو ... وهذه هي زوجته الجديدة ... أمها كالحصل عمت  
فاجنر وتبغض كل ما يصدر من غير برليوز ولم أَدعها ولكنها دعت نفسها  
الخادم .. ( يدخل ويعلن ) المسيو برليوز وزوجه

سانتون — هي ! لقد أفسدت حيلتنا !

( ثم يوجه كلامه للخادم ) اذا حضر المسيو فاجنر فادخله في البهو الصغير  
( ثم يقول للصحفي ) هل تفضل يا عزيزي بانتظاره هناك وتسليته قليلا ؟  
( فيذهب الصحفي ) شكراً لك ( ثم يشير الى الخادم ليدخلهما )

برليوز — عم صباحاً سانتون ( ثم يوجه خطابه لزوجته ) هل تعرفين المسيو  
سانتون عازف الكمنجة الشهير ؟ ( ثم يخاطب سانتون ) اقدم لك مدام برليوز  
سانتون — ( ينحني احتراماً ) مدام ... ( ثم يجلس برليوز ) هل انت  
تعبد يا أستاذ ؟

برليوز — نعم ... ومريض انا وزوجتي . انني اشكو من اعصاب امعائي وهي  
من نوبات القلب ...

سانتون — لقد حضرت لك عشاء تولوزيا

ماري ريتشو ( وهي قائمة ) حذار يا هكتور من الافراط في اكله !  
سانتون — اتعلمان اني التزمت ان أدعو أيضاً فاجنر ؟

ماري ريتشو — وقد مهضت هاتجة فاجنر فاجنر ! اننا نبارح البيت

برليوز — بلهجة المتجاهل ولم ؟

ماري ريتشو — هذا الخبيث الذي يسخر منك في كتابه الاخير وينسرك ...

برليوز — انها لرصاصات صغيرة وقد صوبت منها كثيراً الى سيقان الغير لئلا  
أجد غرابة فيها حينما تصوب اليّ بدوري ...

ماري ريتشو — نبئنا برأيك في فاجنر . تكلم بصوت جهورى وعبر عن فكرك

برليوز — ان فاجنر فيه شيء جذاب

ماري ريتشو — وهل هذا كل شيء

برليوز — كلانا عندنا شيء من الخشونة ومن الممكن أن نزول وتعدل أخلاقنا  
وبعد قليل استأذنت مدام برليوز وانصرفت الى الفندق الذي نزلت فيه  
هي وزوجها ورجت من زوجها ان لا يأكل من الاطعمة التولوزية لئلا تتبعه فلا  
يستطيع ان يقود الاوركستر في المساء

سانتون — ان الخوف يخالج صدري يا استاذي العزيز ! ... قد حضر فاجنر

برليوز — اصحيح ما تقول ؟

سانتون — اريد ان تراه

برليوز — ( وقد قطب حاجبيه ) هل انبيء بحضورى ؟

سانتون — ( وهو يتسم ابتسام المسكر )

نعم عنده علم . .

برليوز — لاشيء يمنعني من مقابلته ( فخرج سانتون من الجهة اليمنى ونهض

برليوز وتقدم بضع خطوات ثم وقف وفكر قليلاً ثم نادى فاجنر . .

فدخل فاجنر من الجهة اليمنى فصاحه برليوز

فاجنر — اهلا وسهلا بالمسيو برليوز

برليوز — عم صاحب يا فاجنر ! .. اما تراني قد شخت ؟ .. اننا لم نتقابل منذ

اثني عشرة سنة ! .. أي حينما كنت في درسد

فاجنر — منذ درسد... اني اسعيد ومتأثر ١ ..

برليوز — انك اصغر مني سنا بعشر سنين وهذه المدة الاخيرة من عمري  
كانها مضاعفة (ثم جلس وهو متعب)

فاجنر — (وقد جلس امامه) اني اعلم بان لبزت قال لي بانه هو الذي حرض  
على هذه المحادثة .. معذره .. فاني لانتكلم جيداً بالفرنسية .. واني احبك جداً  
جما يامسيو برليوز — رغماً عن سوء الظن الذي يقصيك عنى ١ ..

برليوز — (يشير اشارة غامضة للاحتجاج) عجباً ١ ...

فاجنر — انك لاتعرفنى ولكنني أعرفك جيداً

برليوز — لقد سمعت ثلاثة فصول من رينزى وخيال السفينة

فاجنر — (باحترار) عجباً ١ هذا بعيد ١ .. نعم انك لاتحب موسيقتي

برليوز — ولكنني معجب بقوتك وارادتك ..

فاجنر — واني معجب بقطعتك السانفوني فونير وانها اعظيمة من اول نوتة  
لاخر نوتة

برليوز — (وقد ابتسم) ولكنك قلت ان موسيقى فوست حقيرة (ثم ضحك)

فاجنر — (يضحك بدوره) وأنت قلت ان انشائي الحريجلاك ترقص فوق  
الحبل المرنخي ..

ثم ضحك الاثنان

برليوز — (ثم وقف فجأة وجعل يتفرس فيه) ومع ذلك .. فستكون أستاذ  
المسارح بعد خمسين سنة ..

فاجنر — (وقد نهض واحمر وجهه من الزهو والسرور من هذا الاطراء)  
عجباً! وانا اذا كنت بيتهوفن لقلت «لو لم أكن بيتهوفن ولو كنت فرنسياً لاردت  
أن اكون برليوز» لانك يامسيو برليوز الموسيقي الوحيد في فرنسا الذي لم يقبل  
ان يحرق فنه ليكسب المال

برليوز — ( يمد اليه يده ) وأنت أيضاً  
فاجنر (مجلس ثانية ) يامسيو برليوز ان أصدقاءك في المانيا وليزت وأنا وغيرى  
ننتظر منك مؤلفاً كبيراً . . درام

برليوز — هل تشتغل بتلحين شيء ؟  
فاجنر — نعم بحلقة نيبيلونجين ... الا تعرف تانهورر ولو هنجرين .. سأرسل  
إليك موسيقاهما . وماذا تعمل انت الآن

برليوز — انني افكر في تلحين قصيدة كبيرة موسيقية وهي اهل طرواده .. ليت  
شعري هل أعيش طويلاً حتى أتمها ... وهل تعلم اية مهنة أزاولها لأعيش ؟ ..  
( ثم نهض قائماً ) منذ ثلاث سنين سمعت في احلامي نغمات سنفوني .. كنت احلم  
اني اكتبها وفي الصباح استيقظت وتذكرت الجزء الاول واردت ان اشرع في  
كتابتها ثم قلت في نفسي : « لو كتبت هذا الجزء لاضطرت ان اكتب الباقي  
ويستمر العمل مدى ثلاثة او أربعة شهور ... واضطر لترك تحرير القسم الموسيقي في  
الجرائد .. فيقل دخلي وحينما تنتهي السنفوني اطبعها بالف أو ألف ومائتي فرنك  
ثم أقيم حفلة لتوقيعها فيغطي الايراد نصف المصاريف فاقصر في عمل الواجب نحو  
زوجتي المريضة ودفع مصاريف مدرسة ولدى فرميت القلم قائلاً : « سأنسى غداً  
السنفوني » وفي الليلة التالية عادت تطن في دماغي ! فاستيقظت وكانت تأملات  
أمس تعاودني ثم نمت ثانية ولما استيقظت في الصباح اختفت من مخيلتي كل ذكرى  
الى الابد !

فاجنر — وأسفاه ان هذا شيء مؤلم كالانتحار أو الموت (فسالت الدموع من  
ماق فاجنر وطفق يجفف نظارته المبللة بالعبرات)

برليوز — نعم نعم هذه بلادة مني ورخاوة . ولكن حينما تكون عندى زوج  
لاهي حية فترجى ولا هي ميتة فتتعى ويلزمها ثلاث نساء لخدمتها ويعودها الطبيب  
كل يوم وينقد اجره . واذا كنت واثقاً تمام الثقة باني لاجد بباريس بعد انتهاء  
أي مشروع موسيقي الا نتيجة مشؤومة فاتني لست الآن بليداً رخوا .. حينما

تركت التلمحين . . بل كان عملي هذا انسانية ومروءة  
فاجنر « باحترام » لقد تكشفت لي يامسيو برليوز في ضوء يختلف عن الضوء  
الذي رأيته فيه فيما سلف . . وما زلت أشاهدك مشرقا كأبطال الملاحم على  
رأس الاجواق الموسيقية التي تقودها في الحفلات كقيصر الاساطير !

برليوز - برليوز الاساطير ! وهناك الآخر فاجنر رجل فقير . وان التيجيز  
والخصومة اللذين صادفك قد اصطدمت في جدارهما بدون جدوى منذ ثلاثين سنة  
حتى تهشمت يداى وأصابني . ولنعيش ويعجب بنا الجمهور ونكون محبوبين يلزمنا  
انا وانت ان نكتب في الموسيقى مثل ما كتب ميير ييروها ليفي اللذان شوها الموسيقي.

فاجنر - اننى افضل ان أكون المسيو برليوز

برليوز - انك اسعد منى حظا

فاجنر - انني في بلادى كمن هدر دمه . .

برليوز - توجد ، واطن للنفي اقصى من غيرها

برليوز - لقد هرأت طول حياتي مثل هملت وراء طيف الحب . . وحيما تصورت  
اني ملكته وضممته الى صدرى أفلت مني واختفى . . والحرب والموت . . وآلام  
الوحدة ؟ . .

فاجنر - ولذلك اردت ان نفاهم وحدنا ، وعلى كل حال توجد بين بعض  
الناس الذين لم يفهمهم الجمهور والذين تساوا في الضراء قرابة متينة « فنهم برليوز  
وجمل يتفرس في فاجنر بأثر » وهذه السلسلة الخفية التي تربط أحدهما بالآخر  
في اخوة المحن والالم

برليوز - « يفتح ذراعيه » فاجنر . !

ثم يتعانق الاثنان

### الفصل الرابع

ماتت ماري ريتشو وزوجها الثانية في ١٣ يونيه سنة ١٨٦٢ وعاش برليوز  
وحده مع والدتها مدام سوتيرا دوفيلاس وكان يفد اليه ابنه لويس وقت اجازته .

وفي شهر يولييه من هذه السنة كان ابنه يتحادث معه ويسأله عما حل بالأويرا المشهورة «اهل طرواده» فقال له انها تن في محافظ الاويرا ولا اعلم متى يحضرونها وييما هما يتحادثان اذ دخلت عليهما الخادم واعلنت قدوم فتاة فسأل عن اسمها فقالت انها رفضت ان تعلمه

برليوز - لقد عرفتھا (ثم ينهض لويس) سنتعشى سوياً هذا المساء يا لويس (فقبل) في الساعة السابعة ! لقد اعطيت ميعاداً لهذه الفتاة . وهي تريد أن تغني في المسرح ولكن ليس لها صوت اتعرف كيف تعرفت بها ؟ في ذات يوم كنت بمقبرة مومارتز وهذه رياضي المحبوبة . وكنت جالساً على مقعد هناك وبكيت فاقتربت هذه الفتاة مني وظننتني متألماً فتأبطت ذراعي لاخرج من المقبرة ، وهي من عمرك ولها ست وعشرون سنة ثم صاحف ابنه وخرج ( ثم اشار على الخادم بادخال الفتاة فدخلت وهي مرتدية ثياب الحداد وكانت عسجدية الشعر جميلة رشيقه القامة والهندام

برليوز - ادخلي بنيتي

اميلي -- استاذي العزيز . .

برليوز — لا يليق بي هذا التعبير فقد شئت !

اميلي — كلا بلا !

برليوز — انك ظريفة ( ثم أشار الى ابنه وهو خارج ) انه ولدي . .

تفضل بالجلوس

اميلي — شكراً لك ايها الاستاذ

برليوز — خبريني اولا ماذا كنت تعملين يوم الجمعة في المقبرة وانها ليست

نزهة شائقة لفتاة من سنك

اميلي — لقد فقدت والدي منذ عام واصبحت يتيمة اعيش مع عمي

برليوز - ان هذا لمن الغرابة بمكان ! انني اتفرس فيك . . لانك تشبهين تمام

الشبه فتاة كانت قرينة صباى وكنت احبهاو كانت تماثلك في القامة والوجه والعينين

ولا تختلف عنك الا في لون الشعر اذ كان شعرها اسود وشعر ك ذهبي وكانت  
تسمى ايسيتيل وانت اميلي آه لو كنت تعرفين كيف يوقظ ويهيج حضورك  
عندى تلك الذكريات اللطيفة والتأثر الشديد  
اميلي - وأنا قد عرفتكم مباشرة

برليوز - هل تعرفينني ؟

اميلي - لقد شاهدت صورتك مرارا ولذلك قد عرفتكم وقلت في نفسي  
« انه هو .. هو .. و أن الفنين الذين احبهم واعجب بهم لهم أصدقائي .. وهذا  
ماجرأني على الاقتراب منك فخطبتك .. كنت تبكي ! وقد اضطربت لمشاهدة  
عبراتك المسائلة ! .. وما كنت أتصور ان رجلا مثلك يتأني له أن يكون سيء  
الخط ! وانت مسيو برليوز العظيم بنموغه وقلبه .. انت الذي تلهب موسيقاك  
كالشعلة والضوء المشرق ! .. كنت هناك وحيداً على المقعد متألماً حزينا !

برليوز - لقد استحوذت عليك الشفقة لاجلي .

اميلي - ليست الشفقة هي الكلمة التي تؤدي المعنى .. ولست استطيع التعبير  
لقد أردت سلوا لتخفيف مابك ! فقل لي يامسيو برليوز انك اليوم أحسن حالا من  
ذي قبل

برليوز - « وهو باسم » نعم لوجودك « ثم امسك بيديها » ايها الشباب ايها  
الشباب المحبوب ياسحر الربيع ايسيتيل ، اميلي ايها السراب الذي يحيني ولكن سأموت  
اميلي - ماذا تقول ؟

برليوز - « يهر رأسه » لقد بلغت الستين « ثم ينهض ويمشي في الغرفة بضع  
خطوات فتبعه

اميلي - ليس هذا صحيحاً فان موسيقاك فتية كما ان قلبك فتى !

برليوز - انك لتتأثرين وتتألمين ان قرأت يوماً في الجرائد : « موت  
فكتور برليوز » ؟

اميلي - ( تتألم ) اواه !

برليوز - ( يجذبها اليه وهو متأثر ) بفتى ! ثم يقبلها في جبينها فستسلم فهلا يقبلها في فمها ؟ ثم ينهض بغتة كمن عاد اليه شبابه ثم طفق يمشي في البهو بخطوات نشطة ثم فرك شعره وانكلم بلهجة حادة سارة يا لله ! واخسارتاه ، لاني لم اعرفك الا بعد فوات الوقت ! ولو جئت في الوقت المناسب لصيرتك فتية عظيمة ! هل تريدن ان تغني في المسرح ؟ يلزم لذلك صحة من حديد ! ويظهر لي انك رقيقة يا اميلي ... وفضلا عن ذلك فان صوتك رخيم ! ولو عرفتك من سنة واحدة لعلمتك غناء دور بياتريس لتغنيه بمدينة باد

\*\*\*

في شهر اكتوبر سنة ١٨٦٢ كان برليوز جالسا على مقعد في منزلة مونسو فر عليه لوجوفيه الكاتب الشهير فجلس بجانبه يتعجاذبان اطراف الحديث ثم أخرج برليوز خطابا من جيبه ناوله للوجوفيه .

برليوز - اقرأ « يقرأ السطر الاول ثم يقف »

لوجوفيه - انه خطاب غرام ؟ مرسل الي ... ؟

برليوز - لا تضحك . انه مرسل الي

لوجوفيه - اننى لأضحك « ثم قرأ الامضاء » اميلي ؟

برليوز - اميلي ... انه حب اتاني دون ان ابحت عنه وقد قاومته ... ثم

استسلمت له .. ثم اشتد معي

لوجوفيه - هل هي فتية ؟

برليوز - انها فتاة في مقتبل العمر

لوجوفيه - هل هي جميلة ؟ « فاشار برليوز برأسه نعم » وهل هي تحبك ؟ فما

تشكو وماذا جرى لك .

برليوز - جرى لي اننى بلغت الستين

لوجوفيه - واذا كانت لا ترى فيك الا شابا في عقده الثالث

برليوز - لم ترخدي الغائرين وشعري الابيض وجبيني المجدد وهذه الفكرة

المشؤومة ما لبثت تساورني وكانت تأخذ رأسي بين يديها وكنت أشعر بدمعها المنحدر على عنقي .

لوجوفيه — ( يرد اليه الرسالة ) هذه الرسالة صادرة من فتاة عظيمة ذات قلب مفعم بالحنان والحب .

برليوز --- لقد وصلتني هذه الرسالة منذ ثلاثة أسابيع ثم انقطعت أخبارها ولقد كتبت لها أخيراً انني انتظرها في هذه الحديقة هذا الصباح . . . ليت شعري هل تقبل ؟ جس قلبي !..

لوجوفيه — انك ابن عشرين كما قلت لك وسأتركك أيها العاشق العزيز ( ثم يصافحه ويخرج فتأتي اميلي وهي شاحبة اللون نحيفة )  
برليوز — هل انت بنفسك

اميلي — صديقي العظيم . . . ( ثم اجلسها بجانبه على المقعد )  
برليوز — ( يقبل يديها ) بغيتي العزيزة . . . لقد رأيتك بعد ما نفذ مني الصبر وكنت متألماً تعسا ! لم تأني يوم الاثنين والجمعة ؟ وقد انتظرتك طويلاً . . . وما اشد عذابي ولم يأتني منك خبر ولا رسالة .

اميلي — لقد فكرت فيك . . معذرة فإني لم استطع المجيء ولا الكتابة . . .  
( ثم اطرقت رأسها )

برليوز — ( ينظر اليها وقد دهش من شحوبها ) انظري الي ما أشد شحوبك هل كنت مريضة ؟

اميلي — ( وما فتئت مطرقة الرأس ) كلا  
برليوز — يداك الصغيرتان حارتان ( ثم تسعل ) . هل انت محمومة ؟

اميلي — كلا ولا أشعر بشيء  
برليوز — اميلي . . ( فبكت ) لم تبكين اخبريني ماذا دهاك

اميلي — سأترك باريس مدة طويلة وربما على الدوام  
برليوز — ( وقد صعقه الخبر ) اواه

اميلي — يجب ان اتبع عمتي الى الجنوب

برليوز — وماذا العمل ؟

اميلي — لن نتمكن من المقابلة (ثم هزت رأسها) لا . وهذا أفضل شيء ...

برليوز — (وهو متألم كاسف البال) اني بلغت الستين .

اميلي — كلا ! فان السبب لا يرجع اليك بل يرجع الي وحدي ! والآن

تستطيع أن تنساني لان الفراق بعد فوات الوقت مؤلم قاس

برليوز — انك تتكلمين بالمهميات والالغاز .. ولا أفهم لك قولاً ..

أميلي — لا ينبغي أن تحاول الفهم . . يجب علينا أن نفرق الآن بدون أن

ثم تسعل أيضاً — ومن الحكم أن نفرق بارادتنا .

برليوز — وبدون تعويض كلموت ؟

اميلي — بشدة . نعم كلموت ثم نهضت ولبث برليوز جالساً كالمصعوق

اميلي — (بتألم) وأنا الذي احببتك ! . وما زلت أحبك ! .. وأقسم اني ان

أحب أحداً مثلك فهل تصدقني وتثق بي ؟

برليوز — (يقبل يديها) بنيتي ؟

اميلي — (تخلص يديها منه) واعلم اني حينما أودعك فانما أودع كل شيء .

برليوز — (وهو قائم) اميلي

اميلي — الوداع ! (ثم هربت مهرولة)

ننتقل بالقارئ الى مقبرة مونمارتر في صيف سنة ١٨٦٤ وقد كسى الربيع

المقبرة بحلله القشبية السندسية الزهرة حتى أصبحت كالحديقة الغناء وكان الحارص

واللحاد يتحادثان وفي هذه الآونة أقبل برليوز وهو مرتد ثياباً سوداء يمشي

بخطوات ثقيلة كأنه طيف خيال فحياه الرجلان باجلال فرد عليهما التحية ثم ذهب

الى قبر ووقف أمامه

الحارص — (يخاطب اللحاد) أتعلم من هذا ؟

اللحاد — كلا

الحارس — الميسو بوليوز

الاحاد — ومن هو — هل هو من أمراء البحار

الحارس — لابل هو .. (يبحث في ذاكرته) يلحن أوبرات وهو يأتي كل يوم شتاء وصيفاً ويقطن قريباً من هنا في شارع كاليه.. وفي أوقات المطر التي لا تخرج فيها الكلاب من المنازل تراه يجول في المقبرة وحده .

الاحاد — وما يفعل ؟

الحارس — ان سيره لا يتغير وتراه يقف امام القبر هناك وقد دفنت فيه زوجته الثانية منذ عامين وكان متزوجاً قبلها من ممثلة ماتت منذ عشر سنين ... وقد دفنت في اول الامر في مقبرة سان فانسان ثم نقلت رفاتهما في فبراير الماضي الى هذا الرمس وهما الآن يغنيان مع بعضهما مع انهما كانا عدوتين لدودتين .

سار بوليوز في طريق آخر ففتح مقعداً فجلس فوقه نظره على رمس جديد فسأل الحارس لمن هذا الرمس الذي لم اره قبل اليوم لاني امر نادراً في هذا المر الحارس — هذا لحد فتاة ماتت بالسل منذ ستة شهور

بوليوز — كم لها من العمر ؟

الحارس — ( وقد قرأ التاريخ فوق القبر ) ولدت في مايو سنة ١٨٢٧ ( ثم حسب ) سبع وعشرون سنة . بوليوز ( وهو يهز رأسه ) سبع وعشرون سنة ! ( ثم نهض واقترب من القبر وقرأ ما كتب عليه فصاح ) اواه ... اميلي ... انها هي . ( و كاد يقع لولا انه استند الى شجرة ) اميلي !

الحارس — هل تعرفها ؟

بوليوز — انني اعرفها ( ثم وقع قاعداً على المقعد واخذ يتحدث نفسه ) قد ماتت منذ ستة شهور ولم ترض نخبرني بأنها في انتظار الموت العاجل وكان لها من العمر ست وعشرون سنة . جميلة رقيقة تكتب كأنها ملك السماء واتفقنا على الفراق وقطع الكتابة وقد رأيتها من بعيد في المسرح فأشارت برأسها . وكانت تعالج الموت

ولم أعلم حقيقة نها ثم ماتت بعد ستة أسابيع ولم أدر بموتها أو اه ! رحمة وحنانا وكفاني  
اللهم عذابا وألما .

\* \* \*

ننتقل الى منزل برليوز في ٨ مارس سنة ١٨٦٩ وكانت مدام سوتيرا  
دوفيلاس حمة برليوز تهني مخدات على كرسي ( فوتيل ) فادخلت الخادم الميسو  
ريير الملحن الشهير

مدام دوفيلاس - أهلا بهريزي الميسو ريير .

ريير - ( وكان في الخامسة والاربعين من عمره ) عمي مساء سيدتي . . . كيف  
قضي ليلته ؟

دوفيلاس - على اسوأ حال وقد ايقظني في الساعة الثانية صباحا ليسألني ان  
كان وصل خطاب من لويس وفي بعض الاحيان ينسى ان ابنه فارق الوجود .

ريير - يحسن ان يترك جاهلا موت ابنه

دوفيلاس - وماذا العمل ؟ وقد خاني الدمع وانقطعت رسائله . . . وفي ذات  
يوم كنت انحدث بصوت خافت مع الخادمة في غرفة مجاورة لغرفته فاقترب منسا  
هكتور وسمع كلمة ( الحى الصفراء ) ثم خرج فقابل في الطريق أحد اصدقاء ابنه فقدم  
له واجب العزاء فرجع الى البيت وصار يتمرغ في أرض الغرفة ويصبح « كان  
الموت أولى لي »

ريير - هل هو نائم ؟ هل يمكنني مشاهدته ؟

دوفيلاس - سيستيقظ . . . ولقد حاول البارحة ان يذهب الى المجمع العلمي

ريير - نعم ليعطي صوته لشارل بلان لان برليوز مخلص ووفى لاصدقائه

دوفيلاس - انه يحبك ياميسو ريير كولدو ومنذ وفاة الميسو دورتيج اصبحت  
أنت والميسو شان صانس اعز اصدقائه ( ثم تسمع حركة ) انتظر فاني اظن انه  
استيقظ ( ثم اقبل برليوز مستندا الى خادمه ثم تقدمت اليه دوفيلاس واجالسته  
على الكرسي ( الفوتيل ) واسندت ظهره الى وسادة فعانقه ريير )

برليوز - « وكان كلاموات خافت الصوت » اشكرك يا ريير .

ريير - لقد لاحظت انك لم تكتب الاهداء على نسختي بينفينوترواني اكون  
مسرورا ان وقتته

برليوز - نعم يا صديقي العزيز « ثم ناولته دوفيلاس القلم فكتب » الى  
صديقي العزيز ... « ثم وقف وتفرس في ريير » آه لقد نسيت اسمك  
ريير - ريير . برليوز - كتب ارنست ريير ثم دخلت الخادم واعلنت  
حضور المسيو كاميل سان صانس

سان صانس - « وكان في الثالثة والثلاثين » كيف نمت يا أستاذي العزيز؟  
برليوز - لم أنم ( ثم اشار الى سان صانس ) انه موسيقى عظيم يعرف جلوك  
كما عرفه ( ثم يميل رأسه الى الوراء ) لقد اقبلوا ... ولكنني سأذهب ( يتألم  
ويشكو ) آه .

سان صانس - هل انت متألم . برليوز - نعم .  
ريير - « مخاطبا دوفيلاس بصوت خافت » ألم يكتب له الطبيب دواء مسكنا  
دوفيلاس :- لقد كتب ولا مكنه لا يريد ان يشربه .  
سان صانس - ماذا نعمل يا آلهي لنخفف آلامه ؟  
برليوز - « وقد فتح عينيه حينما سمع القول » هذا عندي على حد سواء  
« ثم سكت » اني اريد ان اموت في الشمس وامام البحر .  
سان صانس - ان شهر مارسى لفظيع مرعب ! وستمطر ثلجا . انظر كيف  
أظلم الجو .

برليوز - لاتتحدثوا وان استمررتم فاني أحب أن لاأموت (عم السكوت  
وأغض برليوز)

سان صانس - (بعد لحظة) هل نام ؟

دوفيلاس - لقد نام

سان صانس - فلنتركه ليسترىح .

ريير - (مخاطبا سان صانس) لقد عاتقته البارحة! أعلم ماذا قال لي ؟ آه ! كلمة

مؤلة عظيمة ! « وقصارى القول هل سيوقعون موسيقي ا »  
ثم خرجوا على أطراف أصابعهم وأقبل الليل وقد رمى ضوء الموقد شعاعاً  
على وجه برليوز و كان يظهر عليه أنه نائم وكأن نداء أتاه من الملا فى الليل البهيم  
ثم يسمع توقييم دعاء الاموات من وراء الستار موقفاً على الارض ويغنيه المنشدون  
وتمتليء الغرفة بأشباح الموتى وتظهر ايسكيل واميلي وهارييت سمتسون ونانسي  
واديل وماري ريتشو ولويس برليوز فيفتح برليوز عينيه .  
برليوز : دعاء الاموات . هل حضر الجميع لسماع دعائى للاموات .. هارييت ..  
نانسي .. اديك ... مارى ... اميكس ... لويس الصغير ...  
ثم اعتدل على كرسيه ورفع ذراعه وطفق يضرب الوزن فاقتربت منه  
الاموات وأحاطوا به ثم مالت ذراع برليوز وقارق الوجود .

### عنتره

مأساة شعريه فى خمسة فصول  
لفخر الشرق المرحوم شكري غانم

ينتمي هذا الشاعر العبقرى الى أسرة عظيمة لبنانية ، وقد نبغ فى الشعر  
الفرنسى وله ديوان فرنسى ظهر حوالى سنة ١٩٠٠ وروايتان مثلتا بالاً ودييون سنة  
١٩٠٥ فى فصل واحد وهما « وردة » أو « زهرة الحب » و « ربع ساعة من الف  
ليلة وليلة » ورواية قصصية كبيرة تسمى « دعد » واهم رواياته التمثيلية عنتره وقد  
ابت عليه قوميته الا ان يبتدىء بتمثيلها على مسرح شرقي فاختر الاوبرا الملكية  
المصرية ولحسن حظه كانت فرقة الكوميدي الفرنسية فى ذلك الوقت مؤلفة من  
اعظم الممثلين الذين يسود على مجموعهم الانسجام والتوافق وفي مقدمتهم الممثلة  
القديرة مرجريت مورينو وقد تقدمت بها السن الى ان أصبحت تمثل دور العجائز

وقد قامت بدور عبلة ، وداراجون وقد توفي بالانفلونزا منذ بضع سنين وقد قام بدور عنبرة ، ومونتو وقد مثل دور وزير المعروف بالاسد الرهيص .  
ومن القريب المدهش أنهم حفظوا الرواية وأخرجوها وأعدوا مناظرها في خمسة عشر يوما وقد سحروا الجمهور بأبداعهم النادر وكانت الرواية موفقة من جميع الوجوه .

اشتهرت مورينو بحسن القائها ونبرات صوتها الموسيقي وكانت تلقي الشعر بسهولة وهي تقلد سارة برنار وتضيف الى ذلك قدرا كبيرا من شخصيتها الخاصة وعواطفها المتأججة وحركاتها الخالية من كل تكلف ، ورشاقتها النادرة وظرفها في الحديث . وقد مثلت دور ابن نابليون في النسر الصغير وروكسان في سيرانو دوبرجير الك . وقد فتنت النظارة في هذه الروايات الثلاث ولم يستطع أحد من الاجواق ان يحرز هذا النجاح من سنة ١٩٠٩ الى الآن

مثلت رواية عنبرة المرة الاولى بمسرح الاوبرا الملكية . ثم مثلها مسرح الاوديون بباريس في ١٢ فبراير سنة ١٩١٠ فلاقت اعجابا شديدا ونجاحا باهرا وقرظتها اغلب الجرائد الفرنسية الشهيرة مثل الفيجارو والجولوا والأكلير والديبا والطان والليبرتيه ومجلة التياتر المصورة والابونيون كما قرظتها وذكرت ملخصها دائرة معارف لاروس في ملحقها الشهري سنة ١٩١٠ . وهي تستحق أكثر من هذا لبلاغتها النادرة وتفكيرها العميق وتحليلها الاخلاقي ومناقشتها الطليعة وعواطفها المستعلة ورقتها ومواقفها الفنية الرائعة .

ومن سمو اخلاق شاعرنا النابغة ونبل عواطفه أنه أنبأ في القطعة التي أوردناها عن اقتراب ظهور النبي (ص) وما سيكون له من شأن خطير كما نوه باعجابه الشديد ببلاغة القرآن بعبارة تستعصى بلاغتها على اي شاعر مع أنه مسيحي فجراه الله خيرا ورحمه رحمة واسعة

## المنظر الثالث من الفصل الرابع

عنتره . ثم شيبوب ووزر ابن جابر الملقب بالأسد الرهيمس ( يدخل عنتره في الحال )

هل هو عربي ؟ لا ... كان الخائن محتبثاً في الظلام وراء هذه الصفاة كالذئب ، ولا بد أن يكون أجنبيّاً

( يسمع صوت شيبوب من بعيد )

هاهو ذا شيبوب ، هل يقوده ، لاني أرى شبحين

شيبوب ( يتكلم بصوت مرتفع )

تقدم !

( ثم ينظر شيبوب وهو يحرق وزرا من يده )

لقد قطع الخوف ساقيك اوعز عليك البقاء فودع اذن الحياة

( مخاطباً عنتره الذي يقترب منهما )

لا جدال ولا ريب ! فانه يستر وجهه ! وعيناه لا تخترقان حجب الظلام الا لرمي

السهم ، وسيطفي الموت شعلتيهما بعد قليل

يجره بجانب عنتره وهو جالس على صخرة وكان شيبوب يتكلم وهو سائر

حتى يصل الى عنتره )

لا تبصران الصخور ولا الخائل ولا الجحور حتى انني كدت أن أحله

عنتره - لكنه يحسن الهرب !

شيبوب - لا ، انه لم يهرب وكان جالسا على مقربة من صفاة ، وقد طعن

نفسه بسهم عندما اقتربت منه ، وترى هنا قليلا من الوضوح فانظرا

( ثم يزيح شيبوب اللثام عن وجهه ويحدق فيه )

آه اوزر ! !

عنتره - وزر ؟ انحل ؟ كلا !

شيبوب — هو بعينه

عنتره — الفارس الختال الذي عرفته من قبل؟ (ثم يحدق به هنيهة) نعم نعم  
كيف تكون خائناً؟ اقبلت في الليل الدامس لتقترف أئماً ملؤه النذالة والصغار،  
ولم ير مثله في البلاد العربية! هل بلغت بك السفالة ان تفعل فعلتك هذه؟ ماذا  
عملت بقناتك وحسامك؟ لقد أحسنت بستر وجه دمع بيمسح النذالة والجبن. ما  
أبشع هذا الوجه الدميم. أنهض وترفع عينين باردتين ملؤهما الخجل والحزي؟ أم  
يتلفنان لاقتراف جرم آخر؟ تكلم.

وزر — عيناى فارغتان وقد استعضت عنهما بقلب ملء حقدًا!

عنترة — ولم؟ وعلى من تحقد؟

وزر — لا تتعاهل وما هو الا عليك!

شيبوب — ماذا تقول؟

عنترة — دعه! ويلزم أن يوضح هذا الرجل. أجب!

وزر — أنظر اذن! ها هو جوابي! هاتان العينان الخامدتان المفقوتان كأنهما

جحران أسودان كثيبان! آه! انك تسميني النذل يا عنترة وما النذل الا أنت!

شيبوب — قد بلغ السيل الزبى!

عنتره (وهو يزيح شيبوب عن وزر)

اتى اجهل أمرك، ولقد أسرتك من قبل وانا راع صغير الشأن وانت فارس

مدجج بسلاحك ثم سافرت فى مساء ذلك اليوم وسلمتلك الى غيري ولا أعلم ما فعلوا

بك فى غيبتى وأنت أسير

وزر — ألم تك أنت الذى أمرت أن يفتأوا عيني؟

عنترة (وقد غير لهجته شيئاً فشيئاً)

كلا! فاني لأعرف أن أسىء الى ضعيف. أما كمت أستغرب ما حصل لك

منذ هنيهة؟ وكيف لي وأنا الذى مازلت أحارب ورائدى الشرف ومبدئى النبل

أن تعزو الى هذا الجرم الفظيع دون عذر أو مبرر. أو يتهمنى به عدو مقهور موقوف

مهبش صدره الجسد . اننى فتمت بالحروب وهي صناعة كثير من الملوك ذوى الحول والطول وغيرهم من السادة الامجاد الذين لا يستطيعون أن يشفقوا لهم طريقا إلى الافئدة ويعتقدون أنهم بالغوها بظبا البيض الصفاح ، وهذا خطأ ظاهر وما فنى الانسان عرضة للخطأ

أترك الانسان حنقه ليمطش بالمقهورين ويخفى ارواحهم من أعماق جفونهم ويسلبهم حقهم في هذا النور حتى يجعلهم أمواتا وهم احياء كلاً ! ثم كلاً ! وأقسم بهذا الهلال الصدي الذي بزغ في السماء ، اننى لا أستطيع أن اقترف مثل هذا الاثم . أنهم يريدون أن يلوثوا اسمى بمثل هذه الريبة ويجردونى من الخير الوحيد الذى يقود الى المجد والفخار وهو الطيبة ... فهل تثق بي اذن ؟

وزر - اثق ؟ ... نعم ! ... أود أن لا أثق ، اننى أبحث في قلبى وافتش في ذاكرتى لان عندي أسبابا أخرى أهم وأقوى تهرى بغضك ! ... مهلا ! ... ( يناجى وزر نفسه على مسمع من عنتره ) ان كان ترك لك عينيك ولم يكن لك جلاداً فهل كف ان يكون خائناً لكل عربي يحب حرية واستقلاله . انه يريد أن يبيع ويسلم بلاده الى الفرس

( ثم يوجه الكلام الى عنتره ) وهذا ما أعرفه منذ أكثر من عامين ، لقد كبر وعظم جرمك حتى برر كل اعتداء واغتيال وسحب ذيل النسيان على الجريمة التي كنت ضحيتها ، والعربي لا يحفل بفقد عينيه وموته في سبيل انقاذ بلاد العرب عنتره - هل نصبت نفسك حكماً ؟

وزر - ( وقد اطمأن شيئاً فشيئاً ) لقد حكمت نفسى بكل الوسائل من سلاح وقول وكل ما يصلح للقتل والانتقام ، اما ترانى اذن جريئاً سفاحاً ؟

عنتره - عجباً لك ! كيف يعرفون أن يشوهوا الحقيقة الحسناء ! يخفون صورة الجمال تحت كثيف البراقع والاصباغ كالمعجائز ينقش وجوههن بالوشم ويتكحلن ويصبغن خدودهن بالحمرة . يريدون ان يزيدوا الجمال حسناً فيشوهونه . يجب ان تغمره الشمس وهو فى صحة عريه فيتركونه فى بساطته ووداعته ويزيلون هذه الصبغة الدميمة التى تحجب

أصبح لي ياوزر : فاني ساجعل جمال الحقيقة ولونها الوضاح يخترقان جسمك الى  
أن يبلغا نفسك السوداء وسوف أقتل فيك الريب والشك بكامة : اما كنت فيما  
مضى صديقا للملك المنذر  
وزر — أنا ؟

عنتره — نعم أنت ! وتعلم جيداً مقاصد هذا الملك  
وزر — (بلهجة مرة) بلى ، وهي وحدة العرب في يد ملك فرد ، وهذا صحيح ،  
ولكن ذلك لم يكن الا حلماً لذيذاً  
عنتره — ماهو الآن بحلم  
وزر — وكيف ؟  
عنتره — لقد تخلص وتحرر من نير الفرس وسأنضم اليه الآن . . .  
وزر — تتضمن اليه ؟

عنتره — وستظهر حكمة فرد آخر كطالوع الفجر ويؤيده الله بقوته فينشر  
قوله الابدي . ألا تشعر بالارض وهي عميد قبل انتشار هذا القول الذي سيمليه على  
الناس رب قوى عظيم . لقد زلزلت الارض زلزالها واهتز النخل في الصحراء من  
عبث رياح السماء اللوافح ، وأصبحت آمال الانسان تتتابع مسوقة بنسيم الصبا  
كأسراب هائلة من بنات الهديل تنشد ايكا تحيط عليه لتريح أجنتها المتعبة فلا تعثر  
عليه . تسير تلك الاسراب حيارى مترددة لارائدها الا المصادفات : ولكن  
المغرب سيتوهج شفقة بزخرفه وقد اقرب الزمن الذي ستنتصل فيه الارض بالسماء  
حتى يسمع أهل الدنيا كلام الله الكريم ، كلاماً ذهبياً في اطار الالفاظ اللعينية ،  
وستهب قبائل العرب من كل فج عميق من فيافيهم المترامية الاطراف وقت طلوع  
هلالهم الفضي المتألق . . .

(ينوه في هذه الفقرة عن اقتراب ظهور النبي (صلى الله عليه وسلم) ونزول القرآن )  
وزر — او اه ! انى لاشعر باستنارة أمارتي بالسوء باحمرار الفجر وضوء الارب  
صببت عليكم اللعنات يا من خدعتموني ! لقد قطع سهمي خيط حياته الذى تتعلق

به آمال أسلافنا وهذا الخيط الذي انتظمت فيه حبات المستقبل ! يالك من خونة  
مجرمين ! وان قبره سمدفن فيه بلادي ! عفوا وغفرانا !

عنبرة — لقد عفوت عنك وسامحتك ولكن هذا الجرم سيقع على من حلّوه  
وان أتمك قد خط فوق الرمال وسرعان ما تمحوه الرياح ، ولكن المجرم المحرض  
سيلاقي جزاءه في القريب العاجل ان امتد الاجل ، وإني أحمد الله وأمجده وآمل  
أن يكون الجرح خفيفا ...

وزر — ( بلهجة قوية وأنفاس مضطربة ) ماذا تقول ! هل أصابت طعنتي ؟

عنبرة — لقد أصابت ذراعي وليس لها أقل تأثير

وزر — ( وهو هائج ) انها لعظيمة خطيرة ! فاسحقني بحجر من هذه الاحجار  
كما تسحق العقارب والافاعي ادفعني بقدمك بكل ازدراء واحتقار فاني لا استحق  
أية رحمة ولاشفقة ! انني لتعس شقي ! وان جرمي لعظيم لم يخط فوق الرمال .  
لقد نقش نقشا عميقا فوق جسمك الكبير الذي يماثل النحاس بصلابته بآلة الحقد  
والحفيظة ! فاسحقني سحقا !

عنبرة — ولم هذا اليأس ؟

شيبوب — انني خائف !

وزر — هل اسود الجرح ؟

شيبوب ( وهو يزيح الثوب عن الجرح ) نعم قد اسود !

وزر — ( وقد كشف عن صدره لشيبوب ) انظر هل اسود جرحي مثله ؟

شيبوب — لا يفترق عنه

وزر — ( وهو خائر القوى ) هذا هو المنتظرا ولا يغني حذر من قدر ، اي عنبرة !  
قد اشتريت جرمي بحياتي واني اريد نجانك ولا استطيعها لان سهمي يحمل السم  
الزاعاف بين اسنانه ...

شيبوب — ويل لك من شقي ! ألا تجد له دواء ؟ ...

وزر — هيهات هيهات

شيبوب - ولو يقف سير السم

وزر - لا ينجع فيه دواء

شيبوب - ولكن الادوية كثيرة جداً

وزر - كلا ان سمى لادواء له وهو يدفع كالسيل وهو هو الذي يقتلني

انني اعالج سكرات الموت يا عنصرة فاصفح عني وسامحني !

عنصرة - مت بسلام واطمئنان !

وزر - ما العمل الآن؟ ويل لي من شقي ! لقد نسيت ! اسرع عنصرة وفوت

مالك وزوجك ورجالك من هذا المضييق ، فان عمارة الوغد الذي قادني الى هذا

المكان يتربص لقتلك ... ومعه مائتان ... وسيمرون من هنا

عنصرة - انتى ما زلت قويا قائماً على رجلي فقل لي أين هم ؟

وزر - كلا ، فلات ساعة لحاق يا عنصرة والافضل الهرب ...

عنصرة - الهرب

وزر - ليس لك ! فلا فائدة لك منه ترجى ... ولكن الآخرين فهرّبهم وان

ساعدك لكفيل بهرب زوجك وعشيرتك ... فعجل دون ان تنتظر أن يكفر

موتي عن حياتي ...

شيبوب - اواه ! انك ان تموت

عنصرة - لم يرد الموت ان يدركني في الحروب !

شيبوب (مهتدا جثة وزر) ويل لك أيها الخائن !

عنصرة - (يمناه) ولم هذه الاساءة للموتى ؟ فليمنم بدعة وسلام وان موتى ان

يختلف عنه في الاجل والشكل وسيموت كلب ضال وهو في عنفوان قوته دون ان

يتب الوثة الهائلة ليصل الى الماء وينهل الحياة . ولما شحب لونه واسلم روحه الصغير

ومن يعلم لاي جلد ؟ . مات من غلته أمام خرير الماء . كلا فاني سأثب هذه

الوثبة مهما حل وحصل ! وسأحيا !! وسأحيا !! اذ لا بد ان احيا . او قد النار يا شيبوب

واصر حد السيف او الرمح فان السم مهما بلغ امره فلا يقوي على الحرق اذا مات على

الجرح وان مات فسأموت مختالا فخورا . ويخيل الى وقتئذ اني قتلت بالحديد  
( وقد اسرع شيبوب في ايقاد النار بقطع من الخشب ثم وقعت عيناه على  
جثته وزر ) ولكن الآخر مات بنفس الجرح وقد سرى السم في جسمه وأصبحت  
جثة بمثابة نذير ! إلهي انما انا عبدك وخادمك ! انني اسمعى واعمل لك فلا تمتني  
هذه الميتة بل على الاقل في الموضع الذي ينتظرني فيه الحصاد ! يال هذه العجبة ! انني  
وجل ! وعيناي تطرفان أمام الموت كما تطرف اجفان المولود الجديد من الضوء . ما  
انتابني قط الخوف فكيف حل بي الآن . واذا كان الانسان في الحروب مقداما  
جريئا فهل يكونه دائما في كل المواقف ؟

( ثم يسوق الكلام الى شيبوب ) هل تمكنت من مشاهدة عبلة وتطمينها ؟  
شيبوب - انها نائمة وتنتظرك وهي واهية القوى من وعشاء الرحيل والتأثر  
والفضل لسلمي في تهدئتها

عنتره - ما اعزك على يا عبلة !

شيبوب - لقد احمر النصل

عنتره - يجب أن تضع النصل المصهور في الجرح دون اضطراب وارتعاش  
فان حياتي معلقة به

شيبوب - واسفاه ! ستألم كثيرا

عنتره - كلا ! احرق ! احرق فاني لا احب أن أموت ( ثم يعري عنتره كتفه  
فيكوي شيبوب الجرح )

ثم ينزل الستار

الفصل الخامس

عنتره وشيبوب

يأتیان من المعسكر والوهن باد على عنتره وهو متوكيء على كتف شيبوب  
شيبوب - نعم ، لقد بدد صوتك الشك عندهم والباقون سيستعدون لموالة سيرهم  
عنتره - ولكن هذا يوم الراحة الذي وعدوا به

شيبوب - لم اقل عنه شيئاً البارحة ، وقد ارجأت البت فيه الى هذا الصباح

عنبرة - الا يدهش أحد من هذا السفر السريع ؟

شيبوب - كلا وفضلا عن هذا فلا يعلم القريبون منا ولا البعيدون بمصائبك ..

هل تشعر بتحسن ؟

عنبرة - ان نسيم الصباح يطفئ قليلا الحمى ! والسكى وحده الذي يؤلمني اهل

دفن ميت البارحة ؟

شيبوب - أجل ، هناك بجانب تلك الخيمة

عنبرة - ان الموتى مهما بلغ أمرهم لهم الحق في الراحة . ولنتنخب الآن

المكان الملائم لمشروعي ... هناك ! لا .. بل بجانب تلك الهاوية فانها مكان

مكتشف قليلا ... ويجب أن يتمكن العدو حينما يصل من رؤية عنبرة حياً أو ميتاً

والآن أيها الرفيق والاخ يجب أن نفترق في هذا المكان ونترجم من هذا الطريق

الذي كان بالامس طريق الامل ، أما أنا فساتم حياتي وواجبي

شيبوب - ألا تريد اذن ان أنوب عنك

عنبرة - ولم ياشيبوب يحدث موتى ارتبا كافي سير الامور ؟ وتصبح عبلة وسط

هذا الاضطراب دون ان تتمكن من الوصول الى الملك ؟ لا ! بل يجب أن ينفع

حتمتي رجالي وعشيرتي ومجدي ويترك فقط من الابرز الوهاج في صفحات تاريخي !

شيبوب - ولسكنني سمعت ان لدى المنذر كثير من علماء الطب فتعال ! تعال !

ومن يدري ؟

عنبرة - لقد فات الوقت ، اذ بيننا وبين المنذر ثلاثة أيام ولقد مات وزر

بسرعة ولا مرد للقضاء

شيبوب - نستطيع أن نؤخره بمجهود عظيم !

عنبرة - لا يمكن تأخير ساعة الموت ، ولم هذا الجشع الذي ينقص الكرامة

ويسقط الاعتبار . وصباح حافل بالحوادث خير من يوم عظيم خال .....

أتبكي ؟ ومتى كانوا سيكون فارساً سقط عن جواده في ميدان المجد والفخار ؟

شيبوب — انني أبكي قومنا جميعاً ، أبكي بلادك وأمتك وكل ماسيموت  
موتك . عفوك اللهم وغفرانك !

عنبرة — ان مستقبل الامة والبلاد لا يتوقف على فرد ولو كان فارس الزمان  
أو كان ملكاً دانت له الدنيا من أقصاها الى أقصاها ولا شيء يقف تقدم أمة . انني  
أراها ترقى وتتقدم من المشرق الى المغرب في ازدهاء . كسف الكوكب الذهبي في  
فلـكه . ولا يهم النور الختالة حتى الخطاطيف ريشة تزيد أو تنقص من  
أجنحتها القوية !

شيبوب — كلا يا عنبرة ! فان هذه الفكرة لا تنطبق على ذويك !  
عنبرة — حتى ذوي ! اذ سيكون ألمهم شديداً ينفذ الى سويداء قلوبهم . وكل  
شيء في الدنيا يتألم حينما يولد أو يخلق حتى الحبة تتعفن قليلا قبل أن تنبت وما الحياة  
الا ثمرة شجرة الموت . اذهب وارحل فاربما رأيتني في يوم قريب وسأظهر لك مرة  
ثانية في الحيط الاسود الذي يخطه موتي في الموضع الذي مر فيه الزارع . وستنبت  
تحت قدميه الحبة التي بذرها . سافر واسهر عليها واحرسها أيها الصديق والحارس  
الامين ، ومن يدري ماذا سيكون شأن المولود الذي ستلده

شيبوب — ( وهو ناظر الى جهة المعسكر ) اذهب وكن على رأس الجند ومر  
من المضيق !

عجلة — ( آتية من المعسكر وهي تعدو وشيبوب وراءها . ) اواه عنترتي لقد فهمت  
كل شيء وحدثني به قلبي لا تمكر على فان قلبي لقلب بطلة . ولو أنه تألم كثيراً  
ولكنه يستطيع أن يستمر في ألمه ( ثم تقع على قدميه ) انني لا أتألم اذا شاطرتك  
حظك ، أما أنا ظل ارتبط بظلك ؟

عنبرة (وقد غاب آلامه)

هذه زهرتي المسكينة قد أضجعها إعصار وهي مثقلة بماء السماء . انهضي فان  
الشمس ستشرب وهي منحنية عليك عبرات حبيك . لقد بدد الحديد المصهور كل  
خوف واني لاشعر بخفة وطأة الموت وأكاد أفلت من مخالبه . وانك تستطيعين

ياعبةلة ان تفهبي وانت مطمئنة مرتاحة البال (ثم يقول بلهجة حنان وتأثر ) هذا واجب عليك ، وان لك غرضا يجب ان يكون نصب عينيك ستبتلع له نفسك وهوامل عظيم يتوج المرأة ويولد الفد من اسراره الخفية . . . وحبذا لو نضجت ثمرة حبنا ياعبةلة وان مت وجب عليك ان تضاعفي حبك لهذا الخالق الصغير (ثم يبتسم ) ولكن ما العمل ؟ وكأني احزنك وافطب جبينك واسعد عبراتك ، ولكن كل شاعر حزين الفؤاد ولو من غير ماداع ولا سيب

عبلة ( تنهض وهي منهوكة القوى مصعدة الزفرات ) سأرحل ولكنك لاتخذعني واعلم أن كل لحظة أو خطوة تبعدني الى الابد عن وجهك ونظرك المملوء بالعطف والحنان ، ولا تقل عنك شجاعتي وسأذهب طائفة ، وأتمنى ان ألد ولدا يثار وينتقم لابيئه ! وانى احب الحياة لاجلكما . وهل يساعدنى الحظ على نيل هذه الامنية ؟

عنزة ! إني كالسكرى من هذه الضحية وذلك الالم . فالوداع الوداع ! وآمل أن لا تلين عبراتي من قناتك ثم يتعانقان

عنزة - الوداع الوداع يا ابنة الامير النبيل سلالة الابطال الامجد الذين يقابلون الاهوال بعيون كعيون النسور القشاعم ، ان دم اسلافك لا يكذب كما يصدق دم راعيهم القديم الذي نال الشرف اليوم ( ثم يهبط حب شيوب عبلة )

اذهبي ولن ترحلي وحدك ياعبةلة ، ان نفسي لتشيع خطواتك وسأجعل نصب عيني الساعات والايام التي نسجت منذ طفولتنا خيوط حبنا وسابذرهما في الهواء لتكون ذرات حياتي هذه بمثابة حرس عظيم ! ثم احرسكم جميعا فيما بعد من اعالي السماء

( ثم يعود اليه شيوب )

شيوب - يالك من مسكين ! يجب ان تلحق بها في اقرب وقت . هيا بنا فاننى تام العدة والسلاح، وهذه آخر واقعة اخوض غمارها ويلزمني ان أستعد لها كالفوارس البواسل وأتلقى الطعنات الى ان أقع مضرجا بالدماء

شيبوب ! يا أنخي وزميلي في الحروب لتتعاثق دون ضعف أو اسف لا يجدى  
ولا ينفع ، وعميون جامدة لا تعرف أن تدمع  
( ثم يطيع شيبوب إشارة عنقرة وهو يكظم زفراته ويذهب )

سأمت الآن بغير شهود ونعم ما فعلت . اتني استطيع الآن ان اعبر عن  
آلامي ويتسنى لعيني أن تبكي دون ان تسيل عبرات الآخرين . لقد خارت قواي  
ولكنني ضاعفت قواكم ولن يرى احد منكم ضعفي وآلامي . ( ثم يخرق شعاع  
من الشمس المشرقة سحب الضباب المربد وينير وجه عنقرة )

والشمس لا تفرق عنا اذ تولد ثم يراها الناس وهي تموت . ايتها الشمس  
اذهي الى ذويّ وانضمي الى موكبهم وقولي لهم باني احميهم في الحياة وفي الممات !  
الوداع يا اماني الحب والمستقبل الزاهر اواه ! انني اشعر ان البرد يغير على شيئاً فشيئاً  
وقد اضطربت عيناى . ماذا دهاني ! هل هذه وطأتك امها الموت ! مهلا مهلا ! فاني  
انا الذى اهاجمك واشد عليك دون وجل . لأمتط الجواد والرمح في يدي كما كنت  
من قبل وساجبرك ان تخضع لامري وسيقود ذراعي سيرك الاعمى الاحق

( ثم يعلو جواده وهو في الرمق الاخير ) والآن تفتح روحي جناحيك فطر  
وحلق ! انجلى الى اني انام نوما هادئا وأرى سربا من الطير آتيا من المشرق ! . . .  
يقترّب منى ويحيط بى ثم يذهب ويعود . ولكنّه حياتي باجمعها التي تضمني  
كأ كفان نسجتها الايام التي عشتها ايام الامل والحب والحرب ، ان الماضي يعرض  
امامي وارى اول الكفن ! اي ايام الطفولة ! ان خيوطك لمن خز وعسجد وانت  
وحملك اللامعة الزاهية النانستج بايدنا أ كفاتنا ، وهذا كفنني يطويه الموت باصابعه  
وهو يدفني في طيات حياتي ! . . . لا تتحرك يا عنقرة . . . يجب ان يراك العدو حينما  
يقبل مستعدا لا لكفاح . .

( ثم يسلم النفس الاخير ويميل برأسه ويبقى جسمه منتصباً معتدلاً مستنداً ذات  
اليمين الى رمحها وذات اليسار الى الصخور القائمة وفي هذه الآونة يأتي الرجال

شاهرين رماحهم وسيوفهم وعلى رأسهم عمارة بن زياد فيلح على حين غفلة عنتره وقد  
اضاء وجهه شعاع الشمس المشرقة فلمع سلاحه وهو راكب جواده  
عمارة - آه ! انه لحي لم يمت  
الباقون (وهم يولون الادبار مذعورين ) حي  
ينزل الستار

### الغادة ذات الكاميليا

#### تحليل وتقد

الكسندر دوما الصغير — علاقته بماري دوبليسي — فضله ومكانته في التأليف  
التمثيلي — الغادة ذات الكاميليا — لأتوافياتا — ترجمتها الى العربية — تمثيلها  
بمسرح رمسيس — يوسف بك وهي والسيدة روزاليوسف وعزيز افندي عيد  
ولهذا الكاتب الشهير بباريس سنة ١٨٢٤ وتوفي سنة ١٨٩٥ وكان ابنا دعيا  
للروائي الشهير دوما الكبير . وكان جده الجنرال دوما هجينا دعيا أيضا اذ حملت  
به أمه وهي احدى زنجيات جزيرة هايتي من المركز لا بايتري بلا عقد بمدينة  
جيرمي بهايتي وهي احدى جزر الانتيل . وما أردت سرد هذه الاسرار الا  
لا بين نفحاتها على المؤلف وتأثيرها العظيم في رواية الغادة ذات الكاميليا ودفاعه عن  
النساء الساقطات لان هذه المسألة هي ( قضيته الشخصية )  
يعد المترجم له من اقدر الكتاب في الروايات القصصية والتمثيلية في القرن  
التاسع عشر ومن مزايه ان يهيم على الجمهور في المسرح ويواجهه بصدماته  
ويسيطر عليه ويخضعه . تمثله ذو نشاط وعمل وسرعة حماسية وروح جذابة في  
التعبير . لغته تتم عن القوة والثبات . ومحادثاته المسرحية ملأى بالحماسة وتبر  
بنكاتها الادبية .

ولع دوما بالنظام والظرف واشتهر بطاولة اسلوبه في المحادثة والقصص كما انه

كان من الواجب بالفتون الجميلة وكان رقيق الشعور يتألم من الرذائل والمساوى ويحاربها بعزيمة ماضية لا تعرف المال . وقد اعطى لفته شكلا اجتماعيا واخلاقيا عظيما : وكان غرضه الذي يرمي اليه تعضيد المجتمع الانساني باصلاح الاسرة التي يجب ان تؤسس على الحب لا على المال . وحيما كان يحارب الاوهام الفاسدة يشتبك مع الجمهور في حرب عوان ولكنه لمهارته وجرأته وشدة عارضته وقوة احكامه المنطقية وما وهب من الاستعداد اصبح واثقا من الانتصار عليه والظفر به حتى أصبح من أنبغ الروائيين في القرن التاسع عشر (ماري دوبليسي)

كانت تعرف أيضا باسم الغادة ذات الكامليا لانها كانت مفتونة بازهار الكامليا وزين بها صدرها وأنتىها واشتهرت بجمالها وعيشة البذخ والترف وقد ولدت بمدينة (فوان) بمقاطعة (ارون) سنة ١٨٢٤ وماتت بالسل بباريس سنة ١٨٤٧ وهي في ربيعها الثالث والعشرين وقد هام بها دوما الصغير واتخذها صاحبة وخلد ذكرها بروايته القصصية والتمثيلية

#### الروايتان القصصية والتمثيلية

##### للغادة ذات الكامليا

كتب المؤلف روايته القصصية سنة ١٨٤٨ ولا حاجة لذكر الموضوع فقد سبقني كثيرون وذكروه في تقاريرهم بل اكتفى الآن بتحليلها يتساءل الناس لم حازت هذه الرواية هذا القبول والنعاج وأبكت السامعين مع انها ليست باعظم ما كتب المؤلف ؟ فنجيب بان هذه الرواية هي تاريخ حقيقي للمؤلف مع صاحبه ماري دوبليسي ودفاع مجيد عن قضيته الشخصية وعن حمليته . فهي تفتن بسرعة ارتباط الحوادث ببعضها وانشائه السهل الممتع الذي لا يشوبه تكلف وعواطفه المتأججة

وقد انتقد البعض المؤلف ولا موه على تعضيد نظرية فاسدة ضارة بالنظام الاجتماعي وهي تجديد شرف الساقطات بحب الشريف من الرجال ولكنه ليس

بأول كاتب اتبع هذه النظرية وقد سبقه كثيرون من زمن ملبيد . ولم يعد دوما هذه النظرية بشكائها القديم ولكنه أتناها بشكل حديث مؤثر حتى استطاع أن يبكي العميون الجاملة وما وسع الناس بعدئذ إلا أن يهشؤوه ويفخروا به .

ثم استخرج روائينا من تلك الرواية رواية تمثيلية مثلت لأول مرة بمسرح الفودفيل في ٢ فبراير سنة ١٨٥٢ وقد أحدثت انقلاباً عظيماً في فن التمثيل ولم تك هذه الرواية جديدة بالنسبة لموضوعها أو فكرتها أو لأن الكاتب اختار موضوعاً تجديداً في مذهب (الرومانتسم) وهو استرداد اعتبار البغي وأعاد (ماريون دولورم) بل لأنه أتى بشكل جديد وأظهر على المسرح مناظر وملابس الحياة الحاضرة وأسس كوميديا الاخلاق الحديثة التي تشمل أخلاق العصر الحاضر في دائرتها وشكائها الحقيقي وكذلك اقتفى أثره أغلب كتّاب الروايات التمثيلية الذين انضموا في سلك مذهب (الرياليسم) أي مذهب الحقائق

كل هذه الظروف والاعتبارات التي شملت هذه الرواية جعلتها أكثر تداولاً من جميع روايات المؤلف ولو لم تكن أهمها لأن روايته الأخيرة (فرنسيون) التي مثلت لأول مرة سنة ١٨٩٧ تعد ضفوة مؤلفاته التمثيلية وقد مثلها الممثل الشهير (الوبارجي) بالابورا الملكية من خمسة عشر سنة تقريباً

وكانت بعض روايات (دوما) يشوبها شيء طفيف من العيوب لتقليده للروائي الفرنسي (سكريب) والحشونة في بعض المواضع والتكلف والاحكام المنطقية التي تبعد من المعتقد أحياناً . ولكن هذه الشوائب تهرت بظهور (فرنسيون) ودات على نفحات جديدة أنت من فجع عميق واسعدت كاتبنا بهذا الرقي الباهر

#### — لاترافياتا —

استخرج فردي من رواية العادة ذات الكاميليا الاوبرا المسماة (لاترافياتا) وهي من أحقر مؤلفاته وقد سقطت سقوطاً أبدياً من أول يوم مثلت فيه في (البندقية) وقد قطعت جبهة قول كل خطيب اذ اعترف فردي نفسه بسقوطها ونكتفي بسرد خطاب له كتبته في ٩ مارس سنة ١٨٥٣

عزيزي لو كاردي

« لم أكتب اليك بعد التمثيل الاول (الانرافياتا) وانى أكتب اليك الآن بعد التمثيل الثاني ولقد كانت النتيجة سقوطاً بل سقوطاً تاماً ولا أدري على من يقع الخطأ ؟ وافضل الامور السكوت كما أريد أن أقول شيئاً عن الموسيقى ولا أتكلم عن ساعدوني فردى

### ( ترجمة الرواية )

ليت شعري هل يجد الانسان ما سردهناه من المزايا النادرة من تلك البلاغة الساحرة والتحليل البسيكولوجية والاخلاقية والفكاهات الرقيقة والروح اللطيفة والابحاث الاجتماعية والعواطف الملتهبة والفن التمثيلي الذي يهيمن على السامعين بتأثيره ونظامه في الترجمة العربية ؟

كلا ثم كلا اذ لم يقدر المترجم شيئاً من تلك المزايا بل أبرز لنا شكلاً لا يزيد عن الهيكل العظمى للرواية بعباراة ركيكة .

### ( تمثيل الرواية بمسرح رمسيس )

أول شيء لفت نظري حينما فتحت برنامج الحفلة هذه الجملة « تفتتح الحفلة بمارش رمسيس تأليف وتلحين يوسف بك وهي « فقلت هذا فضل جديد كنت أجهله وانتظرت على جمر الغضا توقعه ولكن سمعنا لحناً غريباً ضئيلاً مريضاً واستغرب منه صديقي أيضاً الذي كان بجانبى وهو من المولعين بالموسيقى والتمثيل وله ذوق عظيم فيهما .

رفع الستار في الليلة الاولى في الساعة التاسعة والنصف وانتهى التمثيل في الساعة الثانية صباحاً وهذا حالنا دواماً نحن معشر المصريين لانظام لنا ولا ترتيب رأيت المناظر والملابس جميلة ولكن ينقصها كثير من الذوق السليم لا سيما ملابس النساء وترتيب شعورهن اذ كان يسود عليهن الشكل ( البلدي ) ونسبن انهن يمثلن نساء باريسيات ! . .

ان ما رأيته في تمثيل هذا الجوق لا يمتاز بشيء محسوس عن الاجواق الاخرى التي تفسكت أو الباقية الا بالملابس والمناظر ومن العيوب السائدة فيه عدم حفظ الادوار والاستعانة بالملقن كما ان الاشارات والحركات رديئة خصوصاً عند السيدات وكانت السيدة فاطمه رشدي ذات حركات ( بلدية ) وقد افقت الانظار بالضحك وقما كانت تشرح كيف خسر زوجها المحامي قضية وحكم على الذي دافع عنه بالاشغال الشاقة اذ كانت تحرك كتفها ويديها وتضرب على كفيها وكان على مقربة مني أحد الشبان الراقين من المشتركين في الاوبرا الملكية فقال : « اظن ان القضية كانت أمام محكمة الازبكية » فغرق الحضور في الضحك لهذه النكتة الطريفة التي تناسب المقام .

أهم أدوار الرواية ثلاثة وهي : دور أرمان ليوسف بك وهي ومرجريت لروزاليوسف ووالد أرمان لعزير افندي عيد . دخلت المسرح وكلي آمال واشتياق ولكن ما لبثت ان خابت كل الظنون وشككت في انه درس دراسة تامة ونال بعدها دبلوما . رأيت فيه جهودا في الجسم . القأؤه يكاد يكون على وتيرة واحدة خال من العواطف حتى ان تمثيله وسحنته لا يدلان على شيء منها وربما كان أليق قليلا في نوع آخر كالخزن أو الكلاسيك أو غيره وهذا مالا استطيع الحكم به قبل مشاهدته .

واذا قارنا بينه وبين عبد الرحمن افندي رشدي وجدنا الاخير أميز بمراحل ولو أنه لم يتلق التمثيل على أحد بل درسه من كثرة مشاهدة الاجواق الاجنبية المشهورة التي كانت تؤم البلاد . كانت روزاليوسف أمهر من باقي الممثلين في عدم التكلف في حركاتها وأشاراتها وقد أبكت كثيراً من الحاضرين واغرورقت عيني ولو اني لم أعجب بتمثيل الرواية بعد ما شاهدتها من كثير من مشاهير فحول الكوميدي فرنسيس عن زاروا مصر .

والذي ينقص الان هذه الممثلة نشاط الحركات وقوة الصوت وسرعة الالتقاء وقد سمعتها منذ اثنتي عشرة سنة في نادي الالعاب الرياضية هي وعزير افندي عيد

تمثيل ( ياست ما تمشيش كده عريانه ) وكانت وقتئذ نشيطة في الحركات رشيقتها  
رنانة الصوت . أما عزيز افندي عيد فلا يليق الا للنوع المضحك وكان دوره  
في والد أرمان رديثاً جداً بعيداً عن مهابة الآباء وحنوهم ورزائهم بصوت خشن  
أبح وحرركات مضحكة وقد ترحمت على أبي العدل افندي وقلت حينئذ لو  
كان حياً ومثل لنا هذا الدور الذي لا يحسنه غيره .  
وأملنا أن يعطي وهبي بك لهذه الملاحظات عناية تامة ويحسن اختيار الروايات  
وتعريبها .

## الابحاث الموسيقية

### الموسيقى في مصر

لا ريب أن الموسيقى من أعظم الفنون الجميلة التي أصبحت من الضروريات  
عند كل الطبقات ، وقد بلغت أوجها عند الامم الراقية ، وتمشت مع المدن حتى  
أصبحت معيار المدنية والرفي  
الموسيقى الراقية كالشعر بل هي متممة له ، لان كثيراً من الحالات النفسية  
العميقة لا يستطيع الكلام أن يعبر عنها ، واني أضرب لك مثلاً سهلاً .  
إذا قرأت أمام أمي جاهل مرثية من أروع الشعر الجاهلي فهل يظهر عليه  
أي تأثير ؟ أعد الكرة أمام الرجل نفسه واسمعه مرثية موسيقية راقية فلا ريب أنها تهزه  
وتحزنه حتى تقرأ علامات الحزن على وجهه وربما لا يقوى على ضبط نفسه فيتأوه  
أو يخونه الدمع ان كان رقيق الشعور .  
إن لم تكن الموسيقى واصفة ومصورة لكل ما تقع عليه العين من محاسن الطبيعة  
ومعبرة كالشعر عن اسمى العواطف وأرق الشعور والوجدان أولى بها أن تسمى  
اعطاء وجلبة تصدع الرؤوس وتسئم النفوس .  
لقد اهتمت مصر بالعلوم والآداب والفنون وأحرزت نصيباً يقارب

الضروريات ، ولكنها متقهرة في الموسيقى . ولم نر واحدا من أبناء الاغنياء أولع بهذا الفن وحاول أن يدرسه دراسة تامة تؤهله لخدمة الموسيقى والنهوض بها الى أوج الكمال . ولا يتأتى بلوغ هذه الغاية الا بدراسة الموسيقى الافرنجية ، ثم العربية مع نصيب كاف من الثقافة العامة ولا سيما الآداب وتاريخ الفنون الجميلة ، لانهما يشقان الذوق ويشحذان الخيال ويرهفان العواطف

اننا بدراسة الموسيقى الافرنجية بفروعها من سولفيج وأرموني وكوتريوان وتوزيع الموسيقى على الآلات نتمكن من اتقان الاملاء الموسيقى بان نكتب موسيقى الدور أو القطعة بمجرد سماعها ، ونرقى في الملحنين اذا نبغنا في الارموني واستطعنا أن نسترشد بها لوضع أرموني تتناسب مع موسيقانا العربية . أما الكوتريوان فانها تتمشى مع موسيقانا ولا تتنافر معها ولا تحدث فيها أية شائبة

ان موسيقانا لا تتعدى على الجملة : الضروب والمقامات ، وهي لا تؤهل الانسان للملحنين ما لم يكن الموسيقار قد وهب استعدادا طبيعيا وموهبة فنية وذوقا سليما كالشيخ سلامه حمجازي وعبد الحولي ومحمد عثمان ، وبهم استرشد ومنهم اقتبس جميع ملحنينا العصريين

المشتغلون بالموسيقى في مصر هم المحترفون والهواة وصبية رياض الاطفال وصبيات السنتين الاولى والثانية من مدارس البنات الابتدائية والجيش والبوليس والملاجي ، وسنتكلم عن كل طائفة منهم

ان المحترفين من عازفين ومغنين ومنشدين وملحنين يقنعون بالوصول الى درجة متوسطة أو دونها وليس عند اغلبهم ميل الى الفن ، والغاية التي ينشدها هي كسب العيش بدرجة يغبطون عليها من القناعة

والهواة من الشبان يكتبون بحفظ بعض البشارف والسماعيات وجانب من المارشات والادوار دون أن يهتموا بقواعد الفن واصوله

واما الفتيات فأغلبهن يتعلمن منهاج المرحومة ماتيلده على البيانو ويقلن به الجيران الى ما بعد منتصف الليل ، ولا يعزفن نوتة واحدة

ويستثنى منهم أفراد قلائل من الشبان والفتيات بلغن غاية عظيمة ويقولون دائما هل من مزيد ؟ ولكن لا يتجاوز عددهم أصابع اليد

اغتبطننا حين رأينا مدة انعقاد المؤتمر الموسيقي أطفال رياض الاطفال ومدارس البنات الابتدائية يمثلون قطعا استعراضية تمثيلية غنائية في غاية من الرواء والاتقان ويمثلون ادوارهم برشاقة واسترسال ويغنون الحانها غناء صحيحا شجيا ، وقد اعجب بهم اعضاء المؤتمر اياها إعجاب . ويسرنا أن نرى وزارة المعارف مهتمة بتنفيذ قرارات المؤتمر الذي اوصى بنشر التعليم الموسيقي في المدارس الابتدائية والتجهيزية . اذ قررت الوزارة في هذا العام تعليم بنات السنة الثانية من المدارس الابتدائية

اما موسيقى الجيش والبوليس والملاحى ، فقد ترقى كثيرا في السنوات العشر الاخيرة ولا سيما موسيقى البوليس فأنما تعزف كثيرا من القطع الافرنجية ومنتخبات الاوبرات المشهورة فضلا عن القطع العربية الراقية . كما أنهم أهتموا بتوحيد طراز آلاتهم حتى يكون فيها انسجام . وهم يعزفون عليها بلباقة وحسن تعبير ورفقة لم تكن موجودة فيما مضى

وإني أورد مثالين يظهران شدة الاهتمام بالموسيقى والتضحية العظيمة في سبيلها كلنا نعرف هكتور برليوز أعظم موسيقي أنجبته فرنسا . وكان في أول أمره طالبا في مدرسة الطب ، وكان أبوه طبيباً فلم يجد الولد في نفسه ميلا الى الطب ورجا والده أن يدخله في معهد الموسيقى فرفض وهدده بقطع مرتبه ، ولم يستطع الابن أن يستمر في الطب فدخل الكونسرفتوار . فما كان من والده إلا أن قطع مرتبه . فاضطر أن يعطي دروساً موسيقية بفرنك واحد المدرس ، واستمر في دراسته وهو يغالب الزمن للحصول على قوته حتى نبغ ، وهو الذي ابتدع الرومانتيسم في الموسيقى في فرنسا . والمثال الثاني يبين لنا اهتمام المهج بالموسيقى بدرجة لا تجدوها في المصريين

كنت في صغرى أقضي عطلة المدارس في قرينتنا بين أهلى ، وكان منزلنا في ربوة عالية تشرف على جميع القرية ، وكان في الحي الذي يلينا بيت تسكنه فئة من

العبيد يحيون الليل جميعه في الغناء والعزف والرقص الى أن تطلع الشمس ، ثم يذهبون الى عملهم وهو التجوال في القرى لجمع ( البجم ) من أشجار الاثل بقتله طويلا بطرفها شص كبير وهو يستعمل في الصباغة

كنت في الصغر طلبة أحب الوقوف على كل شيء ، وكنت أقرب هذا البيت الصادح الباغم من الاصيل بمنظار ، فكنت أرى النساء يكنسن فناء الدار ثم يرشونه ويفرشون الحصر ويصفون الآلات الموسيقية من دلوكت وطبول مختلفة الانواع والكسايوفون الفطري المصنوع من قطع الخشب الرنانة المختلفة الاحجام والكيزان الصفيح المشوة بالخصي الصغير بحملونها في أيديهم ويهزونها لتحدث ( دوكة ) مخصوصة وقت التوقيع . وحينما يقبل رجالهن بعد الغروب يهيئن لهم ثريد العدس . ثم نصف أقداح البوظة ، ثم يدخلون ويتسامرون ساعة الى ان ياتي وقت الموسيقى فينشطون لها يأخذ كل منهم آله الموسيقية وبتيمم الباقون للرقص والغناء ويستمررون في لهوهم الى مطلع الشمس دون ان يناموا ، ثم يذهبون الى عملهم ويقنعون بان يقيموا ساعتين بعد الغداء في ظل شجرة

ان الموسيقى الشرقية كنز زاخر بالجواهر والآلى واليوافيت وانكنا لانعرف كيف نستخرجها ونبريها بذوق سليم حتى تليق لان تزين بها تيجان الملوك ان للموسيقى العربية مائة نغمه (مقام) أو أكثر من مائة وزن (الضروب) ولكن أين النابعة المثقف الذي يحسن التأليف والتلحين

ان بعض الملحنين يبرزون في تلحينهم الى اختطاف ألحانهم من الألحان القديمة ثم يخلطونها بشيء من الموسيقى الافرنجية المنحطة التي نسمعها في أفقر المقاهي الافرنجية ويظنون لسنا اجتماعهم أنهم جددوا الفن ونهضوا به ، وما دروا أنهم شوهوره وفضحوه وهذا جرم كبير لا يغتفر ، غيرنا به كثير من المستشرقين

كانت الموسيقى المسرحية قد خطت أول خطوة في سبيل النجاح . ولكن القائمين بامرها لم يحسنوا ادارتها . وكان ينقصهم الحزم والتدبير والذوق الفني فلذلك فشل المشروع في عامه الثاني واستمرت الموسيقى المسرحية في التمثيل الهزلي

والحمد لله قد نشطت هذه المسارح وسارت في سبيل الرقي لولا ما يصادفها من عقبة لم  
تدال وهي ندورة المطربين والمطربات الحائزين للاصوات الجميلة القوية الرنانة والثقافة  
الموسيقية الصحيحة

اننا معشر المصريون مقصرون في تجميل بيوتنا وانا عايشها بالفنون الجميلة حتى  
نسكن اليها بعد عناء العمل ونجد فيها من وسائل السرور والانس ما ينسينا آلامنا  
وينعشنا ويجدد قوانا

نجد الاسر الافرنجية تهتم بتعليم أبنائها الموسيقى وتعنى ربة الدار بنظام الحديقة  
وتنسيقها حتى تصبح جنة مصغرة تروح اليها النفوس المتعبة وفي المساء تجتمع الاسرة  
فتحي حفلات موسيقية ترقص لها القلوب وتنسى فيها الموم والالام

اما بيوتنا التي تجردت من جميع مظاهر الجمال والانس حتى نفرت منها  
النفوس ولم يطق الالبناء أن يطيلوا المكث فيها فينصرفون الى المفاصد من تجواهرهم  
ومعاشر ذوي الاخلاق الضعيفة فلا يلبثون ان تنسرب اليهم عدوى الرذائل  
ويصبحون في عداد الحشرات المؤذية

ان الموسيقى لغة القلوب ومهذبة الاخلاق ومرقعة الطباع ومبددة الموم والاشجان  
وخير لنا ان نهتم بها في اوقات فراغنا ونسعى في رقيها حتى نعيد عصر زرياب  
واسحق الموصلي

### بينهم وفن

لفيلسوف العظيم والكاتب الكبير ايوليت تين

« يلزمك يا ولهم أن توقع لي الآن السنوات التي من مقام السول مينور ،  
ألا تعرف المؤلف ؟ »

ان الموسيقى لها هذا التأثير الفتان لانها لا توقظ فينا أشكالا مثل المناظر الطبيعية  
وسحن الناس والوقائع والمواقف الممتازة ، بل تثير حالات النفس كأنواع الفرح



يوتڤوفن

والسكّابة ودرجات الانقباض والانتعاش ومنهى البشاشة أو البث القاتل الذى  
تضمحل أمامه القوي ، تطرد جميع الفكر فلا يبقى الا أعماق النفس والقوة التى لا  
نهاية لها وهي اللذة والالم وهياج وهدوء الخلقية العصبية الحساسة والاختلافات  
والانسجومات التى لا تحصى فى اضطرابها وسكونها . كما لو نزع من بلاد أهلها  
وطمست معالمها ومحي حرمها فلم يبق الا الثرى وأنواره وأطواره وصرير الرياح  
وخير الانهار والشعر الابدى المتباين للنهار والليل .

« لم أكن مصغياً لك ومسائراً لاني كنت أفكر ، فارجو منك أن تعيد القطعة

الثانية التى من المقام الكبير (الماجور) »

فأعاد هذه القطعة الثانية وهى مشجبة مؤثرة فكان الغناء ذو الاصوات الرائقة البلورية تزحف فوق الاصوات المؤتلفة فيختفي ثم يظهر وينشر التفافه المتموج ، كجدول ينساب وسط المروج فيخيل اليك في بعض الاحيان انه أنين الناي ، وفي الغالب تكون كصوت رخيم شعبي لهاشمة حزينة ، وتارة ينقطع هذا اللطف وتلك الرقة وتظهر ثانية النفس الهائجة وتثب أنغامها ثم تهوي كما يتحدر بين الجنادل أو كاهواء نفس رقيقة أو كاصوات رنانة لها انسجام غريب ، ثم تسقط كل هذه الاصوات وتختفي ثم تصعد جوع من أصوات صغيرة خفيفة الحركة ثم تهبط وتتابع كأنها ارتجاف أو اضطراب أو خرير ماء شعبي .

ولتعود اللحن الى مجراه الاول كانت الانغام ترجع الى سيرها الموزون وكانت لجعبها الرائقة تجري للمرة الاخيرة وهى اكثر تعرجا واعظم مما رؤيت في موكب من اصوات رنانة فضية ، اضرب دائما من يتهوفن ياوهلم ولكن اطل في هذه المرة واضرب كل ما يخطر ببالك فاستمر اكثر من ساعة ولم انظر ساعة الحائط وكنت في هذا اليوم مفتونا بالسماع ومكبا عليه اكثر منه

وقد ضرب في بادىء الامر اثنتين او ثلاثا من السوناتات باكملها ثم اعقبها بقطع من السانفوني والسوناتات المخصصة للبيانو والكنجته ولحن من فيديليو وقطعا أخرى لا اعرف اسماءها

وكان يصل هذه القطع المتفاوتة ببعض أصوات متوافقة منسجمة وبعض سككات كقارىء فتح ديوان شاعره المحبوب فتارة يقرأ في وسطه وطورا يقرأ في آخره فينتخب أحيانا فقرة ثم يبحث عن غيرها حسب تأثيره الوقتى

لبثت مصغيا لا اتحرك وما فتئت عيناى تحديقان بالمدفأ فتنبعث حركات هذه النفس العظيمة التى انطفت كما ينفرس الانسان في سحنة حية ليقرأ ما ارتسم عليها من العواطف . انها لم تحمد الا في ذاتها ولسكنها ما زالت أمامنا حية خالدة في بطون هذه الاوراق المسطورة . ان الشهرة العامة تكون في مكناها ظالمة جائرة ولقد عرف بانه أمير الموسيقى فى العظمة الهائلة والآلام المبرحة . وقد حددت هناك

مملكته ولم يمنح من الملك غير أرض مقفورة اكتنفتها الأعاصير الهوج فاصبحت  
يبابا فخمة تماثل الأرض التي عاش فيها ( دنت ) . انه يملكها ولا يستطيع موسيقى  
غيره أن يلعبها ، وقد استوطن غيرها .

ان اجمل وانضر رياض الحلاء وقد انبتت من كل زوج بهيج واعطر الوديان  
الباسمة ذات الظلال الوارفة والازهار الرشيدة الفيحاء وأرق نسيمات السحر العلية  
الخجالة ، كل اولئك ملكه وفي حوزته . ولكن لا يدخل فيها نفسا وديعة هادئة  
لان الفرح كالآلم بهزه كالريشة في مهب الريح

ان احساسه اللذيذ عفيف وما هو بسعيد بل مذهول ، ومثله كمثل رجل قضى  
ليله حليف الموم والاشجان فأصبح يلهث من الآلم وظل يخشى ان يفاجئه نهار اسواء  
من ليله ، لمح فجأة منظرا طبيعيا جميلا عليل النسيم مخضلا بالندى فانجفت يداه  
وتنهت تنهد من تخلص من كروبه واعتدلت جميع قواه بعد انحنائها ورزوحها ، واندفاع  
سعادته لا يذلل كوثبات يأسه ، تنهافت نفسه على كل لذة . سعادته مؤلمة وما هي بهنيئة  
ان قطعة التي كتبها من سرعة ( اليعجرو ) تنقز كالامهار الطلقة فتعبت بالمروج الزاهرة  
وتهشم ما تصادفه وقت جماعها . وأشد وأعنف منها قطعه التي من سرعة ( برستو )  
ولها جنون لذيذ ووقفات فجائية مختلفة وقطع تماثل سرعتها خبب الجياد ولكنها  
غير منتظمة ويطرق ( فوجها ) الرنان على ملامس البيانو . وبينما تراه وسط فرحه  
الاحق اذ سطا الجذ الفاجع فلم يغير سيره ويهجم عتله الى الامام بنفس العنف  
كأنه يخوض غمار المعركة ، وهو مثل دانا بعنيف سرعته ولكن بوثبات غريبة  
وخيال خصيب حتى ان المشاهد ليف مذعورا من عنفوان هذه الحياة الوحشية  
وكثرة هباته وحر كاته المفجائية وجراح تنويعاته غير المنتظرة التي تنقطع وتتضاعف  
بشكل لا يبلغه التصور ولا يحظر على البال ، وكل ذلك يعبر عن تلك الحياة دون  
أن يستنفدها . . .

« ثم قال لي ولهم : « الآن اعزني اصفاك » ثم ضرب القطعة النهائية من  
السونات الاخيرة .

انها لجملة تتركب من سطار واحد بطيئة تعبر عن حزن لاحد له تتردد بدون انقطاع كتأوده طويل ويسمع تحتها أصوات مختلفة متسلسلة وكل لهجة تمتد على ما يتبعها ثم تخفت وتغيب كمثل صيحة انتهت بتأوده بحيث ان كل شعور جديد بالآلام كان يحفه موكب من الشكاوي القديمة وكان يميز وسط أنين الشكوى المرة الصدى الخافت الآلام الاولى . ولست تري في هذه الشكوى غضاضة أو غيظاً أو هياجاً . ان القلب الذي أصدرها لم يعترف بأنه بائس تمس ولكنه اقتنع بان السعادة مستحيلة وانه ليجد الدعة والسكينة في هذا الاستسلام والخضوع كمنكود سقط من عل فتشتم فطفق ينظر الى الجواهر المتلألئة في السماء والتي رصعت بها قبة ليلته الاخيرة فينفصل عن نفسه وينسى واجبه ولا يفكر مطلقاً في اصلاح ما استحال اصلاحه ويسكب صفاء الاشياء الالهية في نفسه لطفاً خفياً ويفتح ذراعيه اللتين لا تستطيعان ان تنهضا جسمه المتحطم ويمدحها صوب الجمال الخالد الذي يلوح خلال هذا العالم المحفوف بالاسرار .

نضبت عبرات الالم دون ان يشعر لتمهد ذرف دموع نشوة النفس وقت تجردها وبالحري ليندمجها في قلق مزج بالملذات وفي بعض الاثناء ينفجر يأسه فلا يلبث ان يفيض الشعر وتنتشر الالحان الحزينة الفاجعة وهي ملفوفة باصوات متوافقة فخمة لا يدركها الوصف ثم يطفو العظيم منها ويعطيها جميعها بانسجام مؤثر

وفي النهار بعد جلبة عظيمة ومعركة عنيفة يبقى العظيم وحده ويتحول الشكوى الى نشيد لتمجيد الخالق يدور بصوت رنان وهو محمول وسط انغام ظافرة . وتسمع حول الغناء في الاصوات الغليظة والحادة من البيانو جموعاً كثيرة من الاصوات السريعة المشتبكة المنتشرة انشباب نشيد الاستحسان وهو ينمو وينتفخ ويضاءف بدون انقطاع وثباته وفرحه . ان ملاس البيانو ليست بكافية اذ لا يوجد صوت لم يشترك في هذا الاحتفال . فالغليظة برعودها ، والحادة بتغريدها ، قد تجمعت كلها في صوت واحد . انها واحدة ومتعددة كالوردة الرائعة التي رآها (داني) وكانت

كل وريقة من تويجها روحاً سعيدة .

ولقد كفى غناء مركب من عشرين صوتاً لتأدية تأثيرات متباينة ( تركنا هنا جملة لم نستحسنها اذ كلها تشبيهات بأقسام الكنيسة واصطلاحاتها الدينية التي لا نجد لها تعريفاً وهي في ذاتها لهذا السبب عديمة الاهمية )

الغائب والاماني قوة لا تغلب ولا تقهر ، ولقد حاولوا اخضاعها بلا طائل وما فتئت منابها جارية . ولقد تكدست على المنبع جهود ثلاثين عاماً من أعمال وحساب وتجارب فظن انه جف ونضب ، وما لبث أن مسته نفس عظيمة حتى تفجرت ينابيعه وكانت أشد من أيامها الاولى فتحطمت الجسور : ولما طغى الماء اكتسح التيار المواد الثقيلة التي سد بها المنبع فزادته قوة فوق قوة . ومن غريب المصادفات اني رأيت ثانياً في هذه الآونة مناظر الهند الطبيعية وهي وحدها ، بما أوتيته من العنف والتضاد ، حرية بأن تعد الصور لمثل هذه الموسيقى .

وحيثما هب الرياح الموسمية وتتكاثر السحب المربدة فتكون سوراهاً لا كسواد القدر يغير على الزرقاء والدأماء ، وفي هذه الاكدام الفحمية تطير أسراب من النوارس لا يدركها الحصر وترى ذاك السواد المرعب وقد شابهته هذه الاجنحة البيضاء يزحف على الغبراء ويلتهم الفضاء ويفرق رؤوس الارض في البحر .

البحر وقتئذ السفن وفي آخر يوم جميل رأيت على بعد جزائر ( ملاديف ) وهي اثنا عشر الف جزيرة صغيرة من المرجان في بحر من الماس وجميعها تقريباً مقفرة ، نام الماء في خلجانها الصغيرة فزان رصفها بهداب من الجين .

وترى الشمس ترشقها بوابل سهام من نار وبعنبرج قنواتها ينساب ذوب النصار فيفجر اللهب المائلة وكأن البساط العظيم السائل وقد تشقق من اضطراب الامواج معدن مطروق مطعم بالاشكال العربية ، وقد لمع البرق فوق ظهر اليم بالآلاف من وميضها لا يدركها العد كما تتألق الجواهر على الدروع المرصعة ، فكأنها كنز لا حد ملوك الهند من اسلحة وحلي وخناجر مقابضها من الصدف وملابس مرصعة بالصفير وخوزات

محلاة بالزمرّد واحزمة مزينة بالفيروز واستبرق لازوردي موشى بخيوط الذهب ومرصع بالالآلىء.

بماذا تقارن هذه السماء البيضاء الناصعة ؟ هل رأيت عادة تختال في برد شبابها وصحتها وهي تنفض من رجة المذات وقد تحلت بأفخر مظاهر الزينة ليلة زفافها وانشبت مشطها العسجدي في شعرها وازدان جيدها بهقود اللآلىء وتدلى من اذنيها قرطان من ياقوت ، وحينما يضيء لألأء هذه الجواهر ورد بشرتها الحي يعلق في اغلب الاحيان على جبينها نقابا أبيض خفاقا ، غير أن وجهها يملؤه بنوره ، وترى ثوبها الرقيق الأبيض الذي يخيل اليك انها تختبئ فيه وقد صار لها فخرا زائنا وهذا مثل ذلكم البحر وقد اظلمته تلك السماء بضوئها الوهاج الذي ينساب كلما بعد تباين الوان السحب الرصاصية حتى أصبح شائقا فحما كالاحن الديني الشجي الفتان للرجل العظيم بعد ما جالد اليأس في ظلامه الخالاك . ان ذاك الم مهبج نفوسنا كما يوقظه فينا ذاك الرجل العظيم ، وسواء أكان في حضرة هذا أو ذاك ينقطع اسماع ونظر الاشياء المنفردة أو الكائنات المحدودة أو شطر من اعمال الحياة . أن موسيقاه هي النشيد العام للاحياء الذي يشعر فيه بالتمنم أو الشكوى بل انها النفس العظيمة وما نحن الا فكرها ، انها الطبيعة باكملها قد جرحتها الضرورات فشوهتها او سحقته ولكنها ما فتئت محتاجة وسط جنازتها وهي بين جموع الموتى الذين لا يدركهم العدو قد غطوها ، ترفع كفيها صوب السماء وقد امتلأت بالسلالات الجديدة وهي تصرخ صراخا غير رنان ولا مفهوم دائم الاختناق تسببه على الدوام رغبة لا يطفأ أوارها .

نظرت الى وهلم وكنا تقريبا في نفس تلك الحالة وتقدمنا الى بعضنا . استغفر الله فاننا لم نضع وجهينا المجعدين صوب بعضهما ولكننا قد تنبأنا بفكرتنا بعضنا في عيني بعض ثم ابتسمنا ، وكفانا في هذه السن أن نتصافح ...

## احتفال مصر بمرور خمسين عاماً

على وفاة فاجنر

في نفس الساعة التاسعة من مساء ٢٩ يناير سنة ١٩٣٤ التي كان الالمانيون يحتفلون فيها باويزا براين بمرور خمسين عاماً على وفاة فاجنر أكبر نابغة في الموسيقى في القرن التاسع عشر ، كانت مصر تشارك في هذا الاحتفال في المهر الملكي للموسيقى العربية والفضل في ذلك يرجع الى الاستاذ ستافرينو صاحب مجلة الاسبوع المصري التي تصدر بالفرنسية والشاعر المجيد خيرى نجل المرحوم خيرى بك الامين الاول للمرحوم السلطان حسين كامل .

وقد جمعت هذه الحفلة من عظماء المصريين والاجانب وكثير من الادباء والمصحفين وقد بهر الشاعر المجيد خيرى الحضور بمحاضرته القيمة التي القاها بلغة فرنسية فصيحة أمام جهاز الراديو الذى تجشم المهندسان الالمانيان قاما بتركيبه كثيراً من المتاعب حتى حصلوا على أعظم نتيجة اذ استخدموا محطة المعادى اللاسلكية وسطاً عليها سلك التليفون ثم وصلوا هذا السلك بالراديو وبعد القاء المحاضرة قال صاحب السعادة حسن نشأت باشا كلمة في الاحتفال باويزا براين باللغة العربية حيا فيها جلالة مولانا الملك وحمل الى المصريين تحية هتلر وتبنياته . ولقد سمعت في مصر بفضل هذه الجهود بصوت جمهوري رنان ثم أعقبه الاحتفال فوقع أوركستر الاويزا القطع الآتية

الفاتحة الموسيقية لاويزا تانهوزر

» » » لوتهجرين

سيمفونييد ايديل

الفاتحة الموسيقية لاويزا أساتذة الغناء

كان التوقيع غاية في الاتقان والصفاء ولم يشبه أدنى جلبة بفضل هذه الجهود الجبارة حتى كادت تميد طرباً جدران المكان لم تمكن من الجلوس في الصفوف الاولى لشدة الزحام فلذلك لم أستطع أن



فاجير

أسمع كل الاقوال بجلا، وعلت النفس بباطالعتها حينما تنشر لاستعيد تلك اللذة العظيمة ولاعلن لامتنا المحبوبة أن في الكنانة رجالا يشرفوننا في مثل هذه المواقف ان مجلة الاسبوع المصرى تظار كل خمسة عشر يوماً ولقد نشرت المحاضرة في أربعة أعداد ظاهر الاخير منها في ١٥ ابريل سنة ١٩٣٤ وهذا مادعا الى تأخير الرد لغاية الآن

ولا أنسى ليالى رمضان الشجية التي شنف فيها أسماعنا منذ ست سنين الدكتور منصور فهمي والاستاذ محمود فؤاد مرابط مدرّس تاريخ الفنون بمدرسة الفنون الجميلة

العلما اذ تكلم أولهما عن الفيلسوف نيتشه وتكلم ثانيهما عن الرابطة التي كانت تجمع في أول الامر بينه وبين فاجنر وعطف على الكلام عن حياة هذا النابغة وتأثيره وعن الرسالة التي قام بتأديتها خير قيام وقد أسمهنا أثناء محاضراته هذه على البيانو القطع الشهيرة الآتية :

نشيد الحجاج من أويرا تانهوزر

أنشودة النجم » »

لحن مسير الخطبة » لوهنجرين

دخول الالهة في الوهال من أويرا ذهب الرين

الفتيات الازهاد من اوبرا برسيغال

جزء من فاتحة برسيغال الموسيقية

ان افئدتنا لتبتهج حينما ترى شبابنا الفاهض ملقيا بدلود في الدلاء ليستقي من فنون الغرب ما يستنبر به في ترقية موسيقاه دون أن يعبت بطابعها الشرقي . سرد لنا المحاضر حياة فاجنر واعماله وما صادفه من عقبات وبؤس ومناوأة نقاد جهلاء أو حساد أصمهم الغرض وأعماهم الهوى . وكان الذوق الفني والثقافة الموسيقية لم يتحررا بعد من أسر الموسيقى القديمة فلذلك لم يرق لهم في أول الامر فن فاجنر الجديد ولم يستطيعوا أن يفهموا أسرارهم ومذهبه الفخم . وكان يتخلل المحاضرة من النكات والفكاهات ما أبعث الملل عن الحضور وجعلهم ينصتون الى المحاضر كان على رؤوسهم الطير لهذه السيرة المفعمة بالمجد والفخار . ثم سرد مؤلفاته ونوه بالصحف الشهيرة منها التي سارت بذكرها الركبان

عرفت المحاضر منذ نعومة أظفاره اذ كان مفتونا بفاجنر ويوقع منتخبات من مؤلفاته بتعبير عظيم وعواطف متأججه وتصوير خلاب وكان يعالج الشعر الفرنسي في هذا الوقت ويجمعه في كراسات مخطوطة فكان يسمعون منه قطعا شائقة . وهذا سر نجاحه لانه تكلم عن نابغة فتن به منذ صغره .

وما أردت بهذه الكلمة الا أن أنوه بفضل شاعرنا المفضل وجهده العظيم

وان أضيف كلمة متواضعة عن فاجنر في النواحي التي لم يطرقها المحاضر وله العذر لان المحاضرة بلغت نحو الاربعين صحيفة تقريباً ولا يتأتى ان يلم المحاضر بجميع اطراف الموضوع في محاضرة واحدة

اجتمعت في فاجنر مواهب جمّة قل ان توجد كلها في نابغة غيره كان كاتباً قديراً وشاعراً مجيداً وموسيقياً مبدعاً وفيلسوفاً عظيمًا ومبتكراً ومجدداً بمعنى الكلمة. ولقد سرح فكره في تاريخ الفن واستعرض الاطوار التي مرت عليه فوجد ان التراجيدي اليونانية القديمة التي نشأت من اشتراك جميع الفنون والتعاون الفرح الامة التي ما اجتمعت واتحدت الا لتبدع الجمال أو تعجب به . وقد اتحد الشعر مع الموسيقى لأيجاد الدرام اليوناني واجتمع الرقص والاشارات التمثيلية والنحت ليحققه على المسرح باوزان شجية وجماعات ساد عليها الجمال . ثم اختلفت الهندسة مع التصوير ليحدثا الاطار اللائق لان تدور فيه المشاهد والحوادث وهبت الامة بعضهم بمثابة ممثلين والآخرون مشاهدون

كانت الوحدة الاولى في العصر اليوناني لم تتفكك بعد اذ كان الانسان قريباً من الطبيعة يشاهدها بعين الفنان ويخضع لاول وهلة لقانون الحاجة الذي يتكلم في نفسه بصوت الغريزة .

ولما كرت الحقب وتعاقبت السنون تهشمت تلك الوحدة وأخلت البصيرة والغريزة مكانهما للتفكير فاصبح بحال بدلا من المشاهدة وبهذه الصفة تجزأت الوحدة في الطبيعة الى اجزاء عدة منعزلة عن بعضها وانحل التعاون الاخوي الذي ساد بين الفنون .

شعرت الانسانية شيئاً فشيئاً بالداء الذي تبث منه فابتدأ الميل الى الجمع Synthèse من جديد وهب الفنان الاختصاصي من اعماق عزلته وفتح ذراعيه للفنون المجاورة — احتاجت الموسيقى الى الرقص ليمدها بالايقاع ( الوزن ) والى الشعر ليملي عليها الالخان والى القول ليعطي المعاني المحدودة لامانيها

ولقد حاولت الموسيقى من عدة قرون أن تسكتفي بنفسها وتستغني عن غيرها

من الفنون قائمة بإيقاع وألحان مستعارة أو مقلدة فلم تفلح ، الى أن ظهر اكبر نوابغ الموسيقيين في العالم يتهوون فانه تلبأ يبصبرته الوقادة عن المثل الاعلى في الموسيقى وكانت السانفوني التاسعة قد اضطرت الى الاستعانة بالشعر ليكون متمما لها وليسمح له بالخروج من المنطقة المبهمة للاضطراب الخالص وايعلمن بدقة عن مطامحه ورغباته فوصل بذلك ما انقطع من الروابط التي تربط الفنون الثلاثة ببعضها والفضل يرجع اليه في تخليص الموسيقى من عزلتها وكانت السانفوني التاسعة خلوة ثابتة قاطعة نحو الفن الجمعي L'art Synthétique

رأى فاجنر أن ينهض بالدرام الموسيقي الى أوج الكمال فوضع نظرياته العديدة وابتكاراته العظيمة حتي أصبح فنه كالمغناطيس يجذب اغلب الموسيقيين اليه طوعا أو كرها ، وكان أساس نظامه الوحدة الفنية بين الفنون اللازمة للمسرح اذ يجب أن يكون الموضوع ونظم الدرام والتلحين اشخص واحد حتى تسود وحدة التفكير في المتن والموسيقى

كان فاجنر ينتخب الموضوع بنفسه وينظم شعره ويلحنه ، ويتلخص مذهبه في أن تكون الموسيقى واصفة لكل ما تقع عليه العين معبرة لكل ما يجيش في النفوس ويحتاج في الافئدة من مختلف العواطف والميول .

ولقد ابتكر فنا جديدا لتوزيع الموسيقى على الآلات لا يجاريه فيه مجار وامتازت موسيقاه باتصالها وارتباطها كالحلقة المفرغة حتى لا يتسنى لاحد أن ينتخب منها قطعا متفرقة لانها غير قابلة للتجزئة

ومن اهم ابتداعه اللحن المسير Leitmotiv وهو عبارة عن لحن صغير يرمز به لمعنى من المعاني ويتكرر بالمناسبات وهو قوي التعبير مظهر للمعاني الخفية

كان فاجنر قوي الارادة ماضي العزيمة سىء الحظ بائسا قلب له الدهر ظاهر المحن فلم تثبط صروف الزمن همته أو تقل له عزما بل استمر في تأدية رسالته وهو واثق من نفسه

لم يفهمه قومه ولا الباريسيون أنفسهم وسقطت تانهورر وقابلوها بالصغير ونكحت

الشوارع وحينما ابتدىء بتمثيلها في باريس وكان أغلب الجماهير جاهاً لا محافظاً على التقاليد العتيقة فلم يسع فن فاجنر الجديد والبعض الراقى من الموسيقيين نهش الحسد صدرهم واشتقوا من هذا المنافس الجديد والبعض اعماهم التصعب الذميم . كان الباريسيون تشجيعهم موسيقى مييربير المزوقة الجوفاء الخالية من العواطف والتعبير وقد قال فاجنر: « ان مقطعا موسيقياً واحداً من برليوز لا فضل من جميع الايبرات التي كتبها مييربير »

تألب بعض النقاد على فاجنر مثل برليوز وفيتيس وشومان وغيرهم ولم يكن الخصام بين برليوز وبين فاجنر إلا بسبب سوء الفهم ثم تصالحا ونحبا . وتفصيل الخبر انه عرض على فاجنر في يناير سنة ١٨٥٥ أن يقود الاوركستر Philharmonic Society ويعطي ثمانية كونسيرتات فقبل على سبيل التطلع الى حركة الموسيقى في تلك البلاد، وصادف وجود برليوز في نفس هذا الوقت وكان يقود اوركستر « New Philharmonic » فتقابلا وزال بينهما سوء الفهم واصبحا صديقين حميمين يعجب كل منهما بالآخر واستمرت المراسلات بينهما بعد سفر فاجنر الى سويسرا . ولكن من اعجب العجب أن فيتيس رئيس كونسرفتوار بروكسل والذي تربى في كونسرفتوار باريس وكان مدرسا فيه حمل حملة عنيفة على المترجم له ومع انه لم يشتهر الا باختصاصه بالتدريس وحفظ القواعد ولم يوهب شيئاً من النفحات والابتداع يؤهله لان يكتب شيئاً يعيش ويخلد ، وقد ألف عدة اوبرات سقطت كلها من اول ليلة في تمثيلها كما انه حاول ان ينال جائزة روما الاولى من الدرجة الاولى فلم يفلح ولم ينل غير الثانية من الدرجة الثانية ثم دخل الامتحان في العام التالي فلم يأخذ غير نفس هذه الدرجة الحقة

وقد انتقد هذا السخيف برليوز قبل فاجنر وكان يحمل عليه حملات عنيفة متتابعة في الجرائد ولكنها كانت تقابل بالازدراء والسخرية . ومن سخافات هذا الرجل أنه قال في قاموسه « تراجم الموسيقيين » عن جان سيباستيان باخ بانه أعظم الموسيقيين الالمان على الاطلاق وهذا مايدل على تفضيله باخ على بيتهوفن وفاجنر وهذا منتهى السخافة والغباوة

ومن نكد الدهر ان فاجنر العظيم عاش زمنا طويلا يكابد صنوف البؤس  
وكلن ساعده الايمن وقت الشدائد ليزت وهو من اشد المعجيين به وصديقه الحميم  
ولما عطف عليه لويس الثاني ملك بافاريا وقتن بهننه العظيم قرب به اليه واخذ يساعده  
في نشر مؤلفاته وتحسين معيشته واسكنه ايم يلمث بعد سنة وبضعة شهور أن تألب  
الجمهور على فاجنر ورموا الملك بالانصياع اليه والخضوع لارادته السياسية فلم ير بدا  
من ابعاده عن القصر فذهب الى سويسرا ومكث فيها ست سنين كانت من اسعد  
أوقاته وأن اضفناها الى الاثنى عشر عاما التي قضاها خارج بلاده حينما صدر الامر  
بالقبض عليه لاشتراكه في الثورة ابلغت ثمانية عشر عاما

ان رسائل فاجنر وقد ترجمت الى الفرنسية تعد من أعظم المستندات والمراجع  
انتي تدرس منها حياته وفضلا عن ذلك فان له فيها أفكاراً عظيمة في الفن  
وملاحظات دقيقة .

لم ينتقد فاجنر إلا في تطويله في بعض المواقف اذ تراه مثلاً يخصص فصلاً بأكمله  
لبث بشكوى الغرام بين المحب وحبيبته ونفوره من الرقص في التمثيل لانه كان  
يقول لأحب أن أكتب رقصة لا ويراني حتى يلهو النظارة بسيقان الراقصات الجميلة  
ولا ينصتون الى موسيقي

نأخذ على المحاضر ان جعل سيزار فرنك في مستوى واحد مع فاجنر وهذا  
شئ فيه غلو كبير لم يقله غيره من المؤرخين والنقاد . لا تنكر أن فرنك نبغ في الموسيقى  
الدينية وله في القطع القليلة التي كتبها نفحات عظيمة فمن العبث اذن أن نوازنه بمن  
قلب الموسيقى رأساً على عقب وابتدع المذهب الفخم ونهض بالموسيقى الى أرفع شأو  
ولقد رفع دوبوسي الى مصاف الآلهة وانى أسرد كلمة عن هذا الموسيقى ربما  
أفتمعت محاضرنا المحبوب

كان دوبوسي من أنجب تلامذة المعهد الموسيقي وقد تخلص من بعض تأثير  
استاذة (ماسنيه) وأوجد له مكانة خاصة . كان يميل هذا الموسيقى الى ( كوبران )  
و (رامو) و (موزار) ويتضايق من (جلوك) ولا يطبق أن يسمع (فاجنر) وكما ان

لهذا الموسيقى فئة تعجب به وتبجله فان له نقاداً كثيرين وساخطين عديدين وأظن أن حكمه على جاولك وفاجنر كاف للدلالة على ذوقه ومبلغ علمه وشدة غروره تنحصر مؤلفات دوبوسي في القطع الصغيرة ولم ياحن الا أوبرا واحدة وهي (ييلياس وميليزاند) واني أسرد للقراء نقد (ارتور بوجان) لهذه الاوبرا وهو كاتب عظيم وأكبر نقاد موسيقى في هذا العصر وقد توفي منذ بضعة سنين وله مؤلفات عديدة يرجع اليها في تاريخ الموسيقى وتقدّمها وهو الذي ينتدب لتحرير القسم الموسيقي للمحقات المماجم ودوائر المعارف مثل قاموس لاروس (ثمانية مجلدات) وقاموس الاوبرات ومعجم فيديس الموسيقي وغيرها. وقد مثلت هذه الاوبرا لأول مرة بمسرح الاوبرا كوميك بباريس في ٣٠ ابريل سنة ١٩٠٢ وهي مستنبطة من رواية الكاتب الشهير مترلنك

ان كلود دوبوسي وهو من الحائزين لجائزة رومة ١٨٨٤ يعد من الموسيقيين الذين لا تفهم موسيقاهم ، وقد اعتبرته فئة من زملائه الذين هم على شاكلته رئيس مذهب جديد وقد وضع الحان هذه الاوبرا كما يشاء ويهوي حسبما يفهم الموسيقى التمثيلية ولسوء حظه قد فاته الوقت وهو متأخر ككثير من زملائه الشبان واقد ظنوا جميعاً أنهم سبقوا زمنهم وما شعروا أن الزمن يسير ويتقدم وهم متأخرون منقطعون

ولقد سئم الجمهور سماع موسيقاهم وما هي من الموسيقى بشيء وملت آذانهم هذا الالقاء الثقيل المستمر على نمط واحد ووتيرة واحدة ، وهي مجردة من الهواء والضوء ولا يجد فيها السامع قطعة من الغناء الحقيقي. ويلاحظ السامع ان الوزن والغناء ولون الانغام وهي دعائم الموسيقى قد جهلها دوبوسي واحتقرها بمحض ارادته

ان موسيقي هذا العالم مبهم غامضة لالون لها ولا حد واهية القوى يعتمد واضعها الهرب من الوضوح والدقة والتصوير الموسيقي والوزن حتى ان الآلات الموسيقية تستمر في موسيقاها على وتيرة واحدة دون صفة أو خبرة بانغام لا تنفك ترددها الآلات الهوائية مثل السكور، والكلارينت والباسون دون أن يسمع بينها الصوت

الرخيم الرنان للسكان بنعمة ضمنية مخدرة للحواس وخلاصة القول ان موسيقاه منومة  
كثيرة الخطأ وانزلى

### مسرح فاجنر وضريحه

انما للفائدة نسرد كلمة موجزة عن هذا المسرح الذي بناه فاجنر في مدينة بيروت  
خصيصا لتمثيل مؤلفاته وهو يسع ١٥٠٠ مشاهد وخال من النقوش والزخرفة لئلا  
تلهي الحاضرين والاوركستر غير منظور وقد افتتح في ١٣ اغسطس سنة ١٨١٦  
حيث مثلت فيه حلقة نيميلونج وهو يبعد عن مدينة بيروت بعشرين دقيقة ومنظره  
الخارجي خال من الجمال الفني

يقام في هذا المسرح احتفال فخم كل ثلاث سنين تمثل فيه مؤلفات فاجنر ويشترك  
في تمثيلها وغنائها اشهر مشاهير الفنانين في المانيا ويهرع اليه الناس من كل فج عميق  
حتى من امريكا ويلزم ان تقدم طلبات المقاعد والمساكن الى لجنة تنظيم الاحتفال قبل  
الموسم بمدة طويلة حتى يضمن المشاهد له محلا ومسكنا يأوي اليه مدة الموسم .  
ومحظور على المشاهدين التصفيق أو التكلم أو الاستحسان لا بالاشارة ولا بالقول  
وتوجد فيلا فاجنر في حديقة عظيمة في نهاية الشارع المسعى باسمه وهي مبنية على  
طراز روماني وبأعلا باب الدخول صورة رمزية تمثل روتان مع غرابيه تحيط به  
الترابيدي والموسيقى وبجانبهما سيجفريد الشاب وقد كتب تحت هذه الصورة  
هنا وجد خيالي الراحة والسكينة ويلزمني أن اسمي هذا البيت ( راحة الخيال )

وفي هذه الحديقة وفي النقطة التي اختارها الرقدته الاخيرة على مقربة من الذين  
تفانوا في حبه واخلصوا له ولم يعيشوا الا ليمجدوا ويخلدوا اعماله العظيمة  
ولقد اوصى فاجنر ان لا يقيموا له ضريحاً فخماً على لحدّه ولا يكتبوا عليه شيئاً  
وهو في هجعتة الاخيرة راقد تحت حجر بسيط ولقد دفن على مقربة منه كلبه الحارس  
الامين (روس)

ان الآلاف الذين يحجون الى بيروت لينذهبون لزيارة قبره ويقفون خاشعين

صامتين أمام المجد والفخار والجلال الذي يحف هذا الضريح ثم ينصرفون بكل احترام وخشوع وقلوبهم تفيض باجل الذكرى والاحترام

## متفرقات

### فن الالتقاء

فن الالتقاء فن جليل عني به الغربيون واهله الشرقيون جهلا بمجزييل فائدته ولو علموا انه يمنح القول تأثيرا عظيما ويأسر النفوس وتملك القلوب ويفعل مالا يفعله السحر فيثير العواطف الهاجعة ويبهيج العزائم الخامدة ويلين القلوب الجامدة لما طرحوه وراء ظهورهم واهملوه في زوايا النسيان . كم من محام جمع في دفاعه بين بليغ القول ودافع الحجاج ومفتحم البراهين ولكن خانه الالتقاء فحذر حواس القضاة بالقائه ذي النعمة الواحدة حتى خسر دعواه

وكم من ممثل اسأم الحضور بالقائه وجلب اليهم النعاس ورفضوا قبل انتهاء التمثيل . نسمع اغلب خطباء المساجد يلقون خطب فقيد الوعظ والارشاد والالتقاء . وهي كما علمنا ارقى وابلغ ما سمعناه فوق المنابر . ولكننا نرى نصف المصلين نياما والباقي يتشاءون مع ان الفقيد كان يبكي العامة قبل الخاصة بما أوتي من حسن الالتقاء وفصاحة اللسان وبلاغة الانشاء . وقصارى القول اننا لا يتسني لنا ان نجيد الالتقاء دون الشروط الآتية :

١ — حسن النطق ولا سبيل اليه الا بدراسة علم تجويد القرآن اذ به تعرف مخارج الاصوات ومقادير الحروف والمد والقصر والادغام والاظهار الشفوي والاحوال التي ترقق او تفخم فيها الحروف وغير ذلك . ولا بد من الاستعانة بقاري . ماهر من قراء القرآن الذين اتقنوا دراسة التجويد

٢ — اتقان اللغة العربية حتى يفهم القاريء ما يلقيه ويتأثر من المعاني ليشارك معه شعوره وعواطفه وقت الالتقاء

٣ — معرفة فن الموسيقى او على الاقل تمويد الاذن على فهم الموسيقى ليكون قادرا على تنويع نغمات الالقاء حسب مقتضيات الحالات النفسية

٤ — الاشارات والوقفه وتغيير السحنة وهي من ضروريات الالقاء التمثيلي اذ هي التي تساعد على تمثيل العواطف ولولاها لاصبح الممثل كتمثال من نحاس تمنحه النواظر وتنفر منه النفوس

٥ — رقة الشعور وتعد من اعظم العوامل في اتقان الالقاء ليكون الانسان متأثرا مما يلقيه فمتغير النغمات بدون تكلف وتنوع اشاراته وسحنته من حيث لا يدري ويصدر منه الالقاء والاشارات وحركات السحنة بشكل طبيعي صادق خال من التصنع وبذلك يكون اشد تأثيراً واعظم وقما

٦ — يحسن لمن اراد ان يبلغ غاية عظيمة في الالقاء لا سيما التمثيلي ان يضرب بسهم وافر في علم البسيكولوجيا ليدرس احوال النفس دراسة تؤهله لفهم عواطفها وشعورها ليستطيع ان يزيد القماء وضوحاً وتعبيره تأثيراً

وان اتمعنا النظر في هذه الشروط وجدنا الثالث الزمها وأعظمها نفماً وأصعبها نيالا لان معظم التأثير ناشيء من نغمات الالقاء ولا ريب ان الموسيقى قوة عظيمة فتانة ساحرة بل هي فن يعبر به الانسان عن وجدانه وشعوره بانغام أفصح من النطق وأبلغ من البيان وأقرب منهما تناولا للاذهان. ولا يكفي لطالب الالقاء أن يدرس (السولفيج) وحده بل يازمه ان يتعلم التعبير الموسيقي وكيف يعبر الموسيقى وحيما يتم له ذلك نقول له لقد اتممت دراستك الفنية فهيا الى الدراسة العملية واذهب الى باريس في ايام عطلةك الصيفية وواظب على مشاهدة مسارح الكوميدي فرانسيز والوديون وبورت سان مارثان واجلس في الصف الاول لتراقب مشاهير الممثلين والممثلات لتتعلم منهم الوقوف والجلوس والمشي والاشارات وتنويع السحنة وطريقة الالقاء وانواع النغمات في الفرح والحزن والغضب والحاسة والعطف والتأثر والحيرة والدهش والخوف وعظمة الملك وغير ذلك وان للخطيب صفات دقيقة تفوت أغلب الناس ولها مكانة عظيمة وعليها معول كبير في التأثير :

- ١ — ان يهيم على نفوس سامعيه ويتملك قيادها وذلك بنباهته وشدة اصغائه ولطفه وظرفه واسلوبه
  - ٢ — ان يتجنب كل عاطفة كبر وغرور وازدراء فان ذلك ينفر منه القلوب ويصرفها عنه وتزدريه
  - ٣ — أن يرتب الموضوع ليسهل فهمه ورقة الاسلوب وصوغه بشكل ادبي لان الموضوعات حينما تكون علمية محضنة عارية عن ثوب الادب تسئم وتغل وتزعجها النفوس لاسيما اذا كان الموضوع طويلا جافا
- تلك نصائح نافعة صفتها في كلمات قلائل ليسهل توارلها وعسى أن تهتم ناشئتنا بهذا الفن لترقيه في بلادنا وتنتشله من وهدة الانحطاط والسلام

### الاسد

من أعظم الضواري المعزوة الى فصيلة الهر وأشدها بأسا الاسد « ملك الحيوان » قامه عظيمة ونظر متوقد ومظهر نبيل واختيال في المشية واعضاء في غاية التناسب ولبد يحيط برأسه ورقبته احاطة الاطار الجميل بالصورة المتقنة يسترسل على كتفيه كطيالسة الملوك وزئير يقصف كالرعد ويدوى لأبعد فيج فیر تعد منه العالم الحيواني

تجمعت في الضغيم هذه الصفات لتؤهله لان يكون المسيطر الفرد . كله اعصاب وعضلات اكسبته قوة لا تثبت امامها اعظم القوى وجراحة لا تهاب الاخطار والمهالك عند الهجوم . وقصارى القول انه اقوى واشرف جميع السباع

لا حاجة لنا بوصفه اذا ما من احد الارآه في حدائق الحيوانات ومسارح الوحوش غير اننا نلاحظ انه اعظم حيوان يمثل القسم الغير المخطط من الفصيلة ويمتاز بلون ثوبه المتحد ولبد المتكاثف الذي لا يشاهد في اللبوة وخصلة الشعر السوداء التي تزين نهاية ذنبه . وهو يفوق جميع أنواع الفصيلة قامه وجمالا

مواطنه المنطقة الحارة وكان في العصور الخالية موجوداً في جنوبى أوروبا كما روي (هيرودوت) حيث كانت هذه الضواري القديرة تهبط من جبال مقدونية لتفترس مطايا (خشائر شاه) ثم صارت نادرة في مقدونية في عصر الاسكندر الاكبر الى ان انقرضت من أوروبا في عهد الرومان . وكانت الاسود كثيرة الانتشار بآسيا ولكنها أصبحت الآن لا توجد الا في جزيرة ما بين النهرين والشواطىء الشمالية للخليج العجم والشمال الغربي للهند

يمتاز الاسد الاسيوي عن الافريقي بقامته الربعة وغزارة خصلة شعر الذنب واصبحت أفريقية الآن وطن الاسد الحقيقي وهناك يشاهد بجميع مظاهر جماله وعظمته وهو شائع في هذه القارة الا في بعض مواضع قليلة انقرض منها . وقد لوحظ انه يختلف لونا وقامة حسب المواطن ولكن جميع انواعه في الطباع سواء يسود الفزع والجنون بين الحيوانات حينما يرتج الهواء من زئيره اذ كل منها يعرف هذا الخصم المزعج القاهر الذي لا يستطيع اشدها بطشاً ان يثبت امامه . ولا يؤمن شره بسور ارتفاعه ثلاثة أمتار لانه يجتازه بكل سهولة وهو مقل فريسته ويجتاز ما يبلغ أربعة أمتار ان كان لا يحمل شيئاً ولكنه لا يستطيع أن يتسلق الاشجار كالمر

يقتات عادة بالحيوانات المجتررة ولا يأكل الا الحي منها فلا يرجع الى ما بقي منه بالامس الا اضطراراً ويستطيع ان يصبر على الطعام يومين او ثلاثة عقب اكلة تملأ بطنه وفصيلته (الانتيلوب) (نوع من الغزلان) لا ترى عدواً لها الد منه اذ يختبئ في مقصبة ليغتال القطعان التي ترد الغدران او البحيرات وقت ظهور الشفق . ساد السكون في هاته الاماكن وسكنت الريح فلم تحرك قمم اشجار الجميز ولبث جريد النخل دون حراك فلم يشب هذا السكون والدعة أية جلبة لاقربية ولا فصية . فتأتي هذه الانعام الجميلة اولاد الصحراء ماشية بتؤدة وتبصر وتيقظ منتصبه آذانها شديدة الاصغاء مشرئبة اذعاقها مسرحة انظارها الحادة في كفيف المتصبة . خلا المـكان من كل ما يرهـب جانبه او يسمع له همس او لمس بين الخنايل فاطمأنت النعم وأملت رؤوسها

متهافئة الى ماء مدمش كانت تتألف عليه وقتاً طويلاً وعلى حين غفلة يثب هذا القسورة القهار بطفرة هائلة ويخرج من مكانه وينقض كالصاعقة على زعيم القطيع فيرزح المسكين تحته حتي يسوي به الارض بينما تهرب رفاقة مستنفرة بأسرع من الفكر لتختفي في أعماق البيداء.

وقد مجد أشهر الشعراء سلطان الحيوان في جميع العصور والازمان ومهما تغالوا في وصفه أو في جميع التواريخ التي وضعت له فأنها لا تغفل عن أن تكون حقيقة وتكاد توفيه حقه من الوصف ومهما نفح الكتاب بمدهشات البيان واسعد المصورون بهجائب بنات البنان فأنهم لا يستطيعون أن يمثلوه تمام التمثيل وايسر خيلاء الرثال أو شجاعة النبيلة اللتان أذاعتهما بخطأ وركاكة الاساطير القديمة هما اللتان اكسبتاه وقاره المهيب وعظمته المادئة بل نخائله التي تشف عن ثقته بقوته التي لا تغلب واعتماده على نفسه واعتياده على الظفر والنصر.

ولو أن طباع النفاق عند الاسد لا تزيد عن طباع غيره من أنواع فصيلته فان خصال هذه العامة توجد فيه . اذ يزحف على بطنه بحث الى أن يتمكن من خصمه الذي يتوسم فيه الضر والاذى ويقيس بتبصر طول الوثبة فلا تغفلت منه غنيمته ومن ذلك يعلم أنه لا يمتاز طباعه عن غيره من أنواع فصيلته .

انه لا يقتل لمجرد اللهو بل لرد غائلة السغب ويندر أن يثب على فريسته مرة ثانية أن اخطأها في الاولى وان شبع مر مر الكرام أمام الانعام المسائمة دون ان يلتفت اليها واضطجع في عرينه ونام . والغضنفر ان فوحىء وهو نائم يكون كالميت ويغتنم مواطنوه هذه الفرصة ويباغثونه في حالة ضعفه ويقتلونه بأسلحتهم النارية أو سهامهم المسمومة

تنشر بين الذكور معارك تشيب من هولها الولدان وحينما يتزاحم اثنان على اتي فتية لم تألف بعد مع اسد . وقد روى احد اعراب البادية لصائد من اهل الجزائر واقعة من هذا القبيل حضرها مكرها . كان كامناً في ليلة مقمرة يترصد الابل وليكون آمناً مطمئناً تسلق شجرة بلوط في مكان خال من النبات والشجر وسط

الغاب في مقربة من الدرب . وفي منتصف الليل لمح لبؤة مقبلة يتبعها أسد فتى  
تكامل لبدنه فتركت الاتى الدرب واضطجعت تحت شجرة البلوط ولبت، وحده  
الاسد بجانب الطريق مصغياً . وماهى إلا هنيهة حتى دوى على بعد في الآفاق زئير فاجابته  
البؤة واشترك معها الذكر الذي اصطحبها فزجر صوته كالرعد القاصف فملع فؤاد  
صائدنا المتربص فوق الشجرة وسقطت بندقيته من يده وكاد يهوي معها لولا أن  
تدارك وأمسك بالأغصان . وكان زئير الاسد القصي يقترب شيئاً فشيئاً وكلما زاد  
قابله بالمثل البؤة الجائعة بينا رفيقها يجرى روحه وجيئة من الحنق كأنه يريد أن يقول  
له : — « فليقبل ليرى كيف التقيمه » وبعد ساعة أتى أسد أسود قامت لملاقاته البؤة  
فمنعها رفيقها وطردها ثم انقض على خصمه الذي كان ينتظره بفروغ صبر وطفقا  
يتصادمان ويقعان ملتحمين وطال بينهما النزال وكان مزعجاً للصائد الشاهد رغمًا  
منه بينا العظام تهشم تحت الفكك القوية والبرائن تمزق جسميهما والزئير يكون تارة  
مختلفاً وأخرى قاصفاً معبراً عن كلب الوحشين وآلامهما . وكانت البؤة عند ابتداء  
المهركة تنظر اليهما وهي جائعة على بطنها فلما حى وطيس القتال أخذها الزهو  
والاعجاب اذ رأت خصمين جبارين يقتتلان لاجلها وأنشأت تترجم عما خالجهما  
بتحريك ذنبها . ولما انتهت الوغي وخر الاثنان صريعين هرولت الى الجثتين تشمهما  
ثم ذهبت اشأهما معجبة بنفسها دون أن تلوي على شئ .

والاسد خصلة حميدة وهي انه لا يهجر أبداً اليفته التي اختارها ويظار لها  
كثيراً من الليل والاعتناء وله عناية عظيمة بجرائه ولو انه صعب المراس شديد  
الجانب لا يوجد مع صغاره الا بتكلف اذ يعروه السأم ويتنقص من لعبها معه

وحينما يريد أهل البدو من المغاربة صيد الاشبال يترقبون الزمن الذي تنقطع  
فيه عن ملازمة الام وذلك يكون بعد ابتداء ظهور أسنانها بثلاثة اشهر . فيرصدون  
العرين من أكمة بعيدة أو شجرة مشرفة عليه وربما تحينوا الفرص أياها كاملة .  
وحينما يرون ان البؤة بارحت أشبالها وان الاسد غائب ينزلون من مكائهم بكل  
تبصر ويقظة ويلفون الاشبال يبرانسهم لئلا يتمكن من الزئير ويناولوها الى الفرسان

الذين ينتظرونهم في أطراف الغاب المجاور ثم يرخون أعنة جيادهم فتسبق الريح .  
وهذه الجرأة لا تخلو من المخاطر

لا يتم نمو الأسد الا في سنته الثامنة فيبلغ أشده ويكمل لبدته . ولم تحقق بعد بالضبط نهاية عمره ولكن علماء الحيوان يقدرونها من ٣٠ الى ٣٥ عاماً . ويشاهد في الجزائر ثلاثة أنواع من الآساد . الاسود والمائل للون صداً الحديد والاسمر . والاسود اندرها وأصغر قليلا في القامة ولسكنه ربة وأعرض من الآخرين ولونه أسمر داكن الى السكتفين ثم يبدى . لبدته الاسود الفاحم الذي يكسبه شكلاً مريعاً ويبلغ عرض جبهته ذراعاً وطوله من أربعة أذنه متران وثلاث ويزن جسمه من ٥٠٠ الى ٦٠٠ رطل . والمفارقة تهاب هذا النوع أكثر من غيره لانه لا يتنقل ولا يجول كالنوعين الآخرين بل يبحث له عن مكان لائق أمين يعيش فيه رخي البال نحو ثلاثين سنة فلا يجازف بنفسه في السهول الا نادراً ولا يهجم على الدور كغيره بل يترصد ليلاً بالثيران النازلة من الجبل وينحر منها أربعة أو خمسة ليرتشف دماءها وفي الصيف لا يبارح مأواه الا عند الغروب ثم يقف بالمرصاد على قارعة طريق آتية من الجبل ينتظر المشاة والركبان المتأخرين وهم مقبلون وحداناً . وقد باغت سبع اسود فارساً من أهل البدو وحينا هجم عليه فسكر أن يترك له جواده فلربما لها به فتحقق أمله ونجا وهذا أمر نادر جداً لان المسافرين المنفرد لا يتمكن من الفرار أو النجاة ان فاجأه ليلاً وهو منقطع عن الركب . ولو أن النوعين الآخرين أعظم جسمالكنهما أقل قوة من الاسود وطباعها ومعيشتها واحدة الا من ما استثنياه

لا يغزو الاسد عادة من مريضه الا بعد الغروب ويروح اليه قبل الشروق فلا يفارقه صحابة النهار الا نادراً طلباً للماء أو هرباً من البعوض أو القيظ لانه يقضى النهار في عرينه نائماً مستريحاً في الغابات ليهضم مطمئناً في الدعة والسكون ويتغلب عليه حينئذ الكسل والخدر فلا يلتفت الى الانسان وقتئذ ان صادفه ولكنه يكون بالعكس ليلاً ويشاهد بجميع مظاهر قوته واقتراسه ورغبته في الهجوم . فان صادفه مدلج منفرد هلك وأعينه الحيل

وحينما يوجد الاسد مع اليفته تزار هي أولا عند مبارحتها العرين ويشمل الزئير اثني عشر صوتا تقريبا مختلفة تقبدي به بنوع خافت أشبه بالتهنيد ثم يزيد شيئا فشيئا حتى ينتهي كما ابتداء وبين الصوت والآخر يضع ثوان ويجاوبها الاسد بالتبادل وان ارادا الهجوم على دار لاقتراض انعامها يزاران من ربح ساعة لا آخر حتى يصل اليه وحينما يشبعان يستمران في الزئير لغاية الصباح . ووقما يكون الاسد منفردا يزار عند ما يستعد للخروج ويأتي في الغالب صامتا الي المنازل

والآساد تفتك فتكاً ذريعا في جميع الاقطار التي تسكنها فلا تدع الانسان ولا الحيوان وتمد ضحاياها بالملثات ، من قرية اعيتها الحيل فهاجر اهلها وتركوها قاعا صفصفا تزار فيها الضياع . وقد تعطلت سكة (اوغاندا) الحديدية بسبب اقتراض الاسد للعملة الهنود وتركوا اشغالهم حينما راوا انه ما من ليلة الا يذهب عدد منهم طعاما للسياح . وقد تمكن اخيراً احد مهندسيهم المسمى (باتيرسون) من صيد اسدين بعد ما بلت ضحاياها ثمانية وعشرين من الهنود وعدداً عظيماً مجهولاً من الزنوج

ولنسرد اشهر الوقائع التي كتبها المشامير من الرحالين والصيادين وما قاسوه من الاهوال في صيد الاسود لتكون مثالا عظيماً ندرس به جيداً طباعها واحوالها وقت الصيد والمهاجمة ولنستدل على صعوبة مراسها وجرأتها

### رحلة القنچيستون

في أثناء طوافي في حول غدیر (كورمان) انتخبت وادي (مابوتسا) الجميل لالتخذه مقراً للبعثة . وقد وقع لي هناك حادث عظيم كان الناس يسألوني عنه في أغلب الاحيان منذ عودتي الى انجلترا ولولا مضايقة الاصدقاء والخاصهم لكنت ادخرته لاقصه على اولادي عند ما تذهب الشيخوخة بكائي وحدته

ضج اهل هذا البلد حينما رأوا أن الاسود تباغتهم كل ليلة وتسطو على مطالبهم وابقارهم حتي بلغ من جرأتها أنها كانت تفتك بالماشية في رابعة النهار مما لم يعنادوا حصوله واعتقدوا أن احدى القبائل المجاورة سحرتهم وجعلتهم نهبا للأسود . وقد

حاولوا التخلص من هذه السكواسر واجتهدوا أن يبيدوها فلم يفلحوا اذ هم اضعف كثيراً من قبائل ( البشوانا ) فاستولى عليهم الجبن ورجعوا الى دورهم دون ان يطاردوا واحداً من اعدائهم ومما لا ريب فيه انه لو قتلوا واحداً منها لكان للبقية خير نذير وانكرت مواطن ابتليت فيها بالصيد

سقط الاسد من جديد على بهائم ( البكويين ) فخرجت مع رجال القبيلة مشجعاً لهم على قطع دابر هذه الطغمة فوجدنا الآساد فوق أكمة مجللة بحرجة فالتف حولها الرجال وتساقطوا الواحد بعد الآخر ومكثت في السهل مع أحد الوطنيين المدعو ( ميبالويه ) وكان معلماً في كتاب وانبه من جميع اصحابه ذكاً ونشاطاً . فرأيت أسداً جائعاً على ربوة وقد أحرق بها الصيادون . فصوب اليه ( ميبالويه ) رصاصة من بندقيته لم تصب الا الصخرة التي كان مقعياً عليها فعرض المكان الذي أصابته الرصاصة من الصفاة كما يعرض الكلب الحجر أو العصا التي يرمي بها ثم انطلق وثباً واخترق صف الصائدين الذين فتحوا له ممراً ونجادون ان يجرح . والغالب ان هؤلاء لم يقدموا على مهاجمته اعتقاداً منهم بالسحر الذي ابتلوا به وزعماء أنهم لا يظهرون على الاسد مهما بلغ جمعهم وبطشهم . ثم التأمت الحلقة وظهر ضيفان آخران فلم استطع أن ارميهما خوفاً من اصابة أحد الصيادين المحدثين بهما وفرا سالمين . ولو فعل ( البكويون ) كهادة بلادهم لقتلوا السباع طعناً بالرماح حينما اخترقت صفهم واكنهم لم يستعملوا سلاحهم قط

ولما رأيت ان الهجوم غير متيسر لهم عولت على الرواح وانجحت صوب الطريق الموصلة الى القرية . وبينما أنا اطوف حول الاكمة رأيت أسداً آخر فوق صفاة كالاول مستتراً وراء خيمة ولا تزيد المسافة بيني وبينه عن ثلاثين خطوة فصوبت اليه بندقيتي واطلقت عليه رصاصتين فصاح الرجال : « لقد اصبت فيها بنا نحمل عليه » ثم لمحت الاسد يحرك ذنبه بغضب وحرق فالتفت الى الصائدين وطلبت منهم ان ينتظروني ريثما أحشو بندقيتي . وبينما انا أعدها اذ سمعت صراخ فزع فاقشعر جسمي وماكدت أرفع رأسي حتى رأيت الاسد واثباً على وكنت واقفاً فوق ربوة

فامسك بكتفي فتدهورت معه الى حضيض الائمة وزار في اذني بقوة مزعجة فككت اصم وافقد صوابي لما اصابني من الرعب وصرت في قبضة كفارة ظفر بها سنور ثم اصبحت في حالة خدر لا أشعر فيها لا بفزع ولا بالأم ولو اني كنت واعياً لكل ما حدث وهذا شبه بحالة المربي وقت تأثير البنج اذ ينظرون تفاصيل العملية دون ان يشعروا بمشروط الجراح . وقد بددت رجات الضيفم منى الخوف واشت كل عاطفة للفزع بينا الصيادون ينظرون الى الاسد وجها لوجه

وكان الاسد قابضا يمينه على مؤخر راسي فاجتهدت ان اخلص من ضغطه والتفت فرأيت الاسد ناظراً الى ( ميبالويه ) الذي صوب اليه بندقيته فلم تنطلق من الجهتين لأنها كانت ذات زند و صوان فتركني الاسد في الحال وانقض على ( ميبالويه ) وعضه في فخذه . وكما من بينهم شخص نجية من الموت حينما قدقته في الهواء فخل من الجاموس فحاول هذا أن يطعن الاسد وهو جاثم على ( ميبالويه ) فخلاه وامسك بهذا الرجل من كتفه ولكن لم يلبث في الحال ان وقع مدرجا بدمائه من تأثير الرصاص الذي اخترم جسمه . حدث ذلك كله في لحظة قصيرة وبلغ الرئبال منتهى الغيظ والكلب والاستمارة حينما علم انه آخذ في النزاع .

وفي الغد احتفل البكويون باشعال نار عظيمة فوق جثة الاسد ذلك لانهم لم يروا له مثيلا في العظم كما قالوا واعتقادا منهم بانهم بعملهم هذا يبطلون السحر الذي انتابهم

وقد هشم هذا الغضنفر عظم عضدي وعضني احدى عشرة مرة في ساعدي . والجراح التي تحدثها اذيابه أشبه بجراح الرصاص ويعقبها عادة قيح غزير وتميت جزءاً عظيماً من الانسجة . وقد قابلت في السنة التالية الرجل الذي عضه الاسد في كتفه فرأيت جرحه انفجر ثانياً في الشهر نفسه من العام التالي . وان هذا الحديث الجري بأن يلتفت اليه رجال العلم

رحلة جول جيران

اقتفيت أثر الاسد قبيل الغروب وبصحتي حميد وعمر وأبو القاسم وكان

الاولون مسلحين ( بقرباتين ) واثالث يقود جدياً صغيراً كمنافه جيداً واتخذناه طعاماً نجلب به السباع . وقد عاينت وأنا سائر مدخل الاسد الموصل الى عرينه واختبرت آثار أقدامه فسررت مما اكتشفته وبحشت عن مكان أمين اتخذه مرصدا فوجدت موضعاً خالياً على مقربة من الربوة السكمن فيها الاسد

وقد ربطنا الجدى بجذع شجرة وتناولت سلاحي وماهي اللحظة حتى أقترت عمر منى فجأة وقد تشنج وجهه من الرعب وأشار بأصبعه الى رأس أسد ضخم متكامل اللبد قد لحنا من مسافة مائة خطوة تقريباً فصرخت الاعراب ونزعت أنا كلمة الجدى وتربصت بالمكان الخالي من الغاب لا تمكن من رؤية الاسد حينما يأتي الى الجدى الذي حينما أبصر ( القربانات ) المصوبة لم يطمئن باله وأخذ يصيح بشدة ويحاول قطع الحبل وبعد بضع دقائق لمح الجدى على غرة الاسد في مريضه فارثف كريشة في مهب الريح وأخذ ينظر الى من وقت لا آخر كانه يتوسل بي لأحميه من شر الاسد . ولما ساد الرعب تبينت ان الاسد مقبل نحونا فنظرت من خلال الغاب المتكاثف المحيط بالمكان الخالي الذي كنت فيه فوجدت جسماً ضخماً لا يتحرك ولم استطع ان أنحقق شكله اذ حالت دون ذلك الاوراق والفصوص

وفي الحال تحركت الاشجار وخرج من مكمنه واثباً وثبتين أوصلته الى المكان الخالي من الغاب ثم وقف ينظر الينا

شتان بين جمال هذا الحيوان وبين جمال ما نشاهده في المسارح رأيت أمله وأعظم وأفخم حيوان مع اني رأيت كثيراً غيره وقد أشققت عليه وأملت « قرباتني » بعد ما صوبتها الى ما بين عينيه . ثم تعدد الاسد على مهل فوق الكلا منتظراً ساعة طعامه . فاسفت ان رأيت متحفزاً للوثوب على فريسته فصوبت الى كتفيه رصاصتين فوقع زائراً بصوت كالرعد وأخذ يعض في منحدر السيل ثم انقض دون ان يعلم أو يرى في السيل من علو عشرين قدماً

وعند ما سمع الاعراب صوت النار أتوا سراعاً وظنوا ان الدماء الغزيرة التي سالت من الاسد انتهت بقتله وصاحوا في الرجال المنتظرين بالقرب منهم : « هلم الينا بالبغال : »

وكان الموضع الذي ينبغي منه زئير الاسد كثيف النبت فلم استطع ان أرى جذوع الشجر على قيد خطوتين . وعند ما كنت أضغ العلامات على مدخل السبع الدامي أقبل الصائدون ومعهم أربعة رجال مسلحين من أهل الجبل . وكان في عزمي ان اصبر للغد لاجد الاسد ميتاً او حياً واملت ان تقتله جراحه في اللبل . وعلى كل حال اعتمدت على الدماء الغزيرة التي فقدتها وهي كابية على الاقل لان تضيقه في اليوم التالي . وفي الختام تحققت انه من الحق ان اذهب الى الاسد بين هذه الآجام الكثيفة التي لا يخترقها احد الانظار واقواها لاسيما عند اقبال الظلام . وضحت ذلك للاعراب ولكنهم لم يسمعوا النصيح قائلين سندهب وحدنا ونحن واثقين بموت الاسد . ولما لم نستطع ان أقنعهم ذهب في مقدمتهم بعد ان اكدت لهم أنهم وافعون لا محالة في سوء عنادهم . ثم صادفت ( دورودامبورج ) وهو راجع من طوافه فرجوت منه ان يحمي ظهري ولا يفارقني . وحينما وصلنا الى مدخل مقر الاسدمرت رصاصة من خلفي مصوبة اليه فزار واقض علينا هاشما كل ما صادفه فقلت للاعراب « رأيتم كيف هلك واود الآن مشاهدة قوة الرجال البواسل وجرأتهم » وما انتهيت من كلامي الا ورأيت الاسد واقفا بيننا . وعندما اردت ان أصوب رصاصة الى رأسه سبقتني الاعراب وأعموني بدخان بارودهم ولم استطع ان انظر الا عمرو وهو يطلق ناره فوثب عليه الاسد وكسر ( قربانته ) بانيا به وامسك به وطرحه أرضاً كضغث من الهشيم

فاسرعت الى الاسد بففتين وكان لاهياً بتمزيق المسكين فلم يلتفت الي وأردت ان أخترم رأسه برصاصة ولكنني خفت ان أصيب عمر فصوبت الى قلبه ورميته فترك فريسته ولم يقع فرميته بثانية فلم تنطلق الرصاصة . وكان لا يفصلني عنه الا القربانة فطفق يقاوم بكل قوته ولما رأى الاعراب الخطر المحقق بي هبوا بجرأة عظيمة ولو أن أسلحتهم لم تكن محشوة والنفوا حولى . وكان حميد أقربهم الي فناولته ( القربانة ) وطلبت منه البندقية المحشوة التي عهدت بها اليه ليملحها لوقت الحاجة فوجده قد كان أطلقها مع رفاقه فامسينا تحت رحمة الاسد . وكان

(دورودامبورج) على قيد بضعة خطوات من المكان ولم يبق لي مدافع غير هذا الصديق فصوب الي الاسد ناراً حامية القته صريعاً يتخبط في دمه

لم يمّت عمر المسكين ولكنه أصبح محرم الجسم بجراح بالغة يكفي أسدها لقتله فحملناه على المالبس والعصي ومكث يعاني أشد الآلام ساعتين أمكننا بعدها ان نسعفه بضمد جراحه ومهاالجته

وفي الغد ذهبت لانتزع جلد الاسد ثم عرجت على عمر وودعته وخلفته بين يدي طبيب من مواطنيه وعدت في اليوم نفسه الى حديقة الاسود

وبعد الغد نخرت لبؤة قطيعاً من الثيران في مكان ليس يبعد فشكا الناس وتضرعوا وما من مجيب فلم أر من المروءة ان أصم أذني عن استغاثتهم وخرجت في طلب اللبؤة وواجهتها في الساعة التاسعة مساء ولم بك بيني وبينها اكثر من عشر خطوات وقد حال الظلام وكثافة الادغال دون رؤيتها جيداً لاصيب منها مقتلاً فصوبت الي كتفها لابعيقها عن لحاقي فهوت من أعالي الغاب صارخة بزئير مزعج فانسحبت بكل احتراص وتبصر ولم تسمع وقع أقدامي إذ غطى عليها زئيرها

وفي الغد عدت اليها في اول النهار فوجدتها مكسورة الكتف مخرمة الصدر ولكنها كانت بحالة جيدة فاطلقت عليها الرصاص ولم تقع إلا وقما أصابتها الثالثة وحيث انتهت هذه المعركة رأيت ان ارجع الى قسطنطين ولم اكّد أبلغها الا ووافاني نبأ موت عمر المقدام



# كتاب الغريب

الجزء الثاني

لشاعر القطرين خليل ك مطران

بين يدي الجزء الثاني من «بلاغة الغرب» مكتوبا فيه تحت العنوان بالحرف الدقيق «احسن المحاسن وغرر الدرر من قريض الغرب ونثره» والحق البارز الناصع ماجلاه النقش تحت هذه الكلمات فان محمد افندي كامل حجاج الذي نقل الى العربية طائفة جديدة من روائع اللغات الافرنجية قد اضاف بهذا الجزء الى نفائس لغة الضاد قلادة لا تقوم بأمان

افتتح الاديب الامعي كتابه باهدائه الى روح فكتور هوجو مستحضرا ذلك الروح بقوة يقيمه الادبي مخاطبا اياه بقوله (اليك اهدى ما عربته من معجز قولك ونفحات شعراء الغرب وهو عندي اعز قنية وانفس طرقة ولعله يرضيك فمتقبله قبولا حسنا فسلام عليك من معترف بفضلك وآلائك لاهج بشكرك وثنائك) وذلك الاستحضار الصادر عن وحي فطرة امتزج في حسها الرفيق الماضي بالحال كلهما الوقت العتيق قد اثر بي شديداً منذ القيمة النظرة الاولى على الكتاب

ثم جعل الاديب المجيد في مواجهة هذه الصفحة صفحة مزدانة بوجوه ستة رجال من افراد البيان في القرنين التاسع عشر والعشرين هم: فكتور هوجو - الفريد دوفيني - جوت - شيلر - هين - ليو باردي

وما هؤلاء الستة بالذين قصر عليهم الكلام بل ذكر غيرهم من النوابع واتي بترجمة كل منهم واورد ما اجمع الراى على اثاره من محرراتهم وهذه اسما الاخرين الفونس كار - شيلر - توركو اتو تاسو - جون مانون - جوزيف اديزون - شيلي - يرون

لماذا عاني محمد افندي كامل حجاج تعريفنا بشعراء الغرب وكتابه ؟  
شرح لنا ذلك بالطف اشارة في مقدمة هذا الجزء تحت عنوان ( كلمة في الانشاء )  
بدلالته ايانا علي مواضع جهلنا وارشاده ايانا الى ما يجب ان نعلم لنصير كتابا حق  
الكتاب كما يفهم المعني الذي تقتضيه ضرورات هذا العصر عصر المعارف والفنون  
في اسمى ما ارتقت اليه مدارك الناس

ولما كان الغرب هو المورد الاعظم لكل ما يجدر بنا ان نرده من حياض تلك  
المعارف والفنون لم يرض علينا محمد افندي حجاج في عنوان آخر ( كلمة في الترجمة )  
يهدينا بها الصراط الذي يوفق بين ماتأتيه ذهنية الغرب وما تقبله ذهنية الشرق فيما  
يرتبط بالادبيات

وسرعان ما يتبين المطالع بعد ان يقف على الغرر التي جاء بها في تعريبه أنه قد  
وفق في النقل ماشاءت البراعة في الاغتين المنقول عنها والمنقول اليها وما شاء رقي الوجدان  
عنده مسامتا للوجدان الراقي الذي اوحى الى اولئك العبقرين الغربيين غرر مبتكراتهم  
ولقد اردت حين قراءتي لقطعة قطعة او قصيدة قصيدة مما صوره الاديب بقلمه  
البديع العجيب ان اتبين ما اذا كان اسلوبه الانشائي ينطبع بطابع الاسلوب الانشائي  
المنقول عنه فوجدت اثر ذلك فيه ولكن بمقدار اذ لا ينبغي ان ننسى ما بين التعبير  
بلغتنا العربية الفصحى لغة الكتابة دون التكلم ، لغة الفكر المتبهيء لا الفكر المتبادر  
لغة الاحساس المصطنع المستعير ادوات ازمنة أخرى للظهور لا الاحساس المتدفق  
فورا بعوامل ما بين يديه من مؤثرات الحياة العتيدة ، وبين التعبير بتلك اللغات  
الاجنبية التي هي لغات الحياة الحاضرة بكلياتها وجزئياتها

فيا ايها الصديق الذي تحفني بهذا الجزء الثاني من كتابه العجيب بارك الله  
في يقظتك ونشاطك وفي المعيتك وعظيم خدمتك للغتك . وای شيء يتوصل به الى  
تجويد القول افضل من حسن الاختيار والتنويع فيما تستنبض له القلوب وتغذي  
به العقول

خليل مظران

الكاتب القدير الاستاذ مصطفى راشد رستم

كثيرون من أهل اللغة العربية ينكرون على غيرهم من أهل اللغات الأخرى ما ينسبونه هم إلى اللغة العربية من السعة والفصاحة والبلاغة وكثرة وسائل التعبير. وقليلون منهم يعرفون عوامل الجود والتقهر التي حاقت بالعربية من جراء التمسك بتلك الفكرة السيئة

على أنه منذ بدأت تدرس اللغات الغربية في الشرق أخذت شجرة « التمسك باللغة العربية دون غيرها » تهتز بشدة أمام رياح الغرب القوية وتتساقط أمامها أوراقها وأزهارها حتى كادت تنجث من فوق الأرض وقد عالج هذا الأمر كثيرون من أهل الموضوع واهتدت الأغلبية إلى طريقة تشبه طريقة التطعيم النباتي

ومن الكاتبين من رأى أن يدمج معلوماته الغربية في كتاباته العربية. ومنهم من جعل ينبع عليها في مظانها بلغاتها ومنهم من أنشأ ينقلها إلى العربية أما نقلاً حرفياً أو معنوياً. ولكن من هؤلاء أدلت على صحة رأيه

ومن الذين رجحت عندهم فكرة الترجمة على غيرها من الآراء الأخرى الأدباء (محمد كامل حجاج) فقد تفقد صفحات من أدب بعض الأمم الغربية واختار منها محاسن فيها وترجمها ونشرها بين الناطقين بالضاد لتزداد بها مادتهم الأدبية

وهو «محافظ على الألفاظ والجل محافظة دقيقة ولكنه يتصرف في ترتيب الألفاظ طبقاً لما يستوجبه ذوق اللغة التي ينقل إليها» وهو يرى ( أن هذا هو أعظم أسلوب في الترجمة والمتبع بين أفاضل المترجمين في أوروبا

وكذلك يرى (أنه لا ينبغي الناقل أن يترجم شيئاً لكاتب أو شاعر دون أن يقرأ عدة قصائد أو قطع ليسبر غوره وتعجلى له روحه ومراميه) وهذا النوع الأخير هو الذي أتبعه في تعريبه

\* \* \*

(بلاغة الغرب): جزآن كبيران ولكنهما مع ذلك قطرة من بحر محيط واسع

على أنها قطرة قد تظني، قدرًا كبيراً من ظلم المتعاطشين وكذلك هي قطرة حلوة نقية صافية

أطل المغرب الأديب من وراء ستار مجهوداته الكريمة على ساحة اللغة العربية الواسعة منذ سنين . بجزئه الأول من بلاغة الغرب . وكان الجدل بين أهل تلك الساحة قائماً وكذلك لم تكن لشواغل الحروب وحوادث الأيام ما لها من الأثر الكبير في حياة العقول الآن . فتناولوه يومئذ حاجة جديدة ومادة للجدل ولكنهم انتهوا منه على تشجيعه واستحسانه ولم يكن هذا التشجيع مع الاستحسان والقبول الاداعية ثبات الأديب على فكرته واستمراره في مجهوده وما كان التصفيق له في الأولى الا دليلاً على فائدة عمله وحسن اختياره وجمال أثره وأنه المكافأة الواجبة من ظلم أن لساقى الماء انزال . لذلك جاء في الثانية مثله في الأولى . لم يقف ولم يتقهقر بل سار وتقدم وهو يتلفت حوله فاقتطف من مختلف الرياض ما جمع به طاقته الادبية من أزهار الجنان الغربية الواسعة الغنية . وقدمها للجمهور العربي في شكل أختها السابقة وقبل أن نلقي بالنظرات على أزهاره ومقتطفاته الجديدة نقول ان تمسك الأديب كامل حجاج بان يكون جزؤه الثاني مثل جزئه الأول من حيث الشكل والطبع وحسن الورق واتقان العمل دليل واضح على أنه يحمل للجمهور القارىء احتراماً كبيراً جليلاً كما انه برهان على تحفظه ورعايته للدقة والعناية وقد كان سهلاً على الأديب أن يجد المعاذير الجملة اذا هو أراد أن يخرج كتابه الثاني أقل جودة من كتابه الأول

\*\*\*

الجزء الثاني من بلاغة الغرب ينشر بين الناطقين بالضاد مختارات من أدب الفرنسيين والانجليز والالمان والاطليان . وبينما ينقل المترجم عن الفريد دوفيني الفرنسي ( غضب شمسون ) الجبار وقد هلك قوته فينادي « أيها الدائم قهار الجبابرة .. » وينقل عنه ( الاقدار ) وهي تقول « نحن الافئدة المشؤومة من لم نخطيء سهام سطوتنا القديمة فرداً من الناس قد أتينا نستعلم عن احكام المستقبل .. » اذا به

يترجم القطعة الخاصة عن بتهوفن شيخ الموسيقين للكاتب البولوني الاصل الفرنسي اللغة . الفونس كار . صاحب رواية تحت ظلال الزيزفون .

ولما اجتاز المترجم الحدود بين فرنسا والمانيا ( وهي في دور الادب لاهرس عليها ولا جارك لها ولا مناطق احتلال ولا رور ولا رين ) ذهب الى « صاحب التاج والصولجان بين الشعراء الالمان » جوت ونقل عنه كثيرا . ولما ودع جوت استقبل شيلر « ثاني شعراء الالمان » ونقل عنه « الرهين » وهي قصة تشبه قصة العربي مع النعمان بن المنذر . كذلك نقل « الغواض » الذي يقول - ان السعداء من يستنشقون هذا الهواء النقي .

ولما تحول عن ثاني شعراء الالمان أقبل على « ثالثهم » هنريش هين فترجم له « بحر الشمال » بمقطوعاتها الشعرية الكثيرة — « ان في الشمال عادة ... تداث حلقات شعرها الفاحم كليلة هنيئة من رأسها المتوج بغدائرها المفرغة حول وجهها الازهر المؤثر الذي تسطم به عينيها الشبيبة بشمس سوداء »

ثم انحدر المترجم من بلاد الجرمان مخترقا جبال الالب الى بلاد الطليان وأنصت الى شاعرهم ( تاسو ) وشهد روايته ( أمنت ) « التي لم يستطع أحد من الكتاب أن يأتي بمثلها . »

ثم أبحر من ايطاليا الى انجلترا حيث قرأ على « نابغة من فحول شعرائها ملتون » ( الفردوس الضائع ) فنقل منها حديث ابليس ... « وحيث ضاعت مني كل النعم والطيبات فكأن نعيمي أيها السوء ... وربما استطعت بك أن أحكم على أكثر من نصف العالم ، ثم حديث آدم وقد سمع ربه يقول له بعد ان استوحش آدم الارضين « كيف تذكر وحدتك ؟ أليست الارض معمورة بمختلف الخلائق الحية ؟ ... استخدمها وتحكم ملاهيك فيها فملكك واسعة الأرجاء »

ثم نقل عن أديسون الكاتب الكلاسيكي الفكاهة . وعن شيلي ويرون الشاعر الذي كان يشرب الخمر في جمجمة انسان وهو في ثياب راهب ...

تلك بعض مختاراته وحبذا لو كان المغرب قد أتم طوافه في أوروبا بزيارته  
روسيا فان للادب الروسي مميزات وله دولته الجديدة المبدعة  
والقطع المختارة وان كانت قليلة بالنسبة للادب الغربي الواسع المحيط غير انها  
من درره النادرة وهي توحى الشئ الكثير من معنى روحه وطريقته وذلك أفيد  
ما يكون لمن لا يعرف الا العربية . أما من يعرف اللغات الاوربية فانا نرى له أن  
يدرس آدابها نفسها أو باحداها اذا اختص بواحدة منها . فان قراءة لغة أوربية  
أنتج وأسهل من قراءتها باللغة العربية .

ومن حسنات المغرب انه جاء لكل شاعر بفدائكة من تاريخه ونقده أما لغته  
فان رأيه في طريقته الطيبة مذكور واضح كما أن الجمل التي اقتطفناها ظاهرة غنية  
والآن فانا نشكر المغرب وندعو معه للنشء القاري أن ينعم النظر فيما بين  
يديه من الادب الغربي وأن يبحث عنه وعليه أن يجمع بين بيان العرب وبلاغة الغرب  
مصطفى راشد رستم

ميدان سليمان باشا ٣

في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٣٢

سيدي المفضل

قد وصل الى كتابكم واما الجزء الاول منه فقد كنت قرأته من زمان في  
رومية اذ تفضلتم وارسلتموه الى والدي ولم يكن لي شك منذ ذلك الزمان ان  
تأليفكم هذا من دواعي النهضة الحديثة في القطر المصري واما الجزء الثاني فقرأته  
في هذه الايام لأول مرة وهذا سبب تأخير ردي الجواب اليكم فاعذروني واقد اعجبت  
بالكتاب غاية الاعجاب وزادني اعجابا ما قلتم في « كلمة عن الانشاد » واصبتم  
فيها الاصابة كلها .

هذا واظن انه من الواجب عليكم ان تضيفوا الى فضل فضلا وتنشروا  
تراجم نامة لبعض التأليف الغربية حتي تقف الشبيبة المصرية على كنهه الاسلوب

الغربي واتم خير المرشدين الى ذلك وهذه مسألة مهمة تأتي قلة علمي في هذا الميدان ان استقصيها

ولا بد لي من ان اعبر عن عواطف شكرى لهديتكم الثمينة ولتلك العبارات اللطيفة التي استعملتموها في رسالتكم مما لا تستحقه قلة فضلي ولا ارى سبباً له الا فرط لطفكم

وتفضلوا بقبول آيات احترامي

ميكيل انجياو جويدي

استاذ فقه اللغة العربية بالجامعة

الاستاذ محمد بك فؤاد حمدي رئيس نيابة محكمة مصر المختلطة

يقولون ان التأليف اذا احتاج الى الفكرة مرة واحدة فان الترجمة محتاجة اليه مرتين وحسن الاختيار محتاج اليه مرات ثلاث . ويقول الشاعر العربي :  
قد عرفناك باختيارك اذ كساك دليلاً على اللبيب اختياره  
وان كتاب (بلاغة الغرب) الذي حوى من احسن المحاسن وغرر الدرر من قريض الغرب ونثره لجدير بتقريظ مطران اذ يقول :

ان هذا السفر كنز جامع غالي الدر وحر الذهب  
وكفاه من فخر ان حوى معجز الغرب وآي العرب

ظهر الجزء الاول من هذا السفر الجليل سنة ١٩٠٩ حاملاً بابدع واروع ما جادت به قرائح فحول شعراء فرنسا فخف الى تقريظه اكابر الادباء أمثال طنطاوي جوهرى والمنفلوطي وطفقت كبريات الصحف تنشر على امانة معربة في النقل وصدق أسلوبه وبراعته في التوفيق بين البلاغتين الفرنسية والعربية واحتفاظه بموسيقية القصائد التي عربها وبدقة الفن الذي يفيض عليها رواء وبهجة وجمالاً بل لقد تجاوزت ذلك الى نشر قطع من الكتاب هي بالدمى والتماثيل أشبه من حيث انسجام الاجزاء وتلاؤم المظاهر واتزان الصورة العامة فقد نقلت «الواء»

عنه قصيدة المزة للشاعر الفرنسي الكبير لامارتين نشرها يوم ٥ ابريل سنة ١٩٠٩ ثم نشرت قصيدة «ان للرمال لدينا خائناً كايين النساء» لفكتور هوجو التي نشرها «الدستور» في ٩ ابريل سنة ١٩٠٩ ونشرت «الجريدة» يوم ٣ ابريل سنة ١٩٠٩ قصيدة «نابوليول الثاني» لفكتور هوجو .

ولما كان كتاب (بلاغة الغرب) الاول من نوعه وكان قد حظي بقوة الذبوع والانتشار بين المستنيرين وغواة الادب فلا مرا في انه كان حجراً في زواية النهضة الادبية في البلاد . جاء الكتاب في مستهل عهد الثورة الفكرية التي نادت بتحرير الاسلوب والخيال والاتصال بالحياة الجميلة النبيلة . ولوسأت أيا من الكتاب والادباء المعاصرين سرد أدوار تطوره الفكري لوجدت انه مر بدور تآثر فيه بمحربات الاستاذ محمد كامل حجاج ونرجو هنا أن يفتن القارئ الى ما نقصده بالانفعال والتأثر فهو اما ايجابي واما سلبي ايجابي في الذين لم يرحو في رياض الادب الغربي سلبي في دارسيه والمتعمقين فيه وكنا قد عالج الانفعال لدى مطالعة قصيدة أوطرفه ادبيه كان قد استوعبها بلغتها الاصلية وقد أطلعنا على الثاني من بلاغة الغرب فجاء تكملة لمجهود فني ادبي عظيم . فان معربنا الجليل ضم الى المختار من الشعر الفرنسي نبذاً صالحاً ونماذج رائقة من الشعر الانجليزي والالمانى والايطالي . ونحن نرجو حضرته أن يواصل هذا المجهود النافع فيجعله سلسلة متماسكة الحلقات



## فهرست

|                               |    |                              |    |
|-------------------------------|----|------------------------------|----|
| المقدمة                       | ٥٤ | اغاني الحب عند هنود امريكا   | ٥٤ |
| خواطر الخيال واملاء الوجدان   | ٥٥ | لم وجفت العزائم السحرية للحب | ٥٥ |
| الربيع                        | ٥٧ | الاغاني السحرية والطب        | ٥٧ |
| الزمن                         | ٥٨ | الامراض عند العائشين على     | ٥٨ |
| الزهرة والشيطان الجميل        | ٥٩ | الفطره                       | ٥٩ |
| حضري رينى                     | ٦٠ | الاغاني السحرية والطب عند    | ٥٩ |
| فراش وفي                      | ٦٢ | الهنود                       | ٦٠ |
| الادب حليف الشقاء             | ٦٢ | تأثير الموسيقى في الحيوان    | ٦٠ |
| الصداقة                       | ٦٥ | الموسيقى والتربية            | ٦٢ |
| جمال الازهار                  | ٦٧ | الشرف                        | ٦٥ |
| الامل                         | ٦٧ | ابن السعادة                  | ٦٧ |
| أبها البدر                    | ٧٠ | باب النقد                    | ٦٧ |
| النور                         | ٧٢ | الادب في القرن التاسع عشر    | ٧٠ |
| الظلام                        | ٧٤ | عبد الله باشا فكرى           | ٧٢ |
| الابحاث الفلسفية والبيكولوجية | ٧٥ | محمد قدرى باشا               | ٧٤ |
| الموسيقى والفلسفة             | ٧٨ | رفاعه بك                     | ٧٥ |
| مقدمة                         | ٨٠ | عبد الله افندى ابو السعود    | ٧٨ |
| الاصوات والكلام الالهامي      | ٨١ | محمد افندى عبد الرازق        | ٨٠ |
| الانفعال النفساني             | ٨٢ | عبد الله افندى نديم          | ٨١ |
| الصور في اللغة الموسيقية      | ٨٣ | محمود افندي صفوت الساعاتي    | ٨٢ |
| الموسيقى والحب                | ٨٨ | محمد بك عثمان جلال           | ٨٣ |
| ملاحظات على فكرة داروين       | ٨٩ | الشيخ احمد عبد الرحيم        | ٨٨ |
| الموسيقى والسحر               | ٩٢ | الشيخ على ابو النصر          | ٨٩ |
| الغناء السحري                 | ٩٢ | منصور                        | ٩٢ |
| المطر وصفاء الجو              | ٩٥ | كيف تصورنا شاعرة فرانسية     | ٩٥ |
| الغناء السحري عند المكسيكيين  | ٩٥ | رقص الاموات                  | ٩٥ |
| الاستسقاء عند الفراعنة        | ٩٦ | كيف ننمض بالبيان             | ٩٦ |
| الاغاني السحرية والحب         | ٩٦ | بين القديم والحديث           | ٩٦ |
|                               |    | رد الاستاذ البشري            | ٩٦ |

|     |                        |     |                        |
|-----|------------------------|-----|------------------------|
| ١٣٣ | ملاحظات وآراء على مقال | ١٩٨ | نابغة شرقي مجهول       |
|     | الاستاذ البشري         |     | الروايات التمثيلية     |
| ١٣٨ | رد الاستاذ البشري      | ٢٠٣ | برايوز                 |
| ١٣٩ | رواية عائدة            | ٢٣٨ | عنتره                  |
| ١٤٣ | كيف نكتب               | ٢٥١ | العادة ذات الكامليا    |
| ١٤٩ | تصوير العواطف والوجدان |     | الابحاث الموسيقية      |
| ١٥٠ | الف ليلة وليلة         | ٢٥٦ | الموسيقى في مصر        |
| ١٦٠ | رابندراناث تاجور       | ٢٦٠ | بيتوفن                 |
| ١٦٧ | القربان الشهري         | ٢٦٧ | احتفال مصر بمرور خمسين |
| ١٧٠ | منتخبات من اليستافي    |     | حاما على وفاة فاجنر    |
| ١٧٥ | جارتى الجميلة          | ٢٧٦ | متفرقات                |
| ١٨٠ | على ضفاف الكنتج        | ٢٧٦ | فن الالقاء             |
| ١٨٥ | الخشب الشاعر           | ٢٧٨ | الاسد                  |
| ١٩٢ | الاميرة نازلى فاضل     | ٢٨٣ | رحلة لفينجستون         |
| ١٩٦ | انشراح هانم شوقي       | ٢٨٥ | رحلة جول جيرار         |

### خطأ وصواب

| خطأ      | صحيفة | سطر | صواب     |
|----------|-------|-----|----------|
| الكليقيا | ٤     | ١   | الكليقيا |
| تنعش     | ٨     | ٨   | تنعشنى   |
| بيان     | ١٢    | ٢٠  | بنان     |
| قامها    | ١٦    | ١٠  | قامها    |
| تمها     | ١٦    | ١٣  | اتم      |
| شحاير    | ١٧    | ٨   | شحاير    |
| هنائى    | ١٩    | ٥   | هنائى    |
| النور    | ١٩    | ١٦  | النوار   |
| سسان     | ٢٠    | ١٣  | حسان     |
| تستبشع   | ٢١    | ١١  | تستبشع   |
| البدر    | ٢٢    | ١٤  | النجم    |

|           |     |    |            |
|-----------|-----|----|------------|
| تنشدايه   | ٢٧  | ٢  | تنشدايه    |
| راها      | ٢٨  | ٦  | راه        |
| دوسوميه   | ٣٧  | ٨  | دوموسيه    |
| عل        | ٣٩  | ١  | على        |
| ويرونها   | ٣٩  | ٢  | وييرونها   |
| يكاد      | ٤٦  | ٢٠ | يكادون     |
| انغام     | ٤٧  | ١٧ | انغام      |
| سيبرا     | ٥٠  | ١٤ | سيبرا      |
| الما      | ٥٤  | ٢٣ | الما       |
| يوهم      | ٥٧  | ١٨ | يوهم       |
| توازي ريت | ٥٧  | ٢٠ | نوازي ريت  |
| الفائدة   | ٦١  | ١٤ | ما الفائدة |
| ليتهجلى   | ٨٧  | ٢٢ | ليتهجلى له |
| الدرر     | ٨٨  | ١٩ | الدرر      |
| اهديك     | ٨٩  | ٣  | اهديك      |
| لا        | ٨٩  | ٩  | الا        |
| المحمل    | ٩٣  | ١٦ | المحمل     |
| يقبل      | ٩٦  | ٢٣ | يقبل       |
| دراهمهم   | ٩٩  | ٨  | درهمهم     |
| سقطت      | ٩٩  | ٢٣ | سقطت       |
| يحمل      | ١٠٠ | ٢١ | يحمل       |
| يبلغونها  | ١٠١ | ٢١ | يبلغونها   |
| استبدلوا  | ١٠٨ | ٢١ | استبدلوا   |
| لنيل      | ١٠٨ | ٢٢ | النيل      |

| خطأ                 | صحيفة | سطر | صواب                |
|---------------------|-------|-----|---------------------|
| يقطع                | ٩١٢   | ٢   | تقطع                |
| وعند                | ١١٥   | ١١  | وعند                |
| بحارة               | ١١٧   | ٥   | نجارة               |
| لكثير               | ١١٨   | ٩   | ككثير               |
| يوف                 | ١٣٦   | ١٦  | يطوف                |
| مجتمع               | ١٣٦   | ١٨  | كل مجتمع            |
| الفردوس             | ١٣٦   | ١٩  | الفردوسي            |
| درلو كل             | ١٣٩   | ١٩  | دولو كل             |
| جيلانسوني           | ١٤٠   | ٢   | جيسلانسوني          |
| بحليب               | ١٤٧   | ٢٢  | بحلب                |
| اولاها              | ١٤٩   | ١١  | اولاها              |
| نهدبهم              | ١٤٩   | ٢١  | نهدبهم              |
| ببرسلاد             | ١٥٣   | ٢٣  | ببرسلاد             |
| وهذا التام          | ١٦٦   | ٧   | وهذا التام          |
| وسعدت               | ١٦٩   | ١٠  | واسعدت              |
| البستاني            | ١٧٠   | ٩   | منتخبات من البستاني |
| منتخبات من البستاني | ١٧١   | ١٠  | (محذوفة وقدسبقت)    |
| لحه                 | ١٧١   | ١٧  | لحه                 |
| وديعه               | ١٧٨   | ٨   | ودعة                |
| وضاء                | ١٨٣   | ٦   | واضاء               |
| اعالي               | ١٨٣   | ٢٢  | اغاني               |
| طلب                 | ٢٠٠   | ١٢  | طلبة                |
| لافانك              | ٢٠٠   | ١٢  | لافانك              |